

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل / كلية التربية
قسم التاريخ

سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية 1798-1809

رسالة تقدم بها

فهد عويد عبد البعيجي

إلى مجلس كلية التربية - جامعة بابل
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة ماجستير آداب
في التاريخ الحديث

بإشراف
الأستاذ المساعد الدكتور

علي هادي عباس المهداوي

أيلول 2007م

شعبان 1428هـ

Ministry of higher Education
And Scientific research
University of Babylon
College education
History Department

Britain Political Toward Ottoman State 1798-1809

A thesis Submitted by:

Fahad Awaid Abid al-Bia`aje

To the council of college of Educction-Unviersuity
of Babylon in Partial fulfillment of the requirement
for degree of M.A. Modern History

Supervised by:

Ali Hadi Abass al-mahdaoy

2007A.D

1428A.H

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((وَأَمَّا قُتَيْبُ بْنُ لَيْلٍ فَإِنَّهُ أَعْلَى (اللَّهُ) فَهُوَ حَسْبُ))

قُتَيْبُ بْنُ لَيْلٍ (اللَّهُ) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الرَّحْمَنِ / الرَّحْمَنِ

أشهد بأن إعداد هذه الرسالة تم تحت إشرافي في كلية التربية – جامعة بابل، وهي جزء من متطلبات درجة ماجستير آداب في التاريخ الحديث.

التوقيع:

المشرف: أ. م. د. علي هادي عباس

المهдаوي

2007 / 10 / 11

إشارة إلى توصية الأستاذ المشرف، أشرح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع:

أ. م. د. زينب مرجان

رئيسة قسم التاريخ

رئيسة لجنة الدراسات العليا في قسم التاريخ

التاريخ : 2007 / 9 /

بسم الله الرحمن الرحيم

نشهد نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة، بأننا اطلعنا على هذه الرسالة، وناقشنا الطالب (محمد عويد عيد الشبرم) في محتوياتها وفي ما لسه علاقة بها، وقررنا بأنفسنا جديرة بالقبول بتقدير () أنيل شهادة ماجستير آداب في التاريخ الحديث.

التوقيع:

التوقيع:

التوقيع:

التوقيع:

التوقيع:

أ. د. فليح حسن الركابي

عميد كلية الآداب / جامعة بغداد

الشكر والتقدير .

وأنا أضع اللمسات الأخيرة على سطور هذه الرسالة ،تدفعني موجبات العرفان والتقدير أن أتقدم بخالص شكري إلى أستاذي المشرف الدكتور (علي هادي عباس المهداوي) لما أفاضه من صبره اللامحدود وملاحظاته القيمة ، مما كان له الأثر الكبير في أنجاز البحث بهذه الصورة .

كما تنتصب لدي نافذة الإكبار والتقدير إلى أساتذتي الأفاضل في السنة التحضيرية ابتداءً من الأستاذ الدكتور عبد الإله كربل ثم لرئاسة قسم التاريخ ممثلة بالدكتورة زينب مرجان ، وإلى الدكتور حسن عبد علي الطائي ،الذي لا أنسى بان له الفضل في توجيه اهتمامي نحو موضوع الدراسة ، والدكتور كريم مطر الزبيدي والدكتور عصام عبد الحسين الدليمي والدكتور ستار نوري العبودي لما أفاضوه من وافر علمهم فأدامهم الله شجرة وافرة بضلالها على طلاب علمهم

ويقينا إن كل ما حفظته من كلمات الثناء والتقدير والامتنان لايمكن إن ترقى إلى إيفاء حق أساتذتي في جامعة واسط ، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور خضير مظلوم البديري و الدكتور طالب محيبس الوائلي ،فلهما مني عميق شكري وامتناني .

كما واجعل شكري موصولاً بخيط العرفان إلى أساتذتي الذين أكرموني سواء أكان بملاحظاتهم أم بوقتهم أو بمكتباتهم الشخصية،فكان لإسهامهم أثره في تخفيف عبئ هذه الرحلة وهم أساتذتي الدكتور هاشم صالح التكريتي والدكتور طاهر يوسف الوائلي والدكتور يوسف عبد الكريم الرديني .

كما أود إن اشكر كل من الإخوة يوسف كاظم الشمري ويونس عباس الياسري و علي خوير الحجامي لما أبدوه من فضل جعلهم الله قادرين ومقتدرين عليه ،كما أود إن أعرب عن خالص تقديري إلى الإخوة العاملين في مكتبة وزارة الخارجية العراقية،ومكتبة كلية العلوم السياسية الجامعة المستنصرية ودار الكتب والوثائق ،والمكتبة المركزية(جامعة بغداد)، ومكتبات الدراسات العليا والآداب وقسم التاريخ في جامعة بغداد وكذلك العاملين في مكتبة كلية التربية (ابن رشد) ، والمكتبة المركزية في الجامعة المستنصرية ومكتبتي جامعتي واسط وبابل والإخوة في مكتبة الإمام الصادق (عليه السلام) في الحلة ،كما اشكر الإخوة في مكتب الميناء لما تحملوه من عناء في طباعة هذه الرسالة. ومن الله التوفيق0000 واليه الشكر والثناء0

قائمة المحتويات

ت	عنوان الموضوع	الصفحة
-1	الآية	
-2	الإهداء	
-3	الشكر والتقدير	
-4	المقدمة	9-1
-5	الفصل الأول. العلاقات البريطانية- العثمانية حتى العام: 1798	68-10
-6	أولاً. صلات بريطانيا المبكرة مع الدولة العثمانية.	30-10
-7	ثانياً. التغلغل البريطاني في الأقاليم العثمانية.	52-30
-8	ثالثاً. الموقف البريطاني من الصراع الأوربي-العثماني في القرن الثامن عشر.	68-52
-9	الفصل الثاني. سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية في ظل الغزو الفرنسي لمصر 1798 - 1801	118-69
-10	أولاً. الغزو الفرنسي لمصر والتحالف البريطاني - العثماني.	102-69
-11	ثانياً. العمليات البريطانية - العثمانية المشتركة وأجلاء الفرنسيين عن مصر.	118-102
-12	الفصل الثالث. التنافس الدولي حول الدولة العثمانية وأثره في السياسة البريطانية تجاهها 1801-1807:	152-119
-13	أولاً. استمرار الحذر البريطاني من النفوذ الفرنسي وعقد صلح أميان 1801 - 1803.	129-119
-14	ثانياً. انفراط التحالف البريطاني- الفرنسي والتقارب البريطاني - الروسي 1803-1807.	152-129
-15	الفصل الرابع. تأرجح السياسة البريطانية تجاه الدولة	196-153

	العثمانية 1807-1809 :	
173-153	أولاً. انحسار السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية آذار 1807 - أيلول 1807.	-16
159-153	1. الإجراءات البريطانية العسكرية في المضائق العثمانية.	-17
173-160	2. الحملة البريطانية على الإسكندرية.	-18
196-173	ثانياً. الاندفاع البريطاني تجاه الدولة العثمانية أيلول 1807 - كانون الثاني 1809.	-19
186-173	1. تزايد النفوذ الفرنسي وأثره على السياسة البريطانية	-20
196-186	2. نجاح السياسة البريطانية وعقد معاهدة الدردنيل عام 1809.	-21
199-197	الخاتمة	-22
204-200	الملاحق	-23
228-205	قائمة المصادر	-24

المحتويات

المقدمة

الفصل الأول. العلاقات العثمانية البريطانية حتى العام 1798:

أولاً. صلات بريطانيا المبكرة مع الدولة العثمانية.
ثانياً. التغلغل البريطاني في الأقاليم العثمانية.
ثالثاً. الموقف البريطاني من الصراع الأوربي-العثماني في القرن الثامن عشر.

الفصل الثاني. تنامي الموقف البريطاني من التغلغل الأوربي في الدولة

العثمانية 1789 - 1801:

أولاً. الغزو الفرنسي لمصر والتحالف البريطاني - العثماني.
ثانياً. العمليات البريطانية - العثمانية المشتركة وأجلاء الفرنسيين عن مصر.

الفصل الثالث. العلاقات البريطانية - العثمانية في ظل التنافس الأوربي على الدولة

العثمانية 1801-1807:

أولاً. الدبلوماسية الفرنسية الجديدة وانعكاساتها على العلاقات البريطانية - العثمانية
1801 - 1803.
ثانياً. العلاقات البريطانية - العثمانية في ظل احتدام التنافس الأوربي على الدولة العثمانية
1803-1807.

الفصل الرابع. تذبذب العلاقات البريطانية - العثمانية 1807-1809 :

أولاً. توتر العلاقات البريطانية العثمانية آذار 1807 - أيلول 1807.

1. الأفتحام البريطاني للمضائق العثمانية.

2. الحملة البريطانية على الإسكندرية.

ثانياً. تحول السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية أيلول 1807 - 1809.

1. تطورات الموقف الدولي وإنعكاساته على العلاقات البريطانية - العثمانية .

2 . التقارب البريطاني العثماني وعقد معاهدة الدردنيل عام 1809.

الخاتمة

الملاحق

قائمة المصادر

ABSTRACT

This study concerned of explanations of relation between British and Al-Othmanian through the years 1798-1809, the first chapter talked about the first steps for these relations which back to the middle of Sixth Century with explaining the reasons that pushed Britain for that and connected with Othmanin country and the reasons that make Othmanian to welcome of this relation

The British started to build Trade relations with Othmaians and did many bonds they got it through Othmani Regions. The British did foundation many trade companies that put many items to practice in the field. The British also use the benefits of this relation and start to settle down in these regions by using the situation of Othmanins at that time and their relation .

The British benefits in the Othmanin country make the defend against any threaten to the Othmanians and its Regions. So British started their when Napilyon moved to invade Egypt, the Negotiations and held a bond with Othmanin and the diplomatic result was dismissed from Egypt and the Authority back to the Othmanian .

The British were care about their benefits and they were against any threaten to the Othmanin, because it want to keep their Military bases in Egypt, but the British left Egypt to the Othmanian because they and the French insist for that . The British failed to stay long in Egypt and they tried with Russian to violate the good relation between the French and Othmanins. So the British and Russian started to pressure on Othmanin to isolate it from France This lead the two countries to start war against Othmanian and the Russia invade two Regions Wlatia and Muldavia and the British sent Troops to the Al-escndria and other places in Othmanian country but this style kept the relation between France and Othmnan more closer

The military style failed in achieving aims. The international situations changed and forced the British to follow diplomatic style with the Ottoman Empire. The British achieved their aims by keeping close to the Ottoman Empire. The relation between Russia and France became good so the Ottomans were upset from that relation, so that the British and Ottomans made an agreement called Al-Drdeneel for peace and trade in the fifth of December 1809 which brought back again the political relations and trade between the two countries.

المقدمة

تعاني المكتبة العربية نقصاً واضحاً في الدراسات المتخصصة في تاريخ الدولة العثمانية عامة والمسألة الشرقية خاصة، مما حفز الباحث للغور في هذا الحقل التاريخي. فلم تحظ سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية، بعناية كافية من الباحثين العراقيين، مما أظفى على الموضوع ميزة أخرى تجعله جديراً بالدراسة، مع يقيننا بأن موضوع سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية طيلة القرن التاسع عشر، لا يزال موضوعاً بكرراً ويحتاج الى الكثير من الدراسات للوقوف عليه بالتفصيل. أما مبررات إختيار العامين (1798- 1809) إطاراً زمنياً للدراسة، فتكمن في الأسباب الآتية:-

1- شهد العام 1798 ولأول مرة تحولاً في سياسة بريطانيا الخارجية إذا زادت من نشاطها السياسي على حساب نشاطها التجاري ، على أثر ماشهده ذلك العام من غزو فرنسي لجزء من الدولة العثمانية (مصر)، وما تولد عن ذلك من ردود فعل بريطانية عنيفة، أصبحت معها طرق التجاره البريطانية الى الهند، بل الهند برمتها، قاب قوسين أو أدنى من غزو فرنسي محتمل.

2- أما العام 1809 فقد شهد عقد معاهدة السلام والتجارة البريطانية – العثمانية المسماة "معاهدة الدردنيل"، التي أنهت مرحلة من التوتر بين بريطانيا والدولة العثمانية غطى الأعوام 1807 – 1809.

3- إن المدة المحصورة بين العامين 1798 و 1809، تعد حقبة نموذجية في تاريخ السياسة البريطانية من الناحية الموضوعية، إذ تتوافر فيها شروط الموضوع المستقل وبصورة واضحة، فيمكن أن ينظر إليها على أنها تشكل الجذور السياسية الأولى لتوجهات بريطانيا إزاء الدولة العثمانية، إذ أن دراستها بصورة مستقلة وتفصيلية فيها تعليل للكثير من المواقف البريطانية تجاه قضايا الدولة العثمانية في مراحل لاحقة من القرن التاسع عشر وحتى سقوط الدولة العثمانية في الربع الأول من القرن العشرين.

ونظراً لسعة الموضوع كنتيجة حتمتها سعة مساحة الدولة العثمانية من جهة، وتنوع مصالح بريطانيا وأساليبها السياسية من جهة أخرى، الى درجة جعلت من الصعب على الباحث أن يللم أطراف الموضوع، بل جعلته غاية في التعقيد في مواقف محددة، لذا أثرنا بحث الموضوع على وفق منهج علمي، يجمع قدر الإمكان بين اعتماد التسلسل الزمني للأحداث وبين الالتزام بوحدة الموضوع، فجاءت فصول الرسالة مقسمة على مراحل

زمنية قصيرة، أعتمد في تقسيمها أحداث بارزة تتضمن كل منها موضوعاً فرعياً مرتبطاً بالموضوعات الأخرى وبطبيعة التطورات العامة للإطار الزمني العام للدراسة.

تتألف الرسالة من اربعة فصول تسبقها مقدمة وتعقبها خاتمة وعدد من الملاحق وثبت للمصادر. وبما أن سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية تستند إلى مقومات تعود الى ما قبل عام 1798 إذ يصعب فهم تقلبات تلك السياسة وتفسيرها فيما بعد ذلك العام ، دون الإلمام الكافي والتوضيح الوافي لأهم ما يمت بصلة الى تلك المقومات، فقد كرسنا فصلاً مطولاً نقر بأنه بحجمه الكبير قد تجاوز ضوابط البحث المنهجية، لكنها كبوة لم نر بدأ منها.

جاء الفصل الأول في ثلاثة مباحث، ناقش الأول منها اسباب توجه بريطانيا التجاري الى خارج القارة الأوربية، وقد تضمن أسباباً داخلية تتعلق بطبيعة تطور المجتمع البريطاني، وأخرى تتعلق بتوجه بريطانيا العام نحو الشرق لاسيما الهند، ومع إقرارنا بأن هناك أسباباً خاصة بالأخيرة جعلت بريطانيا توليها أهمية فائقة، كما وقف المبحث على أهم وسائل السياسة البريطانية واذرعها التنظيمية، المتمثلة بالشركات التجارية وكيفية نشأتها، وظروف تلك النشأة، ثم ما جنته بريطانيا من ثمار توجهها نحو الدولة العثمانية، وتأسيسها هذه الشركات فضلاً عن المعاهدات والامتيازات التي حصدها، فكانت هذه النتائج المباشرة للتوجه البريطاني خاتمه المبحث الأول، وأستهلاً للمبحث الثاني الذي ناقش عمليات التغلغل البريطاني في الاقاليم العثمانية، على أساس الطرق التجارية التي سلكتها التجارة البريطانية بغية تغطية كل ما وصل اليه التغلغل البريطاني في تلك الأقاليم، أما المبحث الثالث فجاء ليجيب عن تساؤل مهم، هو أن بريطانيا التي وجهت أنظارها نحو الدولة العثمانية، وعقدت معها المعاهدات التجارية، وتغلغلت في أقاليمها، ثم ارتبطت بمستعمراتها في الهند عبر الطرق الخاضعة للسيادة العثمانية، فترتب على ذلك نشوء مصالح لبريطانيا، فهل من السهل عليها تجاهلها ؟ مبررين بذلك الموقف البريطاني من الصراع الأوربي العثماني، الذي أشد مع مطلع القرن الثامن عشر، على أثر الضعف والتداعي الذي أصاب الدولة العثمانية، مما قد يفضي بالنهاية الى الإضرار بالمصالح البريطانية.

أما الفصل الثاني فتناول طبيعة تنامي الموقف البريطاني من التغلغل الأوربي في الدولة العثمانية، أستهل الموضوع بمبحث عن الحملة الفرنسية على مصر، وماتوّلدها من ردود فعل بريطانية، بعد أن عدّت الأوساط السياسية والعسكرية، سواء أكانت في لندن أم الهند، أن تلك الحملة هي الخطوة الأولى لوثوب نابليون الى الهند، فأخذت تركز جهودها وتبذل المساعي الحثيثة للتقارب مع الدولة العثمانية في محاولة منها لوأد المشروع الفرنسي في مهده، وقد خصصنا مبحثاً آخر يقف بالتفصيل حول آلية تحقيق ذلك.

لا يعني فشل الحملة الفرنسية على مصر وعودة جيوشهم من حيث أتت، أن الفرنسيين تركوا الباب مفتوحاً على مصراعيه لنشاط بريطاني أوحده في الشرق، أو لأرجحية بريطانية مطلقة في المنطقة، لأن نابليون سرعان ما استأنف علاقاته مع الباب العالي الذي كانت له آثار بالغة انعكست بوضوح على مجرى العلاقات البريطانية العثمانية المتعرج. ولأستجلاء كل ذلك والوقوف على تفاصيله خصصنا له المبحث الأول من الفصل الثالث، ويمكن أن نزع أن التوجه الفرنسي الجديد لم تنحصر إنعكاساته في حدود العلاقات البريطانية العثمانية، إنما تعداه إلى تصادم فرنسي مع المطامح الروسية في الدولة العثمانية، مما أسفر عنه تقارب فرنسي عثماني، أزعج بريطانيا كثيراً ودفعها إلى التقارب مع الروس، فصارت أسطنبول ميداناً تتقاطع فيه السياسات الثلاث البريطانية والفرنسية والروسية، وظهر معسكرين أو تحالفين جديدين أحدهما تمثل بالتحالف الفرنسي العثماني والثاني بالبريطاني الروسي، فكانت آلية حدوث كل ذلك هي الفرضية الأساس للمبحث الثاني من الفصل الثالث.

وكشف الفصل الرابع في مبحثيه الأول والثاني عن أفراسات التمحوور الجديد في الموقف الدولي، وأثره على العلاقات البريطانية العثمانية، فكانت أوضح تلك الإفرازات إستعمال بريطانيا أسلوب القوة العسكرية في محاولة علّها تنجح من خلالها في ثني الدولة العثمانية عن تقاربها مع فرنسا، فشنت حملتها على المضائق، وأرسلت حملة أخرى إلى الإسكندرية، ولما لم تحقق تلك الحملات ما كانت تصبو إليه الحكومة البريطانية، ثم ما حدث من تغيرات في الموقف الدولي، خلقت جواً أقنع البريطانيين باستحالة العمل في ظله دون تغيير استراتيجي لخطتها المطروحة تجاه الباب العالي، أسفر ذلك عن إنعطافة في سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية كانت أبرز نتائجها انتهاء حالة الصراع بين الدولتين وعقد معاهدة الدردنيل للسلام والتجارة.

كانت غاية المرام، أن تحتل المصادر الأصلية النصيب الأوفر من معلومات الدراسة لكن ما يجدر التنويه عنه أن الوثائق البريطانية الخاصة بموضوع الدراسة- معظمها إن لم تكن أهمها- قد نشرت في سجلات وثنائية أشرف عليها مؤرخون متخصصون، لذا فقد جعلنا الوثائق البريطانية المنشورة وجهتنا فأعتمدنا على تلك الواردة في السجل الوثائقي الضخم المعنون (مجموعة المعاهدات الدولية)

The Consolidated Treaty Series

الذي اشرف عليه كلايف باري C. Parry ، وتركزت حاجتنا فيه على الأجزاء 54 و 55 و 56 و 59 و 60 المحفوظة في أرشيف وزارة الخارجية العراقية. كما أعتمدت الدراسة على

الوثائق التي جمعها وأعدّها المؤرخ البريطاني ماثيو أندرسون M. S. Anderson في كتابه الوثائقي (القوى العظمى والشرق الأدنى 1774 - 1923)

The Great power and the Near East 1774-1923.

وتأتي أهمية هذا الكتاب الوثائقي من زاويتين، الأولى أهمية المؤلف نفسه، إذ أنه يعد من أكبر المتخصصين في تاريخ المسألة الشرقية، وله كتب مهمة في هذا الحقل، والثانية نابعة من أهمية السجل الوثائقي ذاته، إذ حوى كل المعاهدات التي وقعتها الدولة العثمانية مع الدول الأوروبية بين الأعوام (1774 - 1923)، ولأجل كل ذلك لا نجانب الحقيقة إذا قلنا بأنه لا يمكن لأي باحث في تاريخ الدولة العثمانية أو المسألة الشرقية، أن يتناول هذه الحقول دون أن يمر بما ورد فيه.

واعتمدت الدراسة أيضاً على الأجزاء الأولى من مؤلفي المؤرخ هوروتز J. C. Hurewitz المعنوين (الدبلوماسية في الشرقين الأدنى والأوسط. سجل وثائقي) Diplomacy in the Near and Middle east. A documentary Record: الذي يقع في جزأين، يغطي الأول الفترة من 1535-1914، أما كتابه الثاني (الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في السياسة العالمية. سجل وثائقي)

The Middle East and North Africa in world Politics. A documentary Record:

وهو أيضاً بجزئين، إعتدنا الجزء الأول منه فقط والذي يغطي الفترة 1535-1914، وأمتاز هذان الكتابان بيسر استعمالهما لقيام المؤلف بوضع عناوين خاصة لوثائقه الواردة، ومقدمات تاريخية لتلك الوثائق، فمثلت هذه المقدمات ونصوص الوثائق مادة لا يمكن للباحث الإستغناء عنها. واستقت الرسالة أيضاً بعض موادها من السجل الوثائقي المعنون:

(الوثائق التاريخية الانكليزية) English Historical Document:

وأشرف على هذا السجل الضخم الواقع في ثلاثة عشر مجلداً، المؤرخ ديفيد دوكلاس D. C. Douglas وتركز اهتمامنا على الجزء الحادي عشر الذي غطى السنوات 1783 - 1832. فضلاً عن كتب وثائقية أخرى يمكن الاطلاع عليها في قائمة المصادر.

أما الكتب الوثائقية باللغة العربية فقد أفاد الباحث من السجل الوثائقي المعنون (مجموعة المعاهدات والتعهدات والسندات ذات العلاقة بالهند (البريطانية) والخليج (والجزيرة العربية) الذي جمع مادته الوثائقية وصنفها سي يو أتجيسون بي سي أس⁽¹⁾. ثم

(1) كان أتجيسون وكيل حكومة الهند البريطانية في الخارجية الهندية .

قام العميد البحري الركن عبدالوهاب عبدالستار القصاب بترجمة أجزائه الثلاثة الأولى والملاحق الخاصة بها من المجلد الحادي عشر من ذلك الكتاب، ونشرها في كتاب حمل العنوان نفسه لتعم فائدته ناطقي اللغة العربية. ووقف الباحث أيضاً على الوثائق التي جمعها وقدم لها وعلق عليها الدكتور راشد البراوي في كتابه (مجموعة الوثائق السياسية)، الجزء الأول (المركز الدولي لمصر والسودان وقناة السويس).

رفدت الدراسة أيضاً عدد من الكتب باللغات الأجنبية، تأتي في طليعة الكتب الأنكليزية كتاب المؤرخ الأمريكي ستانفورد شو S. Shaw المعنون (تاريخ الإمبراطورية العثمانية وتركيا الحديثة)

History of the Ottoman Empire and Modern Turkey)

الذي يغطي الجزء الأول منه الفترة الزمنية 1280 - 1808 أي من تأسيس الدولة الى بداية حكم السلطان محمود الثاني. أما الجزء الثاني الذي أسهمت معه في أنجازه زوجته Ezel Kural Shaw الباحثة في مركز الدراسات الشرقية التابع لجامعة كاليفورنيا، فيغطي الفترة 1808 - 1975 ، وبصورة عامة فإن الكتاب بجزئيه الأول والثاني لا يمكن أن يستغني عنه أي باحث في تاريخ الدولة العثمانية، فقيمة هذا الكتاب تأتي من الجهود العلمية التي بذلها مؤلفه طيلة عشرين عاماً، مستنداً على ما تضمنته الأراشيف العثمانية والأوربية. وتحت عنوان المسألة الشرقية أفدنا كثيراً من كتاب المؤرخ البريطاني ماثيو أندرسون المعنون (المسألة الشرقية 1774 - 1923 دراسة في العلاقات الدولية)

The Eastern Question 1774 – 1923. A study in International Relations.

وكذلك كتاب ماريوت J. A . R. Mariott المعنون (المسألة الشرقية: دراسة تاريخية في الدبلوماسية الأوربية)

The Eastern Question. An Historical study in European Diplomacy.

ويعد هذين الكتابين من أفضل المؤلفات التي تناولت العلاقات العثمانية الأوربية، وقد أفادا الرسالة في كافة فصولها. ولا يقل عن أهمية هذه المؤلفات كتاب وليم ملر W. Miller المعنون: (الإمبراطورية العثمانية وسلطانيتها)

The ottoman Empire and its Successors 1801 -1927

لما حواه هذا الكتاب من معلومات وافيه عن الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية مع الدول الأوربية، وكذلك مؤلفي المؤرخ كريسي E. S. Creasy المعنونين: (تاريخ العثمانيون

الأتراك) History of the ottoman Turks و (الأتراك) Turks . وتأتي أهمية مؤلفات هذا المؤرخ كونه أحد المتخصصين في الشأن العثماني.

كما افدنا من كتاب: (نابليون والدردنيل) Napoleon and the Dardanelles لمؤلفه فيرنون جي بوريير V. J. Puryear لا سيما في الفصلين الثالث والرابع من هذه الرسالة، وعلى الرغم مما يوحي به عنوان الكتاب من أنه دراسته مركزه في التوجه الفرنسي نحو الدولة العثمانية، لكنه في الواقع كان بحثاً شاملاً لردود الأفعال البريطانية والروسية والنمساوية والعثمانية لذلك التوجه ويغطي المرحلة 1798 - 1815، وما يميز الكتاب فضلاً عن ذلك أن مؤلفه وقف فيه على كم هائل من الوثائق العثمانية والأوربية، الى درجة صار معها الكتاب أشبه بالوثائقي، كما أن مؤلفه المؤرخ بوريير معروف بتخصصه بالتاريخ الدبلوماسي للشرق الأوسط، فله مؤلف آخر بعنوان "أنكلترا وروسيا ومسألة المضائق 1844 - 1856 (لم نستعمله لخروجه عن بحثنا)، وصفه من تابعوا المؤلف ومؤلفاته بالبحث والدراسة بأنه (عظيم المنزلة)⁽¹⁾. وجدير بالذكر أن هناك مصادر كثيرة تحتل أهمية لاتقل عن أهمية المصادر التي تم التنويه عنها، فمؤلفات كل من محمد شفيق غربال (Ghorbal)⁽²⁾ و A. wood و Hoskins وغيرهم تحتل مكانة ملموسة في هوامش الرسالة، لما حوته من معلومات مهمة.

ولعدم حصولنا على وثائق عثمانية، فقد حاولنا الاستفادة من الكتب العثمانية، فوجدنا ضالتنا في كتاب "تاريخ جودت" لمؤلفه أحمد بن إسماعيل جودت، لكننا لسوء الحظ لم نعثر في الترجمة العربية لهذا الكتاب إلا على جزئه الأول، بينما تركزت معظم حاجتنا في جزئه الثامن فأضطررنا الى ترجمة حاجتنا منه في ظروف مادية وأمنية لايعلم قسوتها إلا الله، فضلاً عن بعض المصادر العثمانية الأخرى.

أما المصادر باللغة الفرنسية فيأتي كتاب (تاريخ الأمبراطورية العثمانية) Historie De 'l Empire Ottoman لمؤلفه جونكييه Jonquiere وكتاب (تاريخ مصر) Historie De 'l Egypt لمؤلفه فيجينييه Vajunay من أهم الكتب التي اعتمدت عليها الرسالة في فصلها الثاني. أما الكتب الفارسية فيأتي في مقدمتها كتاب (تاريخ سياسي ودبلوماسي إيران) لمؤلفه علي أكبر بينا وكتاب (نابليون وإيران) لمؤلفه أيرج أميني، وقد أفدنا من هذين الكتابين في الفصل الرابع، بعد أن ثبتت حاجتنا الى معرفة أثر التوجه

(1) الوصف للمؤرخ جيمس أخموتي في بحث قام بترجمته ونشره د. عبدالرحمن زكي ، في المجلة التاريخية المصرية، المجلد السابع ، 1957.

(2) كتاب محمد شفيق غربال (Ghorbal) هو في الاصل دراسة تقدم بها الى جامعة لندن لنيل شهادة الماجستير.

الفرنسي نحو بلاد فارس على توجهها نحو الدولة العثمانية، ومن ثم أثر ذلك على العلاقات البريطانية العثمانية.

ورفدت عدد من الكتب العربية والمعرّبة الرسالة بمعلومات مهمة في مقدمتها كتاب (الدولة العثمانية تاريخ وحضارة) الذي أشرف عليه وقدم له أكمل الدين أحسان أوغلو وقام بترجمته صلاح سعداوي، فكانت حاجتنا منه في الفصلين الأول والثاني من الباب الأول من الكتاب، إذ كتب الأول المؤرخ فريدون امجن تحت عنوان (التاريخ السياسي للدولة العثمانية منذ قيام الدولة حتى معاهدة قينارجة الصغرى)، وكتب الثاني المؤرخ كمال بكديلي تحت عنوان (الدولة العثمانية من معاهدة قينارجة الصغرى وحتى الانهيار) وأفدنا أيضاً من الباب الثاني المعنون (نظم الدولة العثمانية) الذي كتبه المؤرخ محمد أبشيرلي، وما كتبه المؤرخ عبد القادر أوزجان في الفصل الرابع من الكتاب وعنوانه بـ (النظم العسكرية العثمانية) وتأتي أهمية هذا الكتاب أنه في الأساس مجموعة بحوث كتبها مؤرخون أتراك، هم اساتذته متخصصون في الجامعات التركية، وأن ماورد فيه يمثل وجهة النظر التركية، الأمر الذي لا يمكن للباحث تجاهله. هذا إلى جانب كتب بعض المؤرخين الأتراك، منهم الميرالاي إسماعيل سرهنك في كتابه (حقائق الأخبار عن دول البحار) المطبوع في العام 1894، وكان المؤلف يعمل ناظراً للمدارس الحربية في أسطنبول، وكتاب إبراهيم أفندي الطبيب الأول للعساكر الشاهانية الموسوم (المصباح الساري ونزهة القاري) المطبوع سنة 1855.

أما الكتب الحديثة فيأتي في مقدمتها كتاب المؤرخ التركي خليل إينالجيك، الموسوم بـ (تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار) وكتاب المؤرخ التركي يلماز أوزتونا الذي اسماه (تاريخ الدولة العثمانية)، ولما كان من الصعب الوقوف على تفاصيل السياسة البريطانية في الأقاليم العثمانية دون الرجوع إلى مصادر اهتمت بهذا الشأن، افدنا كثيراً من مؤلفات الشيخ عبد الرحمن الجبرتي فيما يتعلق بمصر، ولهذا المؤلف ومؤلفاته أهمية خاصة، فعلاوة على معاصرته للمرحلة موضوعة البحث، فإنه يعدّ من أثقف مثقفي جيله، كما أعتمدنا على مؤلفات الدكتور محمد فؤاد شكري الذي تأتي أهميته من اعتماد المؤلف في صياغتها على كم هائل من الوثائق الفرنسية والبريطانية.

أما عن العراق فقد أعتمدنا مؤلفات الدكتور زكي صالح والدكتور علاء نورس والدكتور عماد عبد السلام رؤوف والدكتور يقظان العامر، أما عن الخليج العربي فقد أعتمدنا كتاب لوريمر المعروف إلى جانب مؤلفات كل من جون كيللي والدكتور عبد الأمير محمد أمين والدكتور صالح العابد، وحول الحجاز واليمن إعتمدنا مؤلفات كل من الدكتور فالح الحمدي والدكتور جاد طه، وحول الشام أعتمدنا مؤلفات الدكتور أحمد عزت عبدالكريم

والدكتور عبدالكريم غرايبه، أما القوى الإقليمية المجاورة لاسيما بلاد فارس فقد أفادتنا في الوقوف عليها مؤلفات الدكتور خضير مظلوم البديري، وغيرهم⁽¹⁾.

وزودت البحوث العربية والأجنبية الرسالة بمعلومات قيمة، فمن البحوث العربية بحث الدكتور هاشم التكريتي (الصراع الروسي الفرنسي في البلقان في مطلع القرن التاسع عشر) وبحث الدكتور باسم حطاب الطعمه (الموقف الرسمي العثماني من الاحتلال الفرنسي لمصر) في طليعة ما أستفدنا من بحوث. أما الأجنبية، فمنها بحث كراولي Crawley. C. W. (الشرق الأدنى والدولة العثمانية 1798-1830)

The Near East and the Ottoman Empire 1798 -1830

وكذلك بحث براون المعنون (توازن القوى خلال السنوات 1793 و 1814) The Balance of Power during the Years 1793- 1814 المنشوران في موسوعة كامبردج، الذي أفاد البحث كثيراً.

وقد واجهتنا صعوبات عديدة في اعداد هذه الرسالة، تتقدمها ندرة الوثائق الخاصة بالموضوع لاسيما العثمانية منها، بعد تعرض المؤسسات الرسمية المحفوظة فيها هذه الوثائق إلى عمليات التدمير، وهنا لابد أن أدون أن حالة الأفتقار الى الوثائق العثمانية دفعنا الى الحرص على الاستخدام الأمثل للوثائق البريطانية والكتب العثمانية الرصينة أو البحوث التي كانت مادتها الأساسية مستقاة من الوثائق العثمانية، فضلاً عن الاعتماد على بحوث عدد من المؤرخين الأتراك والإنكليز، و مادونه بعض من عاصروا الأحداث. وبعد فالكمال لله وحده، فان وجد أساتذتي ما يؤاخذ عليه في البحث، فحسبي أنني عند أول خطوة وان وجدوا فيه ما يُفيد فالفضل لله عز وجل.

والله ولي التوفيق

الباحث

(1) يمكن الاطلاع على أسماء مؤلفاتهم في قائمة المصادر.

الفصل الأول

العلاقات البريطانية-العثمانية حتى العام 1798

أولاً. صلات بريطانيا المبكرة مع الدولة العثمانية:

تعد إنكلترا بلداً متأخراً في مجال الاستكشافات الجغرافية والتجارة فيما وراء البحار مقارنة بأسبانيا والبرتغال⁽¹⁾ حين تولت الأولى النشاط التجاري مع القارة الأمريكية، وتزعمت الثانية التجارة الشرقية⁽²⁾، ومع اختفاء أسباب ذلك التأخر⁽³⁾ وما شهدته البلاد من تحولات سياسية خطيرة تمخضت عنها تطورات اقتصادية واجتماعية ملموسة، كان لها أبلغ الأثر بآنتعاش التجارة الخارجية⁽⁴⁾.

وقد كان إعتلاء ملوك أسرة آل تيودور عرش إنكلترا في مقدمة تلك التحولات السياسية، إذ أثرت تأثيراً بالغاً في واقع البلاد الاقتصادي والاجتماعي ونقلتها إلى

(1) إبراهيم، عبد الفتاح، على طريق الهند، جمع وتحقيق شهاب احمد الحميد، تقديم كمال مظهر احمد، (دار الشؤون الثقافية العامة، ط3، بغداد، 2004)، ص42.

(2) لمزيد من التفاصيل حول النشاط الأسباني والبرتغالي يراجع:

Arnold.Divad, The Age of Discovery 1400-1600,(London,N.D), PP.14 -39.

(3) عانت انكلترا طوال القرنين الرابع عشر والخامس عشر من مشكلات كثيرة داخلية وخارجية، اشغلتها كثيراً عن عالم الاستكشافات والتوجه نحو العالم البعيد، ومن هذه المشاكل صراعها مع فرنسا عشية حرب المئة عام. ثم انشغلت انكلترا بحرب المئة عام (1337-1453) مع فرنسا، ثم الموت الأسود (الطاعون) (1348-1349) ثم الحرب الأهلية المسماة بحرب الوردتين (1455-1485) بين عائلتي يورك ولانكستر فأسهم كل ذلك في اعاقه تجارتها الخارجية فيما وراء البحار. للتفاصيل حول كل ما سبق يراجع:

Lunt. M. E, History of England, Third Edition,(New York, 1947), PP.222-232, 261-281; Hayes. J. Carlton, History of Europe, Vol. V, (New York, 1949), PP, 342-352;

التكريتي، هاشم صالح، الصراع الدبلوماسي بين انكلترا وفرنسا قبيل حرب المئة عام 1329-1337. المجلة التاريخية العراقية، العدد الرابع، (بغداد، 1975)، ص342-365؛ اليوسف، عبد القادر احمد، العصور الوسطى الأوربية 476-1500، (بيروت، 1967)، ص259-272 .

(4) أحمد، كمال مظهر، النهضة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، 1979، ص32؛ القيسي، محمود عبد الواحد، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الإنكليزية في الهند 1600-1668، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 1993، ص19.

طور أكثر تقدماً وانفتاحاً على العالم الخارجي⁽¹⁾ وبما إن أرتباط إنكلترا بالأصقاع البعيدة في العالم تطلب اهتماماً بالأسطول والتجارة الخارجية والمعاهدات التجارية، فقد عبر الملوك الأوائل من هذه الأسرة⁽²⁾ عن اهتمامهم بخطوات جدية انصبت في خدمة هذه الميادين⁽³⁾.

جاء في مقدمة المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية التي تمخضت عن ذلك التحول السياسي، هو النمو المطرد لدور الطبقة البرجوازية الإنكليزية التي وصفت في تلك المرحلة بأنها ((متكاملة من جميع الوجوه تقريباً))⁽⁴⁾ إذ أيقنت هذه الطبقة بأن من مصلحتها تدعيم نفوذ الملكية ليسود الاستقرار مع ضمان عدم العودة للحرب الأهلية، فنتمكن من ممارسة نشاطها التجاري وتضاعف ثرواتها⁽⁵⁾.

وفي ظل هذا التقارب بين أهداف الطبقة البرجوازية وأهداف الملكية كان لا بد ان يسود المذهب التجاري (الماركنيتيلي)⁽⁶⁾ لتنظيم الحياة الاقتصادية لاسيما وان هذه الرأسمالية الحديثة لم تكن تستطيع ان تصل إلى ما ترنو إليه من أهداف واسعة

(1) هادي، جاسم محمد، التغلغل البريطاني في الهند 1668-1764. اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 2001، ص16.

(2) المقصود بهم الملوك الذين حكموا انكلترا قبل الملكة اليزابيث وهم هنري السابع (1485-1509) وهنري الثامن (1509-1547) وادوارد السادس (1547-1553) والملكة ماري (1553-1558).

(3) عن خطواتهم يراجع: القيسي، المصدر السابق، ص19-25.

(4) أحمد، النهضة، ص8.

(5) فشر، هربرت، اصول التأريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوربية الى الثورة الفرنسية، ترجمة زينب عصمت راشد، وأحمد عبد الرحيم مصطفى، (دار المعارف، القاهرة، 1962)، ص116.

(6) الماركنيتيلية (Mercantilism): نظام اقتصادي واصطلاح متداول في اوربا منذ القرن السادس عشر وحتى القرن الثامن عشر، أي خلال مرحلة انحلال النظام الأقطاعي، يهدف الى تنظيم الحياة الإقتصادية من صناعة وتجارة واحتكارات خارجية من قبل الدولة. ويقوم ذلك على اساس ان الذهب والفضة هما عماد الثروة بالنسبة للدولة ولهذا يجب توفيرها بكميات كبيرة في خزانة الدولة لزيادة هيبتها، ويأتي كل ذلك عن طريق تنشيط التجارة الخارجية ونهب المستعمرات وشن الحروب التجارية.

The New Encyclopedia Britannica, Vol.8, (The University of Chicago, 1968), P. 26.

لواعتمدت على ثرواتها المحلية فقط (1)، لأن إنكلترا كانت تنقصها الكثير من مصادر الثروة التي لم تكن موجودة فيها أصلاً، مما حتم عليها ممارسة التجارة مع الشرق (2).

ومن الأسباب الأخرى التي تركت أثرها في الأندفاع الإنكليزي نحو التجارة الشرقية، هي ما تمخضت عنه حركة الإصلاح الديني من آثار مهمة في هذا السياق. أولها انتشار المذهب البروتستانتي في إنكلترا (3) الذي جعل الإنكليز لا يعترفون بمصادقة البابا اكسندر بورجيا (Accender Borgia) على مضامين معاهدة تورد سيلاس (Tord Selas) التي قسمت المناطق المكتشفة بين دولتين هما أسبانيا والبرتغال (4) بل تجاوز الرد الإنكليزي بعدم الإعتراف بهذه المعاهدة إلى ((التساؤل عن الحق الذي يخول البابا وهو من أصل أسباني تقسيم العالم بين الأسبان والبرتغاليين)) (5) وعززت هذا الشعور الإنكليزي جاذبية الثروات التي كانت تصل إلى لشبونة (6).

(1) كبة، إبراهيم، دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الإقتصادي، ج1، (ط2، بغداد، 1977) ص502-507.

(2) صالح، محمد محمد، أوربا من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية 1500-1789، (بغداد، 1982)، ص157-158.

(3) عن انتشار المذهب البروتستانتي يراجع: بالمر. ر. روبرت، تاريخ العالم الحديث، ترجمة محمود حسن الأمين، ج1، (بغداد، 1963)، ص128-151؛ فشر، أصول التاريخ الأوربي الحديث...، ص111-131.

(4) وقع ممثلوا أسبانيا والبرتغال على هذه المعاهدة في السابع من حزيران 1494، وقد نصت على إعطاء البرتغال كل ما اكتشف ويكتشف شرقي خط يرسم بطول المحيط الأطلسي على بعد 370 ميلاً غربي جزائر الرأس الأخضر، في حين يعطي لأسبانيا كل جزء يقع غربي هذا الخط وقد سنت البابوية مراسيم مؤيدة لما ورد في المعاهدة في الأعوام 1506 و 1514. ك. م. بانيكار، اسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، (القاهرة، 1962)، ص55؛ بوندا ريفسكي، الغرب ضد العالم الإسلامي من الحملات الصليبية حتى أيامنا، ترجمة الياس شاهين، (دار التقدم، موسكو، 1985)، ص17؛ فشر أصول التاريخ الأوربي الحديث...، ص78.

(5) عبد الحميد البطريق وآخرون، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، (مطبعة الرياض، الرياض، د. ت)، ص51؛ فشر، أصول التاريخ الأوربي الحديث...، ص19.

(6) بولارد، ريد، بريطانيا والشرق الأوسط من أقيم العصور حتى 1952، ترجمة حسن أحمد السلمان، (مطبعة الرابطة، بغداد، 1956)، ص20؛ القيسي، المصدر السابق، ص19.

ومن الآثار الأخرى التي تركتها حركة الإصلاح الديني وصبت نتائجها في تقوية إنكلترا واتجاهها نحو التوسع الاقتصادي، هو الانفصال الكنسي الذي حدث في عهد هنري الثامن (Henrey VIII) (1509-1547). فقد توقف بذلك سيل الأموال التي كانت تذهب من إنكلترا إلى البابوية في روما⁽¹⁾. وتزداد قيمة تلك الأموال عندما نعلم بأن عوائد البابوية من إنكلترا في سنة 1376 مثلاً كانت أكثر من ميزانية الملك بخمسة أضعاف⁽²⁾. وبإضافة هذا الرقم إلى عوائد أراضي وخزائن ما يقارب ستمائة دير تابع للبابوية حل في إنكلترا تكون الملكية قد سيطرت على ما يقارب خمس الأراضي الزراعية فضلاً عن مقادير كبيرة من الثروة المنقولة، فترتب على كل ذلك زيادة قوة الملكية وإقدامها على عدة مشروعات منها قيام هنري الثامن ببناء أسطول قوي شكل الأساس للقوة البحرية الإنكليزية⁽³⁾ وبطبيعة الحال لا بد وأن يترك كل ذلك أثره في تشجيع التجارة الخارجية مع العالم البعيد⁽⁴⁾. وكان لسيادة المذهب الماركنتيلي وزيادة قوة الملكية بالشكل الذي يجعلها قادرة على حماية مصالح تجار البلاد، فضلاً عن تطورات المدينة الإنكليزية وانتعاش الصناعة وانتشار المعامل الحديثة⁽⁵⁾ قد ترك أثره على حساب الزراعة فقد انتشرت في إنكلترا حركة سميت بحركة (التسييج Enclosures) وسببها تفضيل أصحاب الحقول تحويل أراضيهم الزراعية إلى مراعي للأغنام بهدف التجارة المربحة بأصوافها، طالما وان استغلال الأرض بهذا الشكل يوفر عوائد أكثر من فوائد زراعتها بمقدار الضعف⁽⁶⁾ ولم تتدخل الحكومة الإنكليزية

(1) البطريق، المصدر السابق، ص190.

(2) اليوسف، المصدر السابق، ص308؛ التكريتي، هاشم، الصراع الدبلوماسي بين إنكلترا وفرنسا...، ص350.

(3) في عهد الملك هنري الثامن تم تأسيس نظام دقيق لقيادة القوة البحرية ومؤلف من القائد الأعلى ومجلس البحرية ومراقب الحسابات بموجب قانون صدر في عام 1546 وكان هذا النظام النواة لقيام البحرية الملكية (Royal Navy) في عهد الملك شارل الثاني (Charls II) في سنة 1660. القيسي، المصدر السابق، ص23.

(4) فشر، أصول التاريخ الأوربي الحديث...، ص116.

(5) للوقوف على تطور الصناعة الأنكليزية في تلك المرحلة يراجع:

Lunt, OP. Cit, PP. 290 – 291.

(6) Ibid , p. 291;

البطريق وآخرون، المصدر السابق، ص192؛ فشر، اصول التاريخ الأوربي الحديث...، ص114-115.

في منع ذلك لأن هذه العوائد كانت خاضعة للتشريعات الضرائبية التي ساهمت في رفد الخزينة الإنكليزية بالأموال⁽¹⁾، الأمر الذي شجع هذه التجارة حتى وصفت بأنها ((أحد أعمدة الدولة)) و ((الثروة الرئيسة للأمة))⁽²⁾ وان لها ((منزلة رفيعة في الحياة الإنكليزية)) وعليه ((يعد تشجيعها من الأهداف الوطنية السامية))⁽³⁾.

وكانت تجارة الصوف هذه توفر اتصالاً إنكليزياً - عثمانياً في حالتين: الأولى هي تصدير هذه المنسوجات الإنكليزية إلى الدولة العثمانية من خلال الطريق التجاري الشمالي⁽⁴⁾، أما الحالة الثانية فهي حاجة صناعة الصوف الإنكليزي لبعض مستلزمات إنتاجه وتأتي في مقدمتها مادة الشب (لتنبيت ألوان النسيج)، التي أصبحت مع وفرة وتطور صناعة الصوف الإنكليزية في نهاية القرن السادس عشر حاجة ملحة⁽⁵⁾، فكان المصدر الرئيس الذي يتزود منه التجار الإنكليز بهذه المادة هي مدينة (مغنيسية Magnisa) العثمانية في شمال غرب الأناضول بواسطة التجار الجنوبيين أو البنادقة⁽⁶⁾، أو عن طريق وساطة تجار جمهورية راجوزه⁽⁷⁾، فضلاً عن وجود

(1) صالح، محمد، محمد، المصدر السابق، ص 123.

(2) نقلاً عن: القيسي، المصدر السابق، ص 49.

(3) نقلاً عن: امين، عبد الأمير محمد، المصالح البريطانية في الهند خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر واثراً في الخليج العربي، مجلة الخليج العربي، العدد، 8، (البصرة 1977)، ص 19.

(4) كان هذا الطريق يبدأ من انكلترا إلى الأراضي المنخفضة ثم إلى المدن الألمانية الشمالية ليتفرع منه فرعان الأول إلى مناطق البلطيق - روسيا - بخاري وسمرقند ثم يتفرع إلى إيران وإلى الهند والصين أما الفرع الثاني فيذهب إلى سواحل البحر الأسود وإلى اسطنبول. إبراهيم، عبد الفتاح، المصدر السابق، ص 41؛ صالح، محمد، محمد، المصدر السابق، ص 131.

(5) كانت الحكومة الإنكليزية ومنذ النصف الثاني من القرن الرابع عشر قد منعت تصدير الصوف الخام إلا بعد نسجه وتصنيعه بهدف حرمان الدول الأخرى من فائدة إعادة تصنيع الصوف الإنكليزي فتشكل منافساً لها، وعليه فكلما تطورت صناعة الصوف الإنكليزي زادت الحاجة لمادة الشب. بولارد، المصدر السابق، ص 9؛ صالح، محمد، محمد، المصدر السابق، ص 132.

(6) حصل الجنوبيون منذ العام 1352 على امتياز من الدولة العثمانية باحتكار طويل المدى لاستخراج حجر الشب في هذه المدينة أما البنادقة فقد منحوا نفس الامتياز في العام 1546 مقابل 125 ألف دوقية ذهبية. خليل اينالجيك، تأريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة د. محمود الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002، ص 209، 213.

(7) كانت هذه الجمهورية تابعة اسمياً لمملكة المجر وبعد دخول العثمانيين لبلغراد في العام 1521 أصبحت هذه الجمهورية تدفع الجزية للدولة العثمانية، وقد لعبت دور الوسيط التجاري بين الدولة = العثمانية وأوروبا خلال فترة الحروب بين العثمانيين والبنادقة في السنوات 1463 - 1479، 1499 -

كميات أخرى من الشب في مدينتي طرابزون وأزمير العثمانيتين، ومسلك الإنكليز إليهما الطريق الشمالي ذاته⁽¹⁾.

ولم تكن تجارة الصوف هي السبيل الوحيد للاتصال بين الإنكليز والعثمانيين، بل تعدى ذلك إلى مواد أخرى كالسلاح الإنكليزي⁽²⁾ أو مواد انتاجه مثل الحديد والصلب والنحاس، إذ أخذت حاجة العثمانيين إليها بالتنامي أواخر القرن السادس عشر⁽³⁾، وفي المقابل لم تقتصر حاجة إنكلترا من الدولة العثمانية على مادة الشب فحسب، بل كانت هناك مواد أخرى تمثلت بالتوابل والحرير والعاج والقهوة وغيرها من البضائع التي لا تنتجها أوربا⁽⁴⁾. وبما إن البرتغال كانت قد احكمت سيطرتها على طريق رأس الرجاء الصالح آنذاك، فلم يكن للإنكليز من سبيل سوى الاستمرار باستخدام الطريق الأوسط المار عبر الدولة العثمانية، وهو الطريق الذي سلكه الإنكليز لأول مره منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر⁽⁵⁾.

1503، 1537-1540، 1570-1573. المحامي، محمد فريد بك، تأريخ الدولة العلية العثمانية، (دار الجبل، بيروت، 1977)، ص80؛ أيناالجيك، المصدر السابق، ص210 - 213.

- (1) ابراهيم، عبد الفتاح، المصدر السابق، ص40؛ صالح، محمد محمد، المصدر السابق، ص132.
- (2) أبشيرلي، محمد، "نظم الدولة العثمانية"، ضمن كتاب (الدولة العثمانية تاريخ وحضارة)، المجلد الاول، إشراف: أكمل الدين احسان أوغلو، ترجمة صلاح سعداوي، (اسطنبول، 1999)، ص227.
- (3) فنشتاين، جيل، "الأمبراطورية في عظمتها، القرن السادس عشر" ضمن كتاب (تأريخ الدولة العثمانية) ج1، إشراف روبر مانتان، ترجمة بشير السباعي، (دار الفكر، القاهرة، 1993)، ص336، ومن الجدير بالذكر ان اهتمام الحكومة العثمانية بصناعة السلاح اخذ يتنامى بعد ان شكلت وحدات مقاتلة تعتمد استخدام السلاح الناري والمتمثلة بفرق السراجة والصكبان التي اصبحت بعد عام 1590 تصنف على انها أفضل وحدات الجيش العثماني. أيناالجيك، المصدر السابق، ص79.
- (4) الخطيب، مصطفى عقيل، التنافس الدولي في اخليج العربي 1622 - 1763، (المكتبة العصرية، بيروت 1981)، ص131.

(5) ويتمثل ذلك بوصول السفينة الأنكليزية (كاثرين Cathren) تحمل التاجر الأنكليزي (روبرت ستورمي R.Stormy) في عام 1457 متتقلاً بين عدد من مناطق البحر المتوسط، لكن هذه السفينة لم تعود الى ارض الوطن بسبب كمين اعده الجنويون لها ولم يسجل بعد ذلك عن وصول أي سفينة انكليزية حتى العام 1511.

Wood, Alfred Cecil, History of Levant company, Second Edition, (London, 1964), P. 2.

أضحت جميع هذه التحولات مع الرغبة في الاستيراد والتصدير، واقتصار الطريق التجاري الذي يمكن للتاجر الإنكليزي أن يسلكه على الطريق المار بالأراضي العثمانية. الأساس المادي الجيد لأفراد من الطبقة الوسطى الإنكليزية لفتح قنوات اتصال مع الحكومة العثمانية. وان أوضح الإشارات التي تعبر عن الاتصال الإنكليزي العثماني ضمن هذه المرحلة المبكرة هو الأمتياز التجاري الذي حصل عليه التاجر الإنكليزي (أنطوني جينكسون A.Jenkinson) من السلطان العثماني سليمان الأول (1520 – 1566) في عام 1553⁽¹⁾ الذي يعتقد بأنه أول تاجر إنكليزي وطأت قدمه الأراضي العثمانية في العصور الحديثة⁽²⁾.

وعلى الرغم من حصول أنطوني جينكسون بموجب هذا الأمتياز على إذن من السلطان بالمتاجرة في الأراضي العثمانية على قدم المساواة مع التجار الفرنسيين والبنادقة، وان لا يدفع أكثر من الضريبة الرسمية والبالغة 5% من قيمة البضاعة وتوصية حكام الأقاليم بعدم فرض ضرائب إضافية، وبتقديم العون والمساعدة والمؤونة له أو لمن ينوب عنه عند الحاجة⁽³⁾ إلا إن هذه الخطوة لم تفتح عهداً تجارياً مهماً بين إنكلترا والدولة العثمانية⁽⁴⁾، ولعل أسباب ذلك تعود إلى إن هذا الأمتياز لم يتعد كونه أمتيازاً خاصاً لم يتبناه البلاط الإنكليزي، كما لم تعقبه مراسلات رسمية مباشرة بين الحكومتين، وبقدر ما يكون هذا السبب صحيحاً، إلا إن أمراً آخرأ يصلح أن يكون تفسيراً لعزوف التجار الإنكليز عن السوق العثمانية في تلك المرحلة المبكرة ألا وهو رغبة التجار الإنكليز بالحصول على التوابل بسعر ارخص ولذلك نقلوا اهتمامهم إلى مناطق أخرى، وتفسير ثالث يمكن أن يدعم التفسيرين السابقين وهو قوة

(1) Williams.A, Britain and France in the Middle East and North Africa 1914 – 1967, (New York 1968), P. 2.

(2) صالح، زكي، بريطانيا والعراق حتى عام 1914، دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري، (بغداد، 1968)، ص35.

(3) للأطلاع على نص الأمتياز يراجع:

Hurewitz. J C. Diplomacy in the Near and Middle East , A .Documentary Record 1535 – 1914 , Vol. I,(New York , 1956) , P. 5-6 ; Hurewitz. J. C. The Middle East and North Africa in world Politics , A documentary Record , Vol. I , Second Edition, (London , 1975) ,P. 5-6.

(4) أينالجيك، المصدر السابق، ص214، صالح، زكي، المصدر السابق، ص35.

المنافسة التي أبداهها التجار البنادقة والجنوبيين إلى حدود العام 1570 وما بعد ذلك للتجار الفرنسيين بصورة واضحة⁽¹⁾.

وإذا كانت تلك المرحلة قد خلت من أية أهداف إنكليزية واضحة في الدولة العثمانية، مما دفع بعض المؤرخين إلى القول ((هناك غموضاً يحجب بداية العلاقات البريطانية العثمانية))⁽²⁾، بيد إن وضوح معالم تلك الأهداف جاء باعتلاء الملكة إليزابيث الأولى (1558 – 1603)⁽³⁾ عرش إنكلترا، حيث شهدت البلاد في عهدها تطورات ملحوظة في الأنشطة التجارية والمغامرات البحرية، مما شجع على بدء تلك العلاقات⁽⁴⁾.

كان للتراكم المعرفي عن الشرق دوره في التشجيع على البدء في تلك العلاقات، إذ قام السير (وليم هاربورن W.Harboren) برحلة استطلاعية تجارية إلى العاصمة العثمانية اسطنبول عام 1578⁽⁵⁾ كما نقل البحار (فرانسييس دريك F.Dreak) انطباعاته الواسعة عن تجارة الشرق للمدة 1577 – 1580⁽⁶⁾، فضلاً عن رحلات التاجر الإنكليزي (جون نيوبري J.Newberie)، التي تعد من الرحلات الإنكليزية المشهورة، إذ قام برحلته الثانية عام 1580 بزيارة إلى حلب وبغداد

(1) William, Basil. The British Empire, Second Edition, London, 1944, P.17;

بولارد، المصدر السابق، ص10؛ اينالجيك، المصدر السابق، ص14-15.

(2) Wood , Op. Cit , P. 1.

(3) ولدت في العام 1533 لأبيها الملك هنري الثامن من زوجته آن بولين، حكمت انكلترا لمدة اربعة عقود تقريباً شهدت خلالها البلاد تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية. للمزيد من التفاصيل حولها يراجع: [www.enerjiychatlane.ry/pages/queenelizabeth The first. html](http://www.enerjiychatlane.ry/pages/queenelizabeth%20The%20first.html)

(4) هادي، المصدر السابق، ص16؛ بولارد، المصدر السابق، ص19.

(5) Searight. Sarah, The British in the Middle East (London , 1969), PP. 16-17; Wood , Op. Cit , PP. 8-14.

(6) حاتم، صالح محمد، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية في الهند والمحيط الهندي (1756-1600) مجلة المعلم الجامعي، جامعة البصرة، العدد3، 1999، ص20.

والبصرة وهرمز التي عاد منها إلى أسطنبول واصفاً تلك المناطق بأنها مزدحمة بالتجار⁽¹⁾.

علاوة على ما جاءت به هذه الرحلات، فقد كانت ظروف التجار الإنكليز في الدولة العثمانية محفزاً آخر للحكومة الإنكليزية لإقامة علاقات تجارية مع الدولة العثمانية، فقد كان التجار الإنكليز يمارسون نشاطهم التجاري في الدولة العثمانية في ظل العلم والحماية الفرنسية طبقاً للمعاهدة الفرنسية العثمانية لعام 1535⁽²⁾، وظل الأمر على هذا المنوال طالما لم تكن التجارة الإنكليزية مع الدولة العثمانية كبيرة ومربحة، غير انه تحت ضغط التجار الإنكليز وتنامي الشعور القومي الإنكليزي خلال حكم الملكة إليزابيث، فقد أصبحت مسألة ممارسة التجارة الإنكليزية تحت العلم والحماية الفرنسية امراً غير مقبول⁽³⁾.

وكانت هناك عوامل أخرى شجعت التجار الإنكليز للتوجه نحو السوق العثمانية، ففي الوقت الذي أخذت فيه كميات كبيرة من الذهب والفضة تتدفق إلى غرب أوروبا، فقد كانت السوق العثمانية بحاجة شديدة إلى هذين المعدنين، مما حفز التجار الإنكليز على ممارسة هذه التجارة المربحة آنذاك⁽⁴⁾ وتزداد قيمة هذا العامل بعد الأخذ بنظر الاعتبار أثر عامل آخر هو الضعف والانحلال الذي اخذ يدب في تجارة شركة روسيا وقتذاك⁽⁵⁾.

(1) لونكريك، ستيفن همسلي، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، (بغداد، ط4، 1968)، ص397؛ بولارد، المصدر السابق، ص15-16؛ القيسي، المصدر السابق، هامش (4)، ص35؛ الخطيب، المصدر السابق، ص131.

(2) Miller.W, The Ottoman Empire and its Successors 1801 -1927, (London,1966) P. 2.

وللأطلاع على نص المعاهدة الفرنسية العثمانية يراجع:

Hurwitz, J.C, Diplomacy in the Near and Middle East... , P. 1-5; Hurwitz, J.C. The Middle East and North Afriac in world Politics..., p1-5.

(3) العامر، يقظان سعدون، نشاط شركة الهند الشرقية الإنكليزية في البصرة، (مطابع التعليم العالي، البصرة، 1990)، هامش (2)، ص127.

(4) للتفاصيل يراجع: الوائلي، طاهر يوسف، خصائص الاقتصاد العثماني خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، مجلة دراسات نجفية، العدد الأول، (الكوفة، 2004)، ص71.

(5) القيسي، المصدر السابق، ص35، ومما يجدر ذكره إن شركة روسيا تأسست بموجب المرسوم الذي منحتة الملكة ماري الى التاجر الأنكليزي ريتشارد فان R.chan في العام 1553، ثم منحت = الشركة

كما ان التغيير الذي طرأ على ميزان القوى في الشرق الأدنى منذ نهاية عقد السبعينات من القرن السادس عشر كان عاملاً مؤثراً في التقارب الإنكليزي العثماني، ويتمثل ذلك بالنتائج التي أفرزتها الحرب العثمانية مع بلاد فارس عام 1577، اذ تمخضت عنها سيطرة العثمانيين على أذربيجان وشيروان⁽¹⁾، الأمر الذي يعنى عملياً عرقلة الطريق التجاري بين روسيا وهرمز عبر بلاد فارس بسبب النفوذ العثماني الجديد في المنطقة فكان ذلك كفيلاً بأن تتوجه أنظار الإنكليز نحو الدولة العثمانية⁽²⁾. وفي السياق ذاته لكن على جهة الغرب، فأن العلاقات بين إنكلترا وأسبانيا كانت إحدى أهم ميزاتها حينذاك هي التوتر المستمر بين الطرفين⁽³⁾ وتزامن ذلك مع توتر العلاقات العثمانية الأسبانية⁽⁴⁾ وتأسيساً على ذلك أصبح (العداء لأسبانيا أمرٌ يفرض التقارب على كلا الطرفين) على حد قول المؤرخ التركي اينالجيك⁽⁵⁾. وفي إطار العلاقات العثمانية الفرنسية فأن الفتور أخذ يدب فيها منذ العام 1575 بسبب الخلاف حول مسألة حكم بولونيا⁽⁶⁾ فكان ذلك بحد ذاته فرصة حرصت الملكة إليزابيث على استغلالها للتقرب من الباب العالي والتخلص من الحماية الفرنسية⁽⁷⁾.

هذا فيما يتعلق برغبة الملكة إليزابيث، أما فيما يتعلق برغبة الدولة العثمانية فان استعمال طريق رأس الرجاء الصالح وتحول طرق التجارة من المتوسط إلى

حقاً مطلقاً في احتكار التجارة في العام 1555. امين، عبد الأمير محمد، الشركات الأنكليزية في منطقة الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد (12)، (بغداد، 1980)، ص 190؛ الخطيب، المصدر السابق، ص 129-130.

(1) للتفاصيل حول تلك الحرب ونتائجها يراجع: شهباز آزاد مهر، تاريخ ايران از د بروزتا امروز، (باريد، تهران 1383)، ص 397-404؛ المحامي، المصدر السابق، ص 114-117.

(2) اينالجيك، المصدر السابق، ص 215.

(3) Kaman. Henry Spain 1469-1714 A Society of Conflict , Second Edition, (London, 1991), PP. 131 – 132 ;

فشر، اصول التاريخ الأوربي الحديث...، ص 221-228.

(4) المحامي، المصدر السابق، ص 113 – 115.

(5) اينالجيك، المصدر السابق، ص 215.

(6) المحامي، المصدر السابق، ص 113.

(7) خوري، أميل وآخرون، السياسة الدولية في المشرق العربي من سنة 1789 الى سنة 1958، ج 1، (بيروت، 1959)، ص 17.

الأطلسي، وما تركه هذا الأمر من انعكاسات مؤثرة على الاقتصاد العثماني إلى الحد الذي عدّ بعض المؤرخين اثر هذا العامل حاسماً في تدهور الوضع الاقتصادي العثماني⁽¹⁾ وبمعالجة عثمانية للخروج من هذا الوضع فقد أخذت الدولة العثمانية تشجع مثل هذه التقاربات لتعيد النشاط التجاري لموانئها الشرقية، كمحاولة اجتهدية لتحويل تجارة الهند من الأطلسي إلى البحر المتوسط مرة أخرى⁽²⁾. على أن هناك من يفسر هذا التشجيع العثماني لهذا التقارب أن الدولة العثمانية أرادت أن تفهم ملوك أوروبا المسيحيين الذين يعادونها بدافع الدين إن صداقتها مفيدة، وإن من يتقرب إليها يجني امتيازات كبيرة⁽³⁾، ويمكن أن ندرك ذلك أيضاً من قول الصدر الأعظم داماد باشا (1582-1584) تعليقاً على حالة التنافس بين الممثلين الإنكليزي والفرنسي في الدولة العثمانية في عام 1583 ((ليس هناك مبرر لهذا الشجار، طالما إن الباب العالي يرحب بكل من يرغب في السلام))⁽⁴⁾، بينما يؤكد القسم الأخير من المؤرخين أن الدولة العثمانية كانت جادة في تشجيع هذه التقاربات إلى الحد الذي جعلها تمنح هذه الدول امتيازات كبيرة⁽⁵⁾.

في ظل هذه الظروف فقد خلصت الحكومة الإنكليزية إلى ضرورة بذل المزيد من النشاط الدبلوماسي الجدي لتوسيع علاقاتها التجارية مع الدولة العثمانية، وعليه فقد دخل مبعوث الملكة إليزابيث إلى الدولة العثمانية السير وليم هاربورن بمباحثات مع العثمانيين انتهت في حزيران 1580 بتوقيع أول وثيقة رسمية بين الدولتين سمح بموجبها للتجار الإنكليز المتاجرة في الأراضي العثمانية على قدم المساواة مع

(1) الوائلي، طاهر، المصدر السابق، ص17.

(2) الراقد، محمد عبد المنعم، الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي، (مؤسسة شباب الجامعة للطباعة، الإسكندرية، 1972)، ص368 - 369.

(3) خوري، المصدر السابق، ص15.

(4) Quoted in: Wood, Op. Cit, P. 13.

(5) سوسه، احمد نسيم، التعليل التاريخي لمنشأ الامتيازات الأجنبية في الامبراطورية العثمانية، جريدة السياسة، بغداد، العدد، 380، 12 شباط 1931؛ العدد 386 في 22 شباط، 1931؛ جريدة نداء الشعب، بغداد، في 13 و 20 كانون الثاني، 1931.

الفرنسيين والبنادقة⁽¹⁾ وتضمنت هذه الوثيقة اثنتين وعشرين مادة، أشارت المادة الأولى منها إلى دعوة السلطان مراد الثالث (1574-1595) للتجار الإنكليز لارتياح الأراضي العثمانية بقوله ((رغبنا هي ان نمنح شعب الملكة وتجارها حرية المجيء إلى إمبراطوريتنا بأمن وسلام. مع كل مألدهم من بضاعة أو تجارة دون أية عقبات، وبامكانهم القيام بعمليات البيع والشراء حسبما متعارف عليه في بلادهم، ولهم حرية استخدام الطرق التجارية وممارسة تقاليدهم الخاصة)). أما ما ورد في المادة الثانية فهو توضيح آلية تحقيق ما جاء في المادة الأولى، أما المواد (3، 4، 6، 19) فقد غطت قضايا رسو السفن الإنكليزية في الموانئ العثمانية، وتقديم المساعدة لهذه السفن في حالة تحطمها أو تعرضها للعواصف قرب السواحل العثمانية، والتوجيه بعدم تعرض السفن العثمانية للسفن والملاحين الإنكليز، أما المادة (13) فقد أكدت على مساواة الإنكليز في امتيازاتهم مع غيرهم من تجار الدول الأخرى، كما ركزت المواد (15، 17) على قضايا التعيين القنصلي وصلاحيات القناصل، أما المواد الأخرى فقد غطت أمور ارتكاب الجرائم والتقاضى وغيرها من الأمور الخاصة بشؤون الرعايا الإنكليز في الدولة العثمانية⁽²⁾.

وإذا كانت الملكة إليزابيث قد فشلت في تحقيق هدفها السياسي، من وراء هذه الوثيقة، وهو نسج تحالف إنكليزي - عثماني موجه ضد أسبانيا⁽³⁾ لكنها في الوقت ذاته استطاعت ان تحقق ما كانت ترنو إليه وهو تثبيت نفوذ إنكلترا الاقتصادي في الدولة

(1) Smith. G.R. Alon, The Emergence of A Nation State, The Common wealth of England 1529 – 1660, Second Edition, (London 1997), P.105; Wood, Op .Cit ,P. 10;

فنشتاين، المصدر السابق، ص336.

(2) للأطلاع على نص الأمتياز يراجع:

J.C. Hurewitz , Diplomacy in the Near and Middle East ..., PP. 7-9; J.C. Hurewitz, The Middle East North Africa world Politics ... ,PP. 8-10.

(3) Miller ,Op. Cit , P. 13.

ويشير المؤرخ اينالجيك ان سبب فشل عقد حلف عسكري بين الطرفين يعود الى رغبة الدولة العثمانية في تلك المرحلة بالتوسع على حساب بلاد فارس، وعليه ولكي لا يحارب السلطان مراد الثالث على جبهتين في آن واحد فقد عقد اتفاقاً مع الأسبان في عام 1578، وبذلك فقد اكتفى بتفاهم مع الأنكليز في المجال التجاري دون السياسي، اينالجيك، المصدر السابق، ص70.

العثمانية، وتخلص التجار الإنكليز بذلك من الرعاية الفرنسية⁽¹⁾. وأدت هذه الخطوة إلى التفكير في تأسيس شركة تأخذ على عاتقها تنفيذ بنود الوثيقة والمتاجرة مع الأقاليم التابعة للسيادة العثمانية، وبناءً على ذلك فقد تأسست (شركة تركيا أو الشرق. Levant. Co.) اذ منحت الملكة إليزابيث مرسوم امتيازها إلى اثني عشر من التجار في مقدمتهم السير (ادوارد اوزبورن E. Osborn) و (ريشارد ستابر R. Staper) و (توماس سميث T. Smith) و (وليام كاريت W. Garret) في الحادي عشر من شهر أيلول 1581⁽²⁾، فأصبحت هذه الشركة التي اتخذت من اسطنبول مقراً لها الذراع التنظيمي للعلاقات الإنكليزية العثمانية⁽³⁾.

لقد أحدثت النجاحات الإنكليزية هذه ردود فعل فرنسية، فقد تحرك السفير الفرنسي في اسطنبول السير (دي جرميني De.Germigny)، باذلاً جهوداً حثيثة لإفشال ذلك النجاح، ولدعم جهود السفير فقد أوفد ملك فرنسا هنري الثالث Henery III (1569-1589) موفداً شخصياً يدعى (جاك دي جرمول J.De.Jermol) بمهمة خاصة إلى اسطنبول للقاء المسؤولين في الحكومة العثمانية وإعاقعة الجهود الإنكليزية لديهم إلى أقصى حد ممكن، وبعد لقاء الموفد الفرنسي مع السلطان العثماني مراد الثالث، تم التوصل في تموز 1581 إلى اتفاقية جديدة جُددت فيها الامتيازات الفرنسية وعادت التجارة الأوربية في البحر المتوسط إلى سابق عهدها في ظل العلم الفرنسي، وجراء ذلك طبيعياً أن تصبح وثيقة العام 1580 الإنكليزية - العثمانية في عداد المهملات⁽⁴⁾.

كانت هذه الجهود الفرنسية بحد ذاتها دافعاً جديداً للحكومة البريطانية نحو الدولة العثمانية، إذ تمكنت الملكة إليزابيث وبجهود مبعوثها وليم هاربورن من تثبيت امتيازات إنكلترا التجارية بعقد معاهدة سلام وتجارة مع الدولة العثمانية في عام

(1) العامر، المصدر السابق، ص128.

(2) Wood , Op . Cit , p13 .

وللأطلاع على نص المرسوم يراجع:

Hurwitz , Diplomacy in the Near and Middle East ..., PP. 9-15.

(3) كانت شركة الشرق الأدنى هي المسؤولة عن تعيين السفراء الأنكليز في اسطنبول وهي المسؤولة أيضاً عن دفع مرتباتهم طيلة المدة المحصورة بين 1583 - 1803.

Miller ,Op. cit , p13

(4) صالح زكي، المصدر السابق، ص38 ؛ خوري، اميل وآخرون، المصدر السابق، ص18.

1583، تضمنت إضافة لما ورد في وثيقة عام 1580 تخفيض نسبة الضرائب المفروضة على البضائع الإنكليزية الداخلة إلى الدولة العثمانية من 5% إلى 3%(1) وعلى وفق ذلك فقد حصل الإنكليز على المعاملة التجارية الأفضل مقارنة بتجار الدول الأوروبية الأخرى، فالفرنسيون ظلوا يدفعون نسبة 5% إلى عام 1673، وأن الهولنديين أصبحوا يتاجرون تحت العلم الإنكليزي حتى عام 1612 حيث حصلوا على امتيازات مشابهة(2)، وتأسيساً على ذلك فقد استحققت هذه المعاهدة أن تكون الأساس الذي بنيت عليه المعاهدات الموقعة لاحقاً بين الجانبين ، التي هي في الحقيقة لم تكن سوى تأكيدات لما تضمنته معاهدة 1583(3).

(1) Wood , Op. Cit , p13;

اينالجيک، المصدر السابق، ص215، وظلت هذه النسبة ثابتة حتى مطلع القرن التاسع عشر، القهواتي، حسين محمد، دور البصرة التجاري في الخليج العربي، 1914-1869، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الاداب - جامعة بغداد، 1978، ص66 – 67.

(2) Wood , Op . Cit , p. 14 ;

اينالجيک، المصدر السابق، ص215.

(3) في عام 1604 تم تأكيد ماورد في معاهدة عام 1583 من أذن للسفن الإنكليزية بالمتاجرة في الموانئ والأراضي العثمانية تحت علمها الإنكليزي وفي عام 1641 عقد الملك شارل الأول (1625 – 1649) مع السلطان إبراهيم الأول (1640 – 1648) معاهدة أكدت حرية التجارة لشركة الشرق الأدنى في جميع الأراضي العثمانية. Miller , Op. Cit , P. 2; صالح، زكي، المصدر السابق، ص40.

ثم وقعت اتفاقية بين انكلترا والدولة العثمانية في العام 1661 حددت بشكل عام حقوق رعايا انكلترا (التي سبق ذكرها) في الأمبراطورية العثمانية، وقيدت العوائد التي يجب على الأنكليز دفعها بـ 3% وقد وقعها عن الجانب الأنكليزي الأيرل (هينج Henge) ايرل (وينشلسيا Wincheleasa)، لكن هذه المعاهدة اعيد النظر فيها ولم يصادق عليها إلا في عام 1675. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج4 ، ترجمة مكتب الترجمة بديوان امير قطر، (الدوحة، د.ت)، ص1773. وللأطلاع على نص المعاهدة يراجع: Hurewitz , Diplomacy in the Near and the Middle East ... , PP. 25-32. وبعد هذه المعاهدة لم يتم عقد اية معاهدة انكليزية – عثمانية حتى عام 1809 والتي سوف نقف عليها لاحقاً.

(1) Cook , History of the Ottoman mpire to 1730, (Cambridge, 1976), p124.

وعلى اثر ذلك قررت الحكومة الإنكليزية تعيين السير وليم هاربورن كأول سفير لإنكلترا في اسطنبول، في السادس والعشرين من آذار 1583 لدوره الناجح في تثبيت النفوذ الاقتصادي الإنكليزي في الدولة العثمانية⁽¹⁾ فيما راحت شركة الشرق الأدنى تُعين قناصلها التجاريين في اسطنبول وأزمير وحلب والأسكندرونة⁽²⁾.
لقد ارتأى القائمون على شركة الشرق الأدنى أواخر العام 1583 توسيع النشاط التجاري للشركة باتجاه أقاليم الدولة العثمانية فكانت مصر المحطة الأولى، إذ تم تعيين اقدم قناصلها في القاهرة ويدعى (هارفي ملرز H.Millerz). ثم أعقب ذلك إرسال سفينة محملة بالرصاص إلى ميناء الإسكندرية لمبادلتها بالتوابل، وفي عام 1586 أرسل السفير الإنكليزي في اسطنبول وليم هاربورن بعثة تجارية لغرض دراسة واقع السوق المصرية، وقد توصلت البعثة إلى نتائج مشجعة الأمر الذي حفز عدد من التجار للقدوم إلى مصر عام 1587⁽³⁾. وبحلول عام 1596 شوهدت السفن الإنكليزية محملة بالتوابل من الأسواق المصرية⁽⁴⁾.

ومن الجدير بالذكر بأن الدولة العثمانية لم تقابل تعيين السفير الأنكليزي بالمثل فقد كانت تجري كل اتصالاتها مع الدول المسيحية عن طريق ايفادات مؤقته او عن طريق الكنيسة. ومن ضمن هذه الدول انكلترا التي ارسلت اليها اول سفير وهو (يوسف أكا افندي Yousf Agah Efendi)، في العام 1793، ولم يقدم اوراق اعتماده الى الحكومة الأنكليزية إلا في عام 1795، وهو نفس العام الذي أرسلت فيه سفارات عثمانية اخرى الى روسيا والنمسا وفي عام 1797 الى فرنسا.

Findiey.r. carter , The Foundation of the Ottoman foreign Ministry , international of Juornal of middle East studies , vol.3,(Cambridge, July , 1972) , No3 , p388 ;

كتانه، محمد سعيد ، الترك والعرب دراسة مختصره لتأريخ علاقات الترك والعرب من العصور القديمة الى أواخر القرن العشرين،(انقرة، 2001)، ص276.

(2) اينالجيک، المصدر السابق، ص215.

(3) عبد الكريم، احمد عزت، دراسات في تأريخ العرب الحديث،(دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1970)، ص52 ؛ صالح، زكي، المصدر السابق، ص42.

(4) اينالجيک، المصدر السابق، ص215.

(1) Wood , Op. Cit, P. 32-33.

بيد أن كل ذلك لا يعني قيام الشركة بممارسة نشاطها التجاري على نطاق واسع في مصر، وسبب ذلك يعود إلى المنافسة الشديدة التي أبدتها التجار الفرنسيين، حيث اخذوا يكيّدون للإنكليز عند السلطات المصرية، فنتج عن ذلك أن أصبحوا يخضعون لرسوم إضافية، رفعت نسبة الضرائب عليهم إلى 10% من قيمة البضاعة، الأمر الذي دفع الإنكليز إلى غلق قنصليتهم التجارية في مصر⁽¹⁾، وعندما حاول السفير الإنكليزي في اسطنبول السير (هنري ليلو H.Lello) إعادة فتحها في عام 1600 رفضت شركة الشرق الأدنى هذا الأمر موضحة موقفها بالقول ((إنها لو أمطرت ذهباً في الإسكندرية فلن نرى إنها تستحق أن نذهب ونجمعه))⁽²⁾، ولم يتجدد النشاط الإنكليزي التجاري في مصر إلا في مطلع القرن الثامن عشر.

أما الاتجاه الثاني لحركة الشركة فكان مدينة حلب، التي تعد من المراكز الرئيسية التي اعتمد عليها التجار الإنكليز للحصول على الحرير الفارسي فعينت الشركة عام 1583 أول قنصل لها في حلب ويدعى (ريتشارد فوستر R.Foster) وأخذت الوكالة الأنكليزية في حلب تؤدي دور الوسيط في تجارة الحرير الفارسي⁽³⁾ لكن تجارة الإنكليز في حلب سرعان ما أخذت تضمحل قبل نهاية القرن السادس عشر لأسباب سياسية جوهرها تصاعد وتيرة الصراع العثماني - الفارسي في عهد الشاه عباس الكبير (1587-1629)⁽⁴⁾، ورغبة الأخير حرمان الدولة العثمانية من عوائد مرور تجارة الحرير عبر الأراضي العثمانية، التي كانت تشكل مورداً هاماً من موارد السلطنة⁽⁵⁾.

وكان العراق يمثل الاتجاه الثالث لتطلعات الشركة للوصول إلى الهند عبر الخليج العربي، فأقدمت الشركة على إرسال بعثة ضمت عدد من تجارها منهم (جون نيوبري) و (رالف فتش R.Fitesh) و (جون الدرد G.Elder)، وكانت الغاية من

(2) نقلاً عن: عبد الكريم، المصدر السابق، ص53.

(3) اينالجيك، المصدر السابق، ص73؛ عبد الكريم، المصدر السابق، ص39.

(4) عن الشاه وصراعه مع الدولة العثمانية يراجع: شهباز آزاد مهر، المصدر السابق، ص404-408.

(5) اينالجيك، المصدر السابق، ص73-74.

وراء هذه البعثة التي انطلقت من حلب دراسة الطريق البري المار عبر الفرات، ثم إمكانية المتاجرة مع الهند عبر هذا الطريق⁽¹⁾.

تكتسب هذه البعثة أهميتها من الرسائل والمذكرات التي بعث بها أولئك التجار إلى نويهم وأصدقائهم في لندن⁽²⁾، التي دونوا فيها كل ما يستحق الذكر من مشاهدات للأقاليم التي مروا بها ومن ضمنها أقاليم الدولة العثمانية، فمما ذكره رالف فتش عن بغداد بأنها ((كانت مركزاً مهماً لتجارة الترانسيت))⁽³⁾، وان البصرة ((تمثل مركزاً مهماً لتجارة التوابل والعقاقير المستوردة من الهند))⁽⁴⁾، أما جون الدرد فدوّن مذكراته حول البصرة قائلاً ((في كل شهر يصل إلى ميناء البصرة من هرمز سفن مختلفة تحمل المنسوجات الهندية المتنوعة والتوابل والأدوية))⁽⁵⁾، إما رأي جون نيوبري في بغداد والبصرة بأن فيهما ((خيرات الشرق التي لا حصر لها))⁽⁶⁾، كما يمكن القول من جانب آخر بأن هذه البعثة هي أول بعثة أشارت إلى إمكانية المتاجرة مع الهند عن طريق الدولة العثمانية⁽⁷⁾.

على الرغم من حركة الشركة بهذه الاتجاهات، فإن الاندفاع الإنكليزي سرعان ما غير وجهته عن الدولة العثمانية قبل نهاية القرن السادس عشر، بسبب انتصار الأسطول الإنكليزي على الأرمادا الأسباني في تموز 1588، مما فسخ المجال

(1) George. M. F. A History of England, (New York , 1957), P. 347; William, Op. Cit, PP. 26-27.

الدليمي، فواز مطر، تغلغل النفوذ البريطاني في العراق 1869 – 1914، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب، جامعة بغداد، 1989، ص30.

(2) للتفاصيل حول هذه الرسائل يراجع: لوريمر، المصدر السابق، ص2381-2386.

(3) نقلاً عن : صالح، زكي، المصدر السابق، ص42.

(4) نقلاً عن : الجواهري، عماد احمد، الدور التاريخي للبصرة على الخليج العربي، 1500-1600، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية العدد13، السنة الرابعة، (الكويت، كانون الثاني، 1978)، ص88.

(5) نقلاً عن : اينالجيك، المصدر السابق، ص198.

(6) نقلاً عن : إبراهيم ، عبد العزيز عبد الغني ، بريطانيا وإمارات الساحل العماني، (مطبعة الإرشاد، بغداد، 1978)، ص46.

(7) القيسي، المصدر السابق، ص37.

للإنكليز لإرتياد طريق رأس الرجاء الصالح⁽¹⁾، لا سيما وان القوة البحرية الأخرى المتمثلة بالبرتغال قد اخذ نجمها في الشرق بالأفول⁽²⁾. كما أدت عوامل عديدة أخرى دورها في تغيير اتجاه الإنكليز التجاري، فجاذبية المعلومات التي قدمها التجار الإنكليز أمثال رالف فتنش وجون نيوبيري وجون الدرد في رسائلهم، التي كانت دقيقة إلى درجة إنها غطت أسعار التوابل وأماكن وجودها في الهند ونوعياتها⁽³⁾ مما جعلها جديرة بأن تقدم لمجلس اللوردات وقتذاك لمناقشتها⁽⁴⁾ كذلك فقد كانت المخاطر التي يواجهها التجار الإنكليز أثناء مرورهم بطريق البحر المتوسط تستحق التفكير والوقوف عندها⁽⁵⁾، فضلاً عن الضرائب الكثيرة التي كانوا يدفعونها إلى ولاية الأقاليم العثمانية، حيث انعكس ذلك على ارتفاع سعر البضائع إلى ثلاثة أضعاف سعرها في موانئ الدولة العثمانية مقارنة فيما لو جلبت مباشرة من الهند⁽⁶⁾.

وعليه فقد أرسلت شركة الشرق الأدنى أول رحلة تجارية الى الهند في عام 1591 عبر رأس الرجاء الصالح⁽⁷⁾، وقد تزامنت هذه الرغبة في توسيع نشاط إنكلترا التجاري مع الرغبة في تنويع أسواق التجارة الخارجية، ففي الوقت الذي كانت فيه شركة روسيا مسؤولة عن المتاجرة مع روسيا، وشركة الشرق الأدنى مسؤولة عن المتاجرة مع الدولة العثمانية، فأن شركة جديدة يجب أن تكون مخصصة للمتاجرة مع

(1) Lunt. W. E. Op. Cit., PP. 349-350; Kamen, Op. Cit, PP. 133-134;

الدليمي، المصدر السابق، ص31 ؛ هادي، جاسم محمد، المصدر السابق، ص16.

(2) تطافرت عوامل عديدة ادت الى ضعف البرتغاليين في الشرق للتفاصيل عنها يراجع: أبو ثرب، احمد، مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ الغزو البرتغالي لسواحل المغرب والبحر الأحمر = والخليج العربي، وما تولد عنه من ردود فعل، مجلة الخليج العربي، المجلد السادس عشر، العدد الأول، (البصرة، 1984) ؛ الخطيب، المصدر السابق، ص45-53 ؛ أمين، عبد الامير محمد، دور القبائل العربية في صد التوسع الأوربي في الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، من بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ، الجمهورية العراقية، (وزارة الإعلام، 25 آذار، 1973)، ص651-652.

(3) حاتم، صالح محمد، المصدر السابق، ص20.

(4) القيسي ، المصدر السابق، ص46.

(5) Wood, op ,cit , pp 3-4.

(6) اينالجيك، المصدر السابق، ص73؛ بولارد، المصدر السابق ص26؛ القيسي، المصدر السابق، ص46.

(7) العامر، المصدر السابق، ص7 ؛ هادي، جاسم محمد، المصدر السابق، ص17.

الهند والبلدان المجاورة⁽¹⁾، وبذلك يتم الحصول على التوابل دون حاجة إلى وساطة الهولنديين وتحكمهم في أسعارها⁽²⁾ كما إن هذه الشركة ستكون بمثابة (ذراع للتوابل) على حد تعبير المؤرخ هاريسون⁽³⁾، أي أن الشركة الجديدة ستكون مسؤولة عن جلب التوابل من الهند إلى أوروبا، ومهمة شركة الشرق الأدنى إعادة تصديرها إلى الدولة العثمانية⁽⁴⁾.

وبناءً على ذلك فقد تم تأسيس شركة الهند الشرقية الإنكليزية بموجب المرسوم الملكي الصادر في الحادي والثلاثين من كانون الأول 1600⁽⁵⁾ ليكون ذلك التأسيس متزامناً مع اتصال إنكلترا المنظم مع بحار الشرق وقيام التجار المغامرين باتخاذ سياسة جديدة للتجارة مع تلك المناطق⁽⁶⁾ وليكون كذلك بداية النهاية لذلك التاريخ الذي كانت فيه التجارة بين الشرق والغرب تنساب عبر الشرق الأدنى فقط⁽⁷⁾. أصبحت الشركة الجديدة بعد عدد من الرحلات الموفقة وسيلة لتغلغل النفوذ الإنكليزي في الهند⁽⁸⁾، لكن المشاكل التي لم تعد غامضة وتتعلق بمالية الشركة في الهند⁽⁹⁾ تضاف إليها المعلومات التي قدمها احد التجار الإنكليز وهو (ريتشارد ستيل

(1) إبراهيم ، عبد العزيز عبد الغني، المصدر السابق، ص49.

(2) على سبيل المثال رفع الهولنديون اسعار الفلفل في عام 1599، من ثلاثة شلنات الى ثمانية للبرطل الواحد مما أدى الى ارباك السوق الأنكليزية، حاتم، صالح محمد، المصدر السابق، ص21.

(3) نقلاً عن: القيسي، المصدر السابق، ص49.

(4) للتفاصيل حول الأسباب الأخرى لتأسيس الشركة يراجع: المصدر نفسه، ص48-49؛

<http://ar.wikipedia.org.2007.P.3>.

(5) النجار، مصطفى عبد القادر، شركة الهند الشرقية. ملامحها وابرز سماتها في الخليج العربي 1600-1858، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 15، السنة الرابعة، (الكويت، تموز، 1978)، ص101-109.

(6) البديري، خضير مظلوم، سياسة بريطانيا تجاه ايران 1896-1919، اطروحة دكتوراه مقدمه إلى كلية الآداب جامعة بغداد، 1991، ص9.

(7) اينالجيك، المصدر السابق، ص73.

(8) Masani , R. P, Britain in India an Account of British Rule in the Indian Sub continent , (oxford university press, 1962) , PP. 5-6.

(9) عندما بدأت الشركة بالمتاجرة مع الهند واجهت مشكلة دفع اثمان البضائع التي تشتريها، اذ ان الإقتصاديون الإنكليز آنذاك كانوا يعارضون تصدير النقد (الذهب - والفضة) معارضة شديدة، لكن وكلاء الشركة وجدوا ان المشكلة يمكن ان تحل اذا وسعوا نشاطهم التجاري الى جزر الأرخييل

(R. Steel) موفد الشركة إلى بلاد فارس في العام 1614، عن القدرة الاستيعابية للسوق الفارسية للمنتجات الصوفية الإنكليزية، مع إمكانية الحصول على الحرير الفارسي بأسعار أرخص من المناطق الأخرى⁽¹⁾، دفعت الشركة إلى تفريع نشاطها التجاري إلى بلاد فارس، وطيلة المدة المحصورة بين الأعوام 1615 – 1635 التي اتصل فيها رجال الشركة بالأراضي الفارسية فقد حقق الإنكليز نجاحاً باهراً وسريعاً⁽²⁾.

تعززت العلاقات الإنكليزية – الفارسية في أعقاب طرد البرتغاليين – العدو المشترك، من جزيرة هرمز عام 1622⁽³⁾، الأمر الذي دفع بالشاه عباس الكبير في العام التالي إلى السماح للإنكليز بتأسيس مركز تجاري لهم في بندر عباس⁽⁴⁾، بيد أن هذه العلاقات لم تستمر طويلاً بعد زوال الخطر البرتغالي، إذ واجه التجار الإنكليز ضغوطاً وقيوداً من قبل بلاد فارس، فضلاً عن منافسة المركز التجاري الهولندي الذي تزامن تأسيسه مع تأسيس المركز التجاري الإنكليزي ووصف بأنه (الأكبر) من

(اندونيسيا) لحاجة الجزر للأقمشة الهندية، إلا أن هذا الحل لم يستمر طويلاً بسبب قوة المنافسة الهولندية في هذه الجزر أولاً ولحرارة الجو الذي أدى إلى كساد المنسوجات الصوفية الإنكليزية ثانياً والفقر المدقع للسكان ثالثاً مما حتم على الشركة البحث عن فروع جانبية لتجارتها، أمين، عبد الأمير محمد، المصالح البريطانية في الهند خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر واثراً في الخليج العربي، مجلة الخليج العربي، العدد 8، (البصرة، 1977)، ص 18-20؛ الخطيب، المصدر السابق، ص 135-136؛ حاتم، المصدر السابق، ص 22.

(1) عن بدايات التغلغل الإنكليزي في بلاد فارس يراجع: البديري، سياسة بريطانيا تجاه إيران...، ص 10-8.

(2) عن النجاحات الإنكليزية في بلاد فارس خلال الفترة اعلاه يراجع: أمين، عبد الأمير محمد، المصالح البريطانية في الخليج العربي 1747 – 1778، ترجمة هاشم كاظم لازم ومراجعة مكي حبيب المؤمن، (بغداد، 1977)، ص 13-18.

(3) اسماعيل، جاكين، سياسة بريطانيا في الخليج والكويت في القرن التاسع عشر، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد، 16، السنة الرابعة عشر، (الكويت، تشرين الأول، 1978)؛

Searight, Op. Cit. P. 53.

(4) العابد، صالح، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي 1798 – 1810، (مطبعة العاني، بغداد، 1979)، ص 25.

المركز الإنكليزي⁽¹⁾، ومما زاد من فتور العلاقات الإنكليزية – الفارسية عودة الإنكليز وعقدهم الصلح مع البرتغال في عام 1635 بهدف إحلال الهدوء في الخليج العربي من أجل ديمومة التجارة⁽²⁾ وأمام هذه الظروف لم يجد الإنكليز بداً للتخلص منها إلا بتفريع تجارتهم مرة أخرى والتوجه هذه المرة نحو الأقاليم العثمانية.

ثانياً. التغلغل البريطاني في الأقاليم العثمانية:

يرى بعض المؤرخين إن أول اتصال لشركة الهند الشرقية الإنكليزية مع البصرة كان في عام 1635، بسبب التوقعات بضعف المنافسة البرتغالية هناك⁽³⁾ ففي ذلك العام قامت الشركة بإرسال أول شحنة صغيرة من البضائع إلى أسواق البصرة حيث لاقت رواجاً كبيراً، مما شجع التجار الإنكليز في عام 1639 على إرسال مبعوثين هما (ثرستون Thurston) و (بيرس Pearce) وبعدهم كمية من البضائع، حيث سمح لهم متسلم البصرة علي باشا (1604 – 1647) بالمتاجرة مع منحهم التسهيلات التجارية⁽⁴⁾.

تلا ذلك قيام الشركة في عام 1643 بإنشاء مقر لها في البصرة⁽⁵⁾ كما شهد العام نفسه إنشاء معملاً صغيراً في المدينة⁽¹⁾، وفي عام 1645 قررت الشركة نقل

(1) البراوي، فتحية وآخرون، الخليج العربي، دراسة في تاريخ العلاقات الدولية، (منشأة المعارف الإسكندرية، د. ت)، ص165؛ العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص25؛

<http://www.alrawahy.8k.com/alya3arb.htm>

(2) المشايخي، علي خضير، إيران في عهد ناصر الدين شاه 1848 – 1896، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب جامعة بغداد، 1987، ص44. أما لونكريك فيشير إلى أن معاهدة الصلح عقدت في عام 1634 وتأكدت في (كوا Gwa) في عام 1636. لونكريك، المصدر السابق، ص135.

(3) القهوةاتي، حسين محمد، أضواء على تجارة البصرة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة الخليج العربي، المجلد 22، العدد 2، (البصرة 1980)، ص20، لوريمر، المصدر السابق، ج4، ص1767.

(4) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص46؛ صالح، زكي، المصدر السابق، ص54. أما لوريمر فيجعل وصول هذين الشخصين في الحادي والثلاثين من أيار 1640. لوريمر، المصدر السابق، ج4، ص1768 – 1769.

(5) العامر، المصدر السابق، ص12؛ لوريمر، المصدر السابق، ج4، ص1768. بينما يشير عبد العزيز سليمان نوار خطأ إلى أن فتح المقر البريطاني في البصرة كان في سنة 1639. نوار، عبد العزيز، داود باشا والي بغداد، (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968)، هامش رقم (3)، ص192.

ممتلكاتها من بندر عباس إلى البصرة بسبب نشوب الصراع بين الهولنديين والفرس⁽²⁾، ولم تلبث البصرة حتى أصبحت ((من أهم مراكز التعامل التجاري مع شركة الهند الشرقية الإنكليزية)) حسب تعبير المقيم الإنكليزي في إحدى رسائله لمجلس ادارة الشركة⁽³⁾.

ولأن البصرة ((أعظم سوق تجاري في هذه البحار)) كما وصفها الرحالة البرتغالي ألأب مانويل كودنهو M.Godinho ، عند زيارته للمدينة عام 1663⁽⁴⁾، فضلاً عن اختفاء المنافسة الهولندية فيها⁽⁵⁾، فقد أسس البريطانيون مركزاً دائماً في البصرة سنة 1723، يديره مقيم تابع لأشراف الوكيل في بندر عباس⁽⁶⁾ وفي عام 1728 حصل المقيم البريطاني في البصرة (مارتن فرنج M.Frich) (1727 - 1737) من الحكومة العثمانية على حق محاكمة الأشخاص التابعين للمركز البريطاني، ولم يمض على ذلك التاريخ سوى ثماني سنوات حتى حصل نفسه وبموجب مرسوم سلطاني موجه إلى متسلم البصرة أحمد باشا (1715-1741) على

-
- (1) لونكريك، المصدر السابق، ص136.
 - (2) أمين، المصالح البريطانية في الخليج العربي...، ص19؛ العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص46.
 - (3) نقلاً عن: نوار، عبد العزيز، المصالح البريطانية في انهار العراق 1600 - 1914، (القاهرة، 1988)، ص67؛ صالح، زكي، المصدر السابق، ص54.
 - (4) نقلاً عن: عبد الحسين، فلاح حسن، مدينة البصرة كما وصفها الرحالة الأجانب في العصر الحديث، موسوعة البصرة الحضارية الموسوعة التاريخية، (جامعة البصرة، 1989)، ص338.
 - (5) اتصل الهولنديون لأول مرة بالبصرة، في عام 1640، لكن منافستهم للبريطانيين سرعان ما أختفت على اثر مشاكل الوكيل الهولندي (كينغهاوزن Kenghaze) مع السلطات العثمانية في البصرة، مما دفع الهولنديين أخيراً الى سحب مركزهم التجاري الى خارج في عام 1653 الربيعي : هيفاء عبد العزيز، غزاة في الخليج الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية دراسة تاريخية، (مطبعة جامعة الموصل، 1989)، ص65-67، ص112 - 119. وحتى فترة المنافسة الهولندية في المنطقة عموماً والتي يحدد لها المؤرخون بداية تاريخية بالعام 1650 سرعان ما أختفت بعد العام 1670 سواء للانعكاس السريع لأحداث المسرح الأوربي على النشاط الهولندي في الشرق او لمقاومة سكان الخليج العربي للوجود الهولندي. للتفاصيل حول ذلك يراجع: التدمري، احمد جلال، قراءات ارشيفية في الوثائق الهولندية المكتشفة حديثاً وفي الصراع الدولي على الخليج العربي، مجلة المؤرخ العربي، العدد 34، السنة 13، (بغداد، 1987)؛ أمين، المصالح البريطانية في الخليج العربي..، ص24.
 - (6) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص46.

إقرار من المتسلم بأن الضريبة الكمركية على البضائع البريطانية هي 3% (1) وتزداد قيمة ذلك الإقرار إذ ما علمنا إن التجار العثمانيين كانوا يدفعون ما نسبته 7% على بضائعهم الواردة إلى البصرة (2)

وعلى الرغم من النجاح الذي حققه البريطانيون في البصرة في مطلع الثلاثينيات لكن ظروفًا جديدة بدأت تفرض نفسها على نشاطهم ابتداءً من منتصف ذلك العقد، فنتيجة للنشاط التجاري للشركة في البصرة الذي شهد به الرحالة الفرنسي (تافرنيه Tavernaie) قائلاً: ((كان في البصرة تجار من جميع البلاد فمن اسطنبول وأزمير وحلب ودمشق والقاهرة وجميع أنحاء تركية.. يتواردون عليها لشراء البضائع المستجلبه من الهند..)) (3) فقد عززت الشركة تواجدتها التجاري بسفن حربية لحماية مصالحها، الأمر الذي أضفى الصفة السياسية على نشاطها علاوة على صفته التجارية (4)، وبعبارة أدق تحولت إلى أداة مؤثرة في العلاقات العثمانية – الفارسية. لا سيما وأن بلاد فارس في ظل نادر خان (1736 – 1747) (5) قد أولت مد نفوذها على سواحل الخليج العربي الشمالية والشرقية اهتماماً كبيراً حتى إن (السيطرة عليها

-
- (1) لوريمر، المصدر السابق، ج4، ص1779-1780؛ نوار، داود باشا...، 28؛ العامر، المصدر السابق، ص20 – 21؛ الخطيب، المصدر السابق، ص222.
- (2) العقاد، صلاح، الاستعمار في الخليج العربي، القاهرة (د.ت)، ص25.
- (3) نقلاً عن : لونكريك، المصدر السابق، ص139-140.
- (4) البراوي، فتحية وآخرون، المصدر السابق، ص161.
- (5) ولد في عام 1688 في خراسان. دخل في خدمة الشاه طهماسب في عام 1726، وفي عام 1732 نعى الشاه عن السلطة وأعلن نفسه وصياً على الشاه الطفل عباس ميرزا، في العام 1736 أصبح شاهاً لفارس، لعب دوراً كبيراً في تحرير فارس من الاحتلال الأفغاني والروسي والعثماني : عن نادر شاه يراجع:

Lockhart, L, Nadir shah. a critical study based minly up on contemporary sources, (London , 1938), PP. 35-45;

ميرزا مهدي خان استريادي، جهانكشاي نادري، (تهران، 1331)، ص26-27. وعن دوره في تحرير ايران من الاحتلال الأفغاني يراجع: المكصوصي، علي حسن علي، تطورات ايران الداخلية في ظل الاحتلال الأفغاني 1722-1729، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية، جامعة واسط، 2006، ص128-149، ودوره ضد الوجود الروسي والعثماني يراجع: شهباز آزاد مهر، المصدر السابق، ص421 – 431.

تعد واحدة من مخططاته الرئيسية (1). فأدى ذلك إلى التصادم بين العثمانيين والفرس، ففي نيسان 1735 قرر نادر شاه مهاجمة البصرة، وطلب من شركة الهند الشرقية ان تساعد بالسفن الراسية في بندر عباس (2)، لكن الطلب الفارسي جوبه بالرفض لتخوف البريطانيين من أي رد فعل عثماني متطرف في شدته ضد مصالحهم في البصرة، وأصدرت الشركة أوامرها إلى وكيلها في بندر عباس بان لا يضع أي سفينة في خدمة الحاكم الفارسي، وإذا لم يجد مفرأً من ذلك فعليه ان يغلق الوكالة ويغادر بندر عباس (3) وحينما وصلت قوات نادر شاه إلى مدخل شط العرب طلب المتسلم العثماني احمد باشا من ممثل الشركة مساهمة السفن البريطانية في صد الهجوم (4)، لكن الأخير رفض الطلب ايضاً خوفاً من نقمة نادر شاه على المصالح التجارية البريطانية في بلاد فارس، الأمر الذي دفع بالمتسلم إلى اخذ السفن البريطانية عنوة والاستفادة منها في صد الهجوم (5).

كان لإشترائك السفن البريطانية أثره السلبي على العلاقات بين نادر شاه والشركة، اذ توترت العلاقات بينهما ولقي ممثلي الشركة في أصفهان وكرمان معاملة سيئة، دفعتهم الى التفكير جدياً بنقل الوكالتين من هناك، إلا أن التبدل المفاجيء في سياسة نادر شاه تجاه الشركة منذ أواخر عام 1735 هو الذي أبقى على الوكالتين (6).

(1) نقلاً عن : الزبيدي، عدنان هرير جوده، عمان وسياسة نادر شاه التوسعية، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب جامعة بغداد، 1983، ص77.

(2) Wilson. Arnold , The Persian Gulf An History Stich From The Earliest Times to the Beginning of the Twentieth Century , (London , 1954) , p175.

وقد جاء الطلب الفارسي للمساعدة البريطانية نتيجة لضعف الأسطول الفارسي الذي يقدر حينها بثلاث قطع حربية وعدد من السفن المساعدة، ابو حاكمة، تاريخ شرقي الجزيرة العربية، نشأة وتطور الكويت والبحرين 1750 – 1800، ترجمة محمد أمين عبد الله، (دار الحياة، بيروت، 1965)، ص50 – 51 .
(3) لوريمر، المصدر السابق، ج4، ص1783؛ علي، علي شاكور ، تأريخ العراق في العهد العثماني 1638 – 1750، (نيناوى 1985)، ص193.

(4) جاء الطلب العثماني لضعف القوة البحرية العثمانية في البصرة. للأطلاع على حالة البحرية العثمانية حينذاك يراجع: الحمداني، طارق نافع، ملامح سياسية وحضارية في تأريخ العراق الحديث والمعاصر، (الدار العربية للموسوعات، بيروت 1989)، ص125.

(5) نورس، علاء، العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية 1700 – 1800، (دار الحرية للطباعة، بغداد 1979)، ص176.

(6) الخطيب، المصدر السابق، ص188، 190-194.

لقد كان جُلَّ اهتمام الشركة خلال فترة الصراع العثماني الفارسي منصباً على المحافظة على موقفها المحايد، الذي ((لم تحصل عليه الشركة إلا بشق الأنفس)) على حد تعبير لونكريك⁽¹⁾ بهدف عدم إثارة أي من الطرفين ومحاولة احتوائهما لتأثير حالة الصراع على المصالح التجارية للشركة، ويستدل على ذلك من التقرير المرسل من ممثل الشركة في البصرة مارتن فرينج إلى مجلس إدارة الشركة والمؤرخ في التاسع عشر من حزيران 1732 ومما جاء فيه ((إن الحرب مع بلاد فارس قد أدت إلى وقف الأعمال التجارية في هذه المنطقة حتى إننا لم نتمكن من تصريف بالة واحدة من البضائع خلال عدة أشهر ولست أرى من الحكمة أن نقوم بتفريغ السفن الحالية حتى نرى كيف تتطور الأمور...))⁽²⁾.

ويتضح كل ما سبق بشكل جلي، عندما حاصر نادر شاه البصرة للمرة الثانية في الثامن والعشرين من آب 1743، فقد بادر وكيل الشركة (توماس دوريل T.Dorill) (1739 – 1745) وتحسباً لأي موقف مشابه كالذي حدث في عام 1735 يعقد الأمور على الشركة، إلى منع جميع السفن الإنكليزية من البقاء في ميناء البصرة، رافضاً إعارتها للمتسلم العثماني رستم اغا⁽³⁾، بل إن المقيم أمر بحرق إحدى القطع البحرية والعائدة له شخصياً، مما دفع بالمتسلم إلى اعتقاله ليومين، فحدث جراء ذلك فتور في العلاقات بين الشركة والسلطات العثمانية، إلا أن ذلك الفتور لم يستمر طويلاً إذ انتهى مع صدور أوامر نادر شاه إلى قواته برفع الحصار عن البصرة في السادس عشر من كانون الأول 1743⁽⁴⁾.

وإذا كان احد أسباب اهتمام البريطانيين بالدولة العثمانية، كونها سوقاً مهماً لتصريف البضائع، فإن أحكام السيطرة على الطرق التي تخضع للسيادة العثمانية وتربط بريطانيا بمستعمراتها في الهند صار هدفاً استراتيجياً في نظر البريطانيين

(1) لونكريك، المصدر السابق، ص 192.

(2) نقلاً عن: ابو حاكم، المصدر السابق، ص 52.

(3) لوريمر، المصدر السابق، ج 4، ص 178؛ علي، شاكور، المصدر السابق، ص 204.

(4) المبارك، صفاء عبد الوهاب، البصرة في العهد العثماني 1638 – 1800، موسوعة البصرة الحضارية الموسوعة التاريخية، (جامعة البصرة، 1989)، ص 215؛ الخطاب، رجاء حسين، العراق والصراع العثماني الفارسي، (0 بغداد، 2001)، ص 76.

للحفاظ على ممتلكاتهم في الشرق⁽¹⁾ وقد أشار الكاتب الفرنسي شيفاليه chevalie بقوله: ((ينبغي ان نردد دائماً بأن واحداً من الإهتمامات الرئيسة للسياسة البريطانية هو ضمان أمن المواصلات بين لندن التي تمثل رأس الإمبراطورية والهند التي هي قلب هذه الإمبراطورية. ان اليوم الذي تنقطع فيه بريطانيا من الهند سيكون بدون أدنى شك نهاية للعظمة البريطانية، وبهذا فإن بريطانيا تحاول السيطرة على كل ما كان يمر به طريق الهند))⁽²⁾.

ومن هنا فقد تبوأ ما يسمى بـ (طريق قوافل الصحراء الكبرى) المار عبر العراق أهمية استثنائية بالنسبة للبريطانيين⁽³⁾ وتؤثر أهميته الأخبار التي تفيض بها عنه سجلات يوميات مقيمة البصرة⁽⁴⁾، وقد تزايدت أهمية هذا الطريق إبان حرب السنوات السبع (1756 – 1763)⁽⁵⁾ بوصفه ((طريقاً قصيراً وأميناً))⁽⁶⁾. إذ هياً للبريطانيين أخذ زمام المبادأة في الهند، واستولوا على حصن (شاندر ناكور) الفرنسي، قبل أن يكون لدى الفرنسيين أي علم عن بداية الحرب في أوربا، أما في أوقات السلم فكانت أهمية الطريق تأتي من سرعة وصول البريد المتضمن أوضاع الأسواق والطلب المتوقع⁽⁷⁾، ويصبح الأمر أكثر تأكيداً إذا أجرينا مقارنة بسيطة بين المدة التي تستغرقها رحلة البريد البريطاني عبر هذا الطريق من بومباي إلى لندن، والتي كانت تتراوح بين 10-12 أسبوعاً⁽⁸⁾ مقارنة بأحد عشر شهراً هو الوقت الذي

(1) للتفاصيل حول هذه الطرق يراجع: الراقد، المصدر السابق، ص 361 – 362؛ إبراهيم، عبد الفتاح، المصدر السابق، ص 41؛ الخارطة الملحقة في نهاية هذه الدراسة .

(2) نقلاً عن : الدليمي، المصدر السابق، ص 33.

(3) العامر، المصدر السابق، ص 32.

(4) أمين، عبد الأمير محمد، سجلات يوميات مقيمة البصرة 1798-1811، مجلة المؤرخ العربي، العدد 4، (بغداد، 1980)، ص 233.

(5) للتفاصيل حول حرب السنوات السبع يراجع: بالمر، المصدر السابق، ج 2، ص 34-56؛ البطريق وآخرون، المصدر السابق، ص 288-297.

(6) لوريمر، المصدر السابق، ج 1، ص 250.

(7) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص 51؛ أمين، المصالح البريطانية في الخليج العربي....، ص 97.

(8) كيلي، جون، بريطانيا والخليج العربي 1795-1870، ج 1، ترجمة محمد أمين عبد الله، (مطبعة عيسى البابي وشركائه، 1965)، ص 82.

تتطلبه رحلة البريد للوصول الى لندن عن طريق رأس الرجاء الصالح⁽¹⁾ فلا غرابة إذن أن أصبح الطريق الأول هو ((البديل السريع والأمين الوحيد للطريق البحري عبر رأس الرجاء الصالح))⁽²⁾.

إذا كانت البصرة هي المحطة الأولى في طريق البريد البريطاني، فإن بغداد هي المحطة الثانية، لينطلق منها إلى حلب ثم اسطنبول وفيينا وصولاً إلى لندن، ومنذ عام 1759 اختزلت منه المحطة الثالثة (حلب) ليبدأ من البصرة إلى بغداد ومنها إلى اسطنبول مباشرة حيث مقر السفير البريطاني، وفي عام 1761 صار البريد يرسل بنسختين الأولى عبر الطريق الأول والثانية عبر الطريق الجديد⁽³⁾.

نتيجة لكل ما سبق. ولأهمية موقع البصرة بالنسبة للتجارة العالمية، الذي تؤكدته تقارير الرحالة الروس خلال القرن الثامن عشر⁽⁴⁾ فضلاً عن الفوضى التي اصابته بلاد فارس بعد اغتيال نادر شاه في عام 1747⁽⁵⁾، ثم على اثر اضطراب احوال الوكالة البريطانية في بندر عباس⁽⁶⁾، أمست البصرة هي المقر الجديد للوكالة البريطانية في عام 1763⁽⁷⁾، وفي السنة التالية ارتفع التمثيل الى درجة قنصلية بناءً

(1) العقاد، الاستعمار في الخليج....، ص22.

(2) أمين، المصالح البريطانية في الخليج.....، ص97.

(3) البراوي، المصدر السابق، ص169؛ العامر، المصدر السابق، ص34؛ أمين، المصالح البريطانية في الخليج العربي...، ص108.

(4) دانتسينغ.ب.م، الرحالة الروس في الشرق الأوسط، ترجمة معروف خزندار، (دار الرشيد، بغداد 1981)، ص116-118.

(5) دخلت ايران بعد اغتيال نادر شاه في فترة من الفوضى كنتيجة مباشرة لحالة الصراع التي نشأت بين الكيانات الرئيسية في البلاد، فلم يعد وحالة البلاد هذه ان يكون هناك نشاط اقتصادي جيد. كيلى، المصدر السابق، ص79. عن حالة الفوضى التي اجتاحت بلاد فارس يراجع: شهباز ازاد مهر، المصدر السابق، ص439-446، وعن حالة الشركة في خضم تلك الفوضى يراجع: الخطيب، المصدر السابق، ص196 - 219.

(6) هاجم الفرنسيون مقر الوكالة البريطانية في بندر عباس عام 1759 مما ادى الى تدمير بنايتها.

Wilson , op , cit.p177 ;

العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي....، ص28.

(7) Wilson , Op. Cit. P. 178.

وللمزيد من التفاصيل حول أسباب نقل الوكالة من بندر عباس وظروف ذلك الانتقال يراجع: أمين، المصالح البريطانية في الخليج العربي...، ص73-89.

على فرمان حصل عليه السفير البريطاني في اسطنبول (هنري جرينفيل (H.Grenville) (1761 – 1765) ⁽¹⁾.

ويرى البعض إن الارتقاء في مكانة ممثل الشركة من مقيم إلى قنصل يمثل بحد ذاته ارتقاء بنشاط الشركة التجاري إلى النشاط السياسي. وقد ترتب على ذلك أن أدى البريطانيون دوراً مهماً في أحداث المنطقة، لاسيما بعدما شهد عقد الستينات من تبلور للصراع الإقليمي بين العثمانيين والبريطانيين من جهة والقوة البحرية المتنامية لإمارة كعب ⁽²⁾ من جهة أخرى ⁽³⁾ بعد إن وجد البريطانيون بأن مصالحهم تقتضي التخلي عن الموقف الحيادي حيال الصراع العثماني - الكعبي، خاصة وأن العداء لهذه الإمارة كان القاسم المشترك بين البريطانيين والعثمانيين، فمن جانب وجد البريطانيون في إمارة كعب تهديداً لمصالحهم التجارية في البصرة، وخطراً على حرية الملاحة التجارية البريطانية في الخليج العربي، الذي كان يهتمهم أن يكون منطقة أمان لسفنهم ⁽⁴⁾ أما العثمانيون فكانوا ينظرون إلى تنامي قوة كعب بعدم الارتياح لتهديدها المستمر بالسيادة على شط العرب، فضلاً عن عدم دفع الضرائب للحكومة العثمانية ⁽⁵⁾.

ونستدل على تطابق وجهتي النظر البريطانية - العثمانية بهذا الخصوص من الرسالة التي بعثها والي بغداد علي باشا (1762- 1764) إلى وليم اندرو برايس W. A. price الوكيل البريطاني في البصرة في الثامن عشر من تشرين الأول 1763، وذكر فيها ((... إن تقويض صرح كعب لا يعد مفخرة لي بقدر ما يعد مفخرة لأمتك، وأرجو بأن تثق بأن مساعدتك الفعالة هذه ستلقى من السلطان كل اعتراف

(1) صالح، زكي، المصدر السابق، ص 81؛ العامر، المصدر السابق، ص 30.

(2) عن هذه الإمارة ودورها السياسي يراجع: النجار، مصطفى عبد القادر، التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية 1897 – 1925، (دار المعارف، مصر، 1971)؛ نورس، العراق في العهد العثماني...، ص 216 – 236.

(3) النجار، مصطفى عبد القادر، عربستان وشخصيتها العربية، مجلة الخليج العربي، المجلد، 13، العدد 12، (البصرة، 1981)، ص 17؛ العامر، المصدر السابق، ص 32؛ البراوي، المصدر السابق، ص 153.

(4) نورس، العراق في العهد العثماني...، ص 219.

(5) النجار، عربستان...، ص 17؛ النجار، التاريخ السياسي لإمارة عربستان...، ص 44.

وتعويض....))⁽¹⁾، وتأكد ذلك التوافق بين الطرفين من خلال الرسالة الجوابية التي بعث بها وليم اندروبريس في التاسع عشر من تشرين الأول وجاء فيها ((... ونظراً للصدقة الوطيدة المعقودة بين الأمة البريطانية والباب العالي فقد بعثت بالسفن إلى المكان المعين..))⁽²⁾.

وبناءً على هذا التفاهم بين البريطانيين والعثمانيين فقد شُنت حملات عسكرية مشتركة ضد إمارة كعب خلال الأعوام 1763 و 1765 و 1766 - 1768⁽³⁾، وبغض النظر عن مسألة النصر والهزيمة التي تبادلتها جميع الأطراف فإن مجريات الصراع في المنطقة دفعت بالسلطة العثمانية في العراق إلى الاعتماد وبصورة كلية على الحماية البريطانية حتى إنها وافقت على دفع مبلغ ألف تومان شهرياً مقابل بقاء أسطول الشركة حامياً للبصرة، وكنفقات أيضاً عن خسائر الشركة في الصراع ضد كعب، الأمر الذي ساهم في ازدياد النفوذ السياسي البريطاني في العراق خاصة والدولة العثمانية عموماً⁽⁴⁾.

وعلى أية حال فإن هذه الهيمنة السياسية والنشاط التجاري الذي عاشته الشركة خلال تلك المرحلة لم تبق نفسها خلال سبعينيات القرن الثامن عشر، فنشاط الشركة التجاري، قد اخذ بالتدهور تدريجياً حتى جاءت الضربة القاسية لهذا النشاط في مطلع عام 1773 المتمثلة بمرض الطاعون⁽⁵⁾ الذي لم يستثن بآثاره السيئة جانباً من أنشطة الحياة في البصرة، إذ ورد في تقرير المستر مور Moor المرسل إلى إدارة الشركة في السادس عشر من كانون الثاني 1774 ما نصه ((... أن الوفيات في البصرة

(1) للإطلاع على النص الكامل للرسالة يراجع: نورس، علاء، وآخرون، إمارة كعب العربية في القرن الثامن عشر على ضوء الوثائق البريطانية، (دار الرشيد، بغداد، 1982)، ص33.

(2) للإطلاع على النص الكامل للرسالة يراجع: نورس، إمارة كعب.....، ص34.

(3) للتفاصيل حول تلك الحملات يراجع: لوريمر، المصدر السابق، ج4، ص1811 - 1815؛ نورس، العراق في العهد العثماني...، ص219 - 234؛ العامر، المصدر السابق، ص36 - 42؛ لونكريك، المصدر السابق، ص207 - 210.

(4) أمين، الشركات التجارية الإحتكارية الإنكليزية...، ص212؛ النجار، التاريخ السياسي لإمارة عربستان...، ص50، العامر، المصدر السابق، ص41؛ نورس، العراق في العهد العثماني....، ص229.

(5) كيلى، المصدر السابق، ص81؛ القهواتي، المصدر السابق، ص21؛ العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص46.

عددها كان يتراوح يومياً ولمدة شهر واحد تقريباً ما بين 3-7 آلاف وأخيراً في نحو 25 من شهر مايو ارتفع الوباء فجأة بعد أن ترك سكان البصرة في حالة يرثى لها من الفقر والخراب⁽¹⁾.

أما في الجانب السياسي فأن الهيمنة السياسية التي حققتها الشركة أخذت بالتذبذب نتيجة لما شهده عقد السبعينيات من تصعيد في الصراع العثماني - الفارسي، لاسيما وأن نقل الوكالة البريطانية من بندر عباس إلى البصرة في عام 1763. وإغلاق وكالتها في بوشهر في شباط 1769⁽²⁾، وتحول نشاط الشركة التجاري من المحمرة إلى البصرة بعد عام 1770⁽³⁾ قد فسرت من كريم خان الزند حاكم بلاد فارس (1757 - 1779)⁽⁴⁾ بأنها خطوات من شأنها (جعل انهيار التجارة الفارسية أمراً محتوماً)⁽⁵⁾ بل إن بارسونز (parsons) يذهب إلى أبعد من ذلك فيشير إلى أن كريم خان الزند كتب رسالة إلى وكيل الشركة في البصرة محذراً إياه فيها ب ((انه طالما إن جميع تجارة الهند تذهب إلى البصرة وعلى يد الإنكليز فإنه سيثار بتدمير البصرة))⁽⁶⁾.

وبعد إن قرن كريم خان قوله بالعمل، وأطبق حصاره على البصرة في السابع من نيسان 1775 وجد البريطانيون بأن موقفهم الحيادي حيال الصراع العثماني - الفارسي أصبح أمراً متعذراً، لذا فقد قاموا بسحب وكالتهم من البصرة إلى بوشهر في الحادي عشر من نيسان 1775، بعد أن توصلوا الى اتفاق مع كريم خان يضمن لهم مصالحهم، وعلى الرغم من تعهدهم المسبق للعثمانيين بالبقاء في البصرة طالما بقيت

(1) نقلاً عن : أبو حاكم، المصدر السابق، ص118.

(2) كيلى، المصدر السابق، ص81، شهباز ازاد مهر، المصدر السابق، ص454.

(3) أبو حاكم، المصدر السابق، ص118.

(4) دخل كجندي في جيش نادر شاه ثم ترقى فأصبح ضابطاً وبرز دوره السياسي بعد فترة الفوضى التي عمت بلاد فارس بعد وفاة نادر شاه، عن دوره السياسي يراجع:

Perry. J. R, Karim khan azanad , A.History of Iran 1747-1779,(London, 1919);

شهباز ازاد مهر، المصدر السابق، ص449 - 458.

(5) نقلاً عن : نورس، العراق في العهد العثماني ...، ص215، 241.

(6) نقلاً عن : العامر، المصدر السابق، ص51.

تحت السيادة العثمانية⁽¹⁾، فضلاً عن معارضة بعض مسؤولي الشركة في البصرة لهذا الانسحاب ومنهم الوكيل هنري مور الذي كتب في الأول من تشرين الأول 1774 إلى مجلس الإدارة قائلاً ((إن الحفاظ على ممتلكات فخامتكم وحماية تجارة الخليج بشكل عام يعتمد اعتماداً كلياً على سلامة هذه المدينة... أننا بكل تواضع نعرض لفخامتكم اعتقادنا بأنه ليس من العدل والأنصاف بالنسبة لكم أن تقفوا متفرجين لأي مشروع عدواني يوجه لهذا المكان))⁽²⁾، غير إن مجرى الأمور سرعان ما تغير على اثر اشتداد المقاومة المحلية في البصرة⁽³⁾، ثم وفاة كريم خان في الثاني من آذار 1779، مما أدى إلى انسحاب القوات الفارسية، وعلى إثره أعادت الشركة نشاطها إلى تلك المدينة، لكن صفة الضعف لازمتها إلى نهاية القرن⁽⁴⁾.

لم تقتصر انعكاسات الحصار على النشاط السياسي للشركة فحسب، وإنما تعداه إلى المساس بمصالح بريطانيا الإستراتيجية وذلك بتحول طريق البريد البريطاني إلى الكويت بدلاً من البصرة⁽⁵⁾، بيد أن التدهور في طريق البريد المار عبر العراق لم يستمر طويلاً، إذ سرعان ما تظافت عوامل عديدة أعادت له مكانته الأولى في نظر البريطانيين، ذلك أن تعرض قوافل البريد المار بالكويت إلى هجمات الوهابيين قد اثر أخيراً في وصول أخبار الهند إلى لندن وبالعكس⁽⁶⁾ فضلاً عن حرب الاستقلال الأمريكية (1775 – 1783)⁽⁷⁾، التي حتمت على البريطانيين إبقاء طريق

(1) أمين، المصالح البريطانية في الخليج...، ص186؛ أبو حاكم، المصدر السابق، ص119. وعن تفاصيل الإتفاق يراجع، العامر، المصدر السابق، ص52-54؛ نورس العراق في العهد العثماني...، ص269.

(2) نقلاً عن : أمين المصالح البريطانية في الهند...، ص25.

(3) عن تلك المقاومة يراجع: حميد حمد السعدون، إمارة المنتفك واثرها في تاريخ العراق والمنطقة الإقليمية، 1546 – 1918 (عمان، 1990)، ص109-135.

(4) كيلى، المصدر السابق، ص87؛ العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص55.

(5) الصباح، ميمونه خليفه، علاقات الكويت الخارجية خلال القرن الثامن عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد 34 السنة 13، (بغداد، 1988)، ص80.

(6) العامر، المصدر السابق، ص68؛ البراوي، المصدر السابق، ص154؛ الصباح، المصدر السابق، ص73.

(7) عن حرب الإستقلال الأمريكية يراجع: بالمر، المصدر السابق، ج2، ص167-173؛ البطريق، المصدر السابق، ص301-313.

البريد المار عبر البصرة تحت سيطرتهم، لاسيما وقد وفر هذا الطريق للبريطانيين استلام زمام المبادرة في هذه الحرب مرة أخرى، ولهذا لم يرغب البريطانيون التخلي عنه حتى بعد انتهاء تلك الحرب⁽¹⁾، خاصة وقد جاءت الثورة الفرنسية عام 1789 بإفرازاتها المتمثلة بإندلاع الحرب بين فرنسا وبريطانيا عام 1793، فبرزت نتيجة ذلك أهمية المركز البريطاني في البصرة كونه ((مركزاً متقدماً لنقل بريد الشركة من الهند إلى لندن وبالعكس))⁽²⁾ ولهذا حينما قرر وكيل الشركة صاموئيل مانستي S.Mansty (1786 – 1795) نقل مقر الشركة من البصرة إلى الكويت في الرابع والعشرين من نيسان 1793 لمشاكله مع الجالية اليهودية والسلطة العثمانية في البصرة. لم يقابل هذا الإجراء باستحسان ورضا مجلس الإدارة في لندن، وبعد سلسلة من المكاتبات بين المجلس في لندن وحكومة بومباي ومانستي صدر القرار في نيسان 1795 بإعادة المركز إلى البصرة⁽³⁾.

ومما فاقم من قلق البريطانيين، محاولات فرنسا التغلغل في الدولة العثمانية عن طريق إرسالها بعثات تابعت أخبارها وتنقلات شيوخها جميع المراكز البريطانية المنتشرة في الدولة العثمانية⁽⁴⁾ ومن أهم بعثاتها تلك التي ضمت عالمي الطبيعة (أوليفيه Olivier) و (بروغيير Burguiere) اللذين أرسل بهما المجلس التنفيذي الفرنسي المؤقت إلى الدولة العثمانية ووصلا إسطنبول في آيار 1793⁽⁵⁾ في مهمة تهدف ضمن ما تهدف إليه ضم الدولة العثمانية وبلاد فارس إلى جانب فرنسا في تحالف موجه ضد روسيا وبريطانيا⁽⁶⁾، وبعد جولة دامت زهاء ثلاث سنوات

(1) أمين، المصالح البريطانية في الهند...، ص25؛ العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص52.

(2) كيلى، المصدر السابق، ص28.

(3) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص53-55؛ الصباح، المصدر السابق، ص81.

(4) Wilson, Op. Cit. P. 190.

(5) Olivier. G. Voyage Don's Empire Ottoman , I. Egyte et persie 1801 – 1807, Tome I, (Paris,) P. 1-2.

(6) بعد ان وصل المبعوثان الفرنسيان الى اسطنبول في آيار 1793، وجدا نفسيهما وحيدين هناك لأن المواطن (دي سيمونفي De semonville) المبعوث الفرنسي فوق العادة لدى الباب العالي قد غادر اسطنبول لاستدعائه من قبل حكومته وحل محله المواطن ديكورش (Dekorsh) الذي كان يجهل تماماً مهمتهما، وعليه لم يستطيع المبعوثان اجراء اية اتصالات دبلوماسية مع الساسة العثمانيين تحقق الأهداف

أمضياها بين اسطنبول ومصر والشام. وصلا إلى بغداد في نيسان 1796 وأمضيا فيها ستة أسابيع استطاعا خلالها توثيق علاقتهما مع والي بغداد سليمان باشا (1780 – 1802)، ثم توجهها جنوباً إلى البصرة وأطلعوا عن كثب على الحركة التجارية هناك. ومن ضمن ما اقترحاه على حكومتها بهذا الخصوص نقل القنصلية الفرنسية من بغداد إلى البصرة⁽¹⁾، ثم قرر أعضاء البعثة التوجه إلى بلاد فارس لإتمام مهمتهم فوصلوها في الثاني من تموز 1796، وأجروا مباحثات متعثرة مع المسؤولين هناك. لم تسفر عن نتائج سياسية تذكر⁽²⁾ إلا أنه وبغض النظر عن هذه النتائج فإن تحركات أعضاء البعثة في الأراضي العثمانية والفارسية كانت كفيلة بإثارة قلق الوكالات البريطانية في الدولة العثمانية. إذ كتب المقيم البريطاني في حلب إلى حكومة بومباي موضحاً بأن المهمة السرية لمثل هذه الوفود هي إعداد التقارير عن كيفية الوصول إلى الهند عن طريق بغداد وفارس، لذا فقد قامت حكومة بومباي بإصدار تعليماتها إلى مقيم الشركة في بوشهر، وطلبت منه التنسيق مع مقيميها في البصرة، لتعقب تحركات الوفود الفرنسية والقبض على أعضائها وإرسالهم إلى بومباي، وحينما غادر المبعوثان الفرنسيان بلاد فارس إلى بغداد في كانون الأول 1796. حاول وكيل الشركة في البصرة، إقناع والي بغداد سليمان باشا بتسليمهما للبريطانيين⁽³⁾ لكن شيئاً من ذلك لم يتم إذ غادر عضوا البعثة بغداد إلى اسطنبول في أيار 1797 ومنها إلى فرنسا التي وصلها أولفوية بمفرده في أواخر العام 1798، بعد وفاة زميله بروغيير في انكونا⁽⁴⁾ في الثالث من تشرين الأول 1798⁽¹⁾ فوجد أولفوية بأن حكومة الإدارة

التي جاءوا من أجلها، واكتفيا بدراسة السواحل البعيدة لآسيا الصغرى وبعض جزر الأرخبيل من النواحي العسكرية والسياسية والتجارية. العزاوي، محمد عبد الله، نشاط فرنسا السياسي في الخليج العربي والإجراءات البريطانية المضادة 1793 – 1798، مجلة الخليج العربي، المجلد 18، العدد 3-4، (البصرة، 1986)، ص32.

- (1) العقاد، الإستعمار في الخليج العربي...، ص35.
- (2) عن هذه المباحثات يراجع: السراي، فاطمة سلوم، العلاقات الفرنسية الإيرانية 1804-1814، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية التربية، جامعة واسط، 2006، ص24 – 26.
- (3) العامر، المصدر السابق، ص96؛ العقاد، الاستعمار في الخليج.....، ص35.
- (4) مدينة تقع على الساحل الشمالي الغربي للبحر الأدرياتيكي، يخترقها طريق يربط بين روما وانكونا ويرجع استخدام هذا الطريق الى زمن القوات الرومانية، شريف، إبراهيم، أوربا. دراسة اقليمية لدول اشباه الجزر الجنوبية، (الإسكندرية، 1960)، ص213، 219.

الفرنسية قد استبدلت نشاطها السياسي تجاه الدولة العثمانية بتوجه عسكري تمثل بإرسال حملتها على مصر، تلك الحملة التي جعلت من طريق البريد المار عبر العراق ذات أهمية في نظر البريطانيين ((تفوق كل ما كان له من قبل)) (2).
لم يكن الطريق المار عبر الشام والعراق هو الوحيد الذي مهد لأتصال بريطانيا بالدولة العثمانية، بل إن طريقاً آخر سلكته التجارة البريطانية تمثل بطريق البحر الأحمر. ساهم في تغلغل بريطانيا في بعض الأقاليم العثمانية. ولم يكن ارتياد التجار الإنكليز لذلك الطريق في وقت مبكر بالأمر اليسير، إذ بعد أن سيطر العثمانيون على الأقاليم الواقعة على ضفتي البحر (3) فقد منعت الدولة العثمانية السفن الأوربية من الإبحار شمال ميناء مخا لأعتبارات دينية لا تجيز وصول هذه (السفن المسيحية) قبالة الأماكن المقدسة في الحجاز حيث الحرمين الشريفين (4).
وتجدر الإشارة إن البرتغاليين قد شددوا الرقابة على البحر الأحمر بعد احتلالهم لسوقطره منذ عام 1506، بهدف حرمان المسلمين من مزاياه الإقتصادية، والحيلولة دون إن يكون البحر الأحمر طريقاً تجارياً بين الشرق والغرب (5) بيد إن ضعف النفوذ البرتغالي في هذه المنطقة لاحقاً، فضلاً عن الضائقة المالية التي كان يعاني منها مركز شركة الهند الشرقية الإنكليزية في البنغال بسبب قلة النقد من الذهب والفضة، دفعت البريطانيين للتفكير جدياً بالوصول إلى البحر الأحمر (6) إذ أن تجارة البحر الأحمر كان أهم ما يميزها أنها مجلبة للعملة النقدية (7). ويدعم هذا الأمر رغبة البريطانيين أيضاً لإيجاد طريق أسرع من ذلك المار عبر رأس الرجاء الصالح للمراسلات بين الهند ولندن (8).

- (1) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص45.
- (2) نقلاً عن : أمين، سجلات يوميات مقيمة البصرة...، ص234.
- (3) إيفانوف، نيقولاوي، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516 - 1574، ترجمة، يوسف عطا الله، مراجعة مسعود ظاهر. بيروت 1988، ص83-93، 95-119.
- (4) Hoskins.H.L.British Routes to India, (London, 1966), p4.
- (5) Fisher.W.B.The Middle East,(London ,N.D), p159 -160 ;
- (6) حاتم، المصدر السابق، ص22.
- (7) انيس، محمد، النشاط الأوربي بمصر وجيرانها اواخر القرن الثامن عشر - مصادره - وثائقه، المجلة التاريخية المصرية، العدد 2، المجلد 2، (القاهرة، تشرين الأول، 1949)، ص113.
- (8) بولارد، المصدر السابق، ص26.

وتتأكد لنا أهمية البحر الأحمر بهذا المجال لو أجرينا مقارنة بسيطة بين طريق رأس الرجاء الصالح وطريق البحر الأحمر في رحلة بين الهند ولندن، فأن حسابات الأرقام تؤكد أن المسافة بين مدخل البحر الأحمر وجبل طارق هي (6500) كم بينما تصل المسافة عبر رأس الرجاء الصالح إلى (19000) كم وهذا يعني إن الفارق بينهما (12.500) كم وهو فارق كبير جداً وتزداد نسبته أكثر عندما يراعى عنصري الزمن والتكاليف التي تتطلبها الرحلة عبر هذين الطريقين⁽¹⁾، وحرى القول أن طريق البحر الأحمر يعد أسرع من طريق الخليج العربي بعد الأخذ بنظر الاعتبار طول المسافة البرية التي تقطعها القوافل بين البصرة والأسكندرونة مقارنة بالمسافة البرية بين السويس والإسكندرية⁽²⁾.

لذا فقد قرر الإنكليز مد اتصالاتهم إلى اليمن الخاضع وقتئذ للسيادة العثمانية، وإرسال بعوثهم إلى هناك، فكانت أولى محاولاتهم في عام 1607، حيث أرسلت شركة الهند الشرقية الكابتن وليم كينج W.Keng إلى مدينة عدن، بهدف تأسيس وكالة تجارية، لكن هذه المحاولة كان نصيبها الفشل بسبب إصرار العثمانيين على حماية الثغور الجنوبية من أي تدخل أوروبي⁽³⁾ ثم كرروا المحاولة ثانية في عام 1609 حينما أرسلت الشركة الكابتن اكسندر شاربي A.Sharpy إلى عدن لغرض إقامة وكالة تجارية، لكن الرحلة كانت أكثر فشلاً من الأولى⁽⁴⁾. إلا إن هذا الفشل لم يمنع الشركة من إرسال بعثة أخرى في عام 1610 بقيادة الأدميرال سيرهندي مدلتون H.Middleton وعلى الرغم من زيارة مدلتون إلى عدن، لكنه لم يستطيع أن يؤسس علاقات تجارية لبلاده مع اليمن العثماني⁽⁵⁾.

(1) المشايخي، علي خضير، السياسة البريطانية في البحر الأحمر 1798 – 1882، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية لأداب، جامعة بغداد، 1997، ص8.

(2) العقاد، الاستعمار في الخليج العربي....، ص22-23.

(3) اباضة، فاروق عثمان، الحكم العثماني في اليمن، 1872- 1918، (القاهرة، 1975)، ص26.

(4) أشار المؤرخ البريطاني كور Kour بان هذه المحاولة كانت هي الأولى للاتصال باليمن.

Kour. Z. H, The History of Aden 1839-1872,(London, 1981), P. 4.

(5) الصياد، محمد محمود، الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد 14، (بغداد، 1980)، ص54.

حقق الإنكليز أول اتصال ناجح مع اليمن بإرسالهم الكابتن جون ساريز J.Saris في عام 1612، يقود ثلاثة سفن تجارية إلى ميناء مخا⁽¹⁾، والسر في نجاح هذه البعثة أنها وصلت في وقت استتنت فيه الحكومة العثمانية ميناء مخا من التحريم⁽²⁾ ولعل ذلك نابع من إدراك العثمانيين إن الحصول على عوائد التجارة من ميناء مخا في حالة فتحه أفضل بكثير من عوائد مصر التي تذهب أغلبها لحكامها المماليك⁽³⁾، الأمر الذي مهد السبيل لتأسيس وكالة تجارية إنكليزية في مخا في عام 1618، على يد الكابتن (شلن Shillin)، الذي وصل إلى المنطقة على ظهر السفينة (آن رويال Ain Royal)، وحددت السلطات العثمانية في صنعاء الضريبة الواجب على البريطانيين دفعها بـ 3% تدفع عيناً أو نقداً⁽⁴⁾، ويمكن إدراك مدى قيمة تلك الإمتيازات بالمقارنة مع التجار الهنود والفرس الذين كانوا يدفعون ما نسبته 16%، أما الهولنديين فلم يتمكنوا من تصديق الوعد الذي حصلوا عليه من حاكم مخا العثماني بدفع نسبة 3.5 على بضائعهم، مما دفع قائد البعثة الهولندية (فان دي بروك V.De brok) إلى مغادرة البلاد والعودة إلى الهند⁽⁵⁾.

لم يقف البريطانيون عند هذا القدر من الإمتيازات، بل أخذوا يتطلعون الى المزيد⁽⁶⁾ ويقف وراء هذا التطلع مجموعة من العوامل من بينها ادراك البريطانيين للضعف الذي اخذ ينتاب سياسة المنع العثماني، وتمكن السفن الأوروبية نتيجة ذلك الضعف من الرسو في ميناء جده، بترحيب من أشرف مكه الذين شجعوا هذه الخطوة

(1) طه، جاد، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، (دار الفكر العربي، القاهرة، 1969)، ص25.

(2) انيس، محمد، الدولة العثمانية والشرق العربي 1514-1914، (مطبعة الأنجلو المصرية د.ت)، ص27.

(3) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص39.

(4) Kour. Op. Cit, P. 5.

(5) طه، المصدر السابق، ص27 – 28.

(6) بعد أن وطدت الشركة اقدامها في اليمن فقد اخذت تتطلع الى الاتصال مع موانئ البحر الأحمر الأخرى، ولهذا فقد اخذت ترسل تجارها لدراسة امكانية تحقيق هذه الغاية، ومن بين من ارسلتهم التاجر (وفينجتون Ovington) وقد طاف ذلك التاجر بين موانئ البحر الأحمر طيلة السنوات 1690 – 1693، فوصف ميناء جده بانه رئيسياً للتجارة القادمة من الهند، وبحلول العام 1700 فقد اكد التاجر دانيال Daniel وجود وكالات بريطانية في جده وينبع، الحمدي، صبري فالج، الحجاز خلال القرن الثامن عشر اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية التربية الجامعة المستنصرية، 1996، ص18، 142.

لأعتبارات اقتصادية⁽¹⁾ اما العامل الثاني فيعود إلى ظهور الفرنسيين كمنافس قوي للبريطانيين في البحر الأحمر⁽²⁾، وتمكنهم من فتح وكالة تجارية في مخا في العام 1709⁽³⁾ لكن تلك المنافسة لم تستمر طويلاً فسرعان ما ألقت حرب السنوات السبع بانعكاساتها على النشاط الفرنسي في البحر الأحمر، متجلباً ذلك بغلق الوكالة الفرنسية في عام 1762⁽⁴⁾ وعليه فقد أصبح البريطانيون هم الوحيدين القادرين على القيام بدور فعال في المنطقة.

لقد شهد النصف الثاني من القرن الثامن عشر متغيرات مهدت السبيل للاندفاع البريطاني إلى القسم الشمالي من البحر الأحمر، وتتركز تلك المتغيرات في كل من مصر والهند⁽⁵⁾ فضلاً عن الحسابات الاستراتيجية للبريطانيين التي يمكن النظر إليها على انها رد فعل على الخطط الفرنسية التي ظهرت بعد توقيع معاهدة باريس لعام 1763، إذ فسرت هذه الخطط على أنها محاولات فرنسية لاستعادة نفوذ فرنسا في الهند⁽⁶⁾.

(1) أنيس، الدولة العثمانية...، ص187، العقد الاستعمار في الخليج 000، ص23.
(2) كان للفرنسيين بعض المميزات التي تؤهلهم للقيام بدور المنافس القوي للبريطانيين في الدولة العثمانية عامة والبحر الأحمر خاصة، وأول هذه المميزات ان لهم امتيازاتهم القديمة في الدولة العثمانية = التي تؤكد المعاهدات المعقودة بين الطرفين. أنيس، النشاط الاوربي بمصر وجيرانها، 2000، ص114، وثانياً ان لفرنسا صلاتها الاقتصادية القوية مع الاقاليم العثمانية لاسيما مصر وسوريا، فعن صلاتها مع مصر التي اساسها تجارة مرسيليا معها يراجع: علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، ج1، المجلد الرابع، موسوعة الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر ترجمة زهير الشايب القاهرة، 1978، ص ص ، وأما عن صلاتها مع سوريا فيراجع: ريان، محمد رجائي، مصالح فرنسا الاقتصادية في سوريا 1535-1920، مجلة دراسات تاريخية، السنة 8 العددان 27، 28، (دمشق، 1978) ص33-49، وثالثاً فأن للفرنسيين محاولاتهم السابقة لحياء الطريق البحري المار عبر البحر الأحمر. وللتفاصيل عن هذه المحاولات يراجع: هيو. ج، شونفيلد، قناة السويس، ترجمة احمد خاكي، (القاهرة، 1945)، ص7-10.

(3) Kuor, Op. Cit., P. 5.

(4) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الاحمر.....، ص46.

(5) انيس، الدولة العثمانية.....، ص187.

(6) العزاوي، محمد عبد الله، المصدر السابق ص29؛

أما فيما يتعلق بالمتغيرات التي شهدتها مصر، فيتلخص أمرها بتلك الحركة الاستقلالية التي قام بها علي بك⁽¹⁾ عن الحكومة المركزية في اسطنبول عام 1769، ثم اتجاه أنظاره إلى التوسع وغزوه الحجاز في عام 1770⁽²⁾، ورغبته في تشجيع التجارة البريطانية مع موانئ جده والسويس، مما حفز البريطانيين على زيادة اهتمامهم بالبحر الأحمر وتوسيع نطاق تجارتهم إلى هذه الموانئ⁽³⁾.

وإما الهند فتمثلت متغيراتها بالأزمة المالية التي تجددت فيها ابتداءً من عام 1770 وظهرت بشكل واضح عام 1772، الأمر الذي تطلب من البريطانيين زيادة حجم تبادلهم التجاري مع أقاليم البحر الأحمر، ولهذا يعد البعض هذه الأزمة هي (سر النشاط الذي أصاب الفرع التجاري البريطاني في البحر الأحمر)⁽⁴⁾.

تفاعلت هذه المتغيرات لتدفع البريطانيين إلى اتخاذ خطوة أكثر جدية، إذ تقدم احد التجار البريطانيين بأقتراح إلى علي بك في عام 1770 ضمنه فكرة فتح طريق مباشر بين الهند وميناء السويس، وعلى اثر ذلك جرت مراسلات بين علي بك

(1) ولد في عام 1728 في القوقاز ثم بيع كملوك في مصرفي العام 1743، وبعد وفاة سيده إبراهيم بك أصبح مسؤول سنجقته في العام 1749، أصبح شيخاً للبلد في العام 1760، ودخل في صراع مع منافسيه حتى استقرت له الامور في عام 1768، عنه وعن دوره السياسي يراجع: يحيى، جلال، المجلد في تاريخ مصر الحديث، ط2 (الاسكندرية، 1984) ص109-111.

(2) استغل علي بك في فتح الحجاز طلب المساعدة الذي تقدم به عبد الله بن حسين آل بركات ضد منافسه أحمد بن سعيد آل زيد وهم من أشرف مكة. للتفاصيل يراجع: جارشلي، إسماعيل حقي أوزون، أمراء مكة في العهد العثماني، ترجمة: خليل علي مراد، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، (البصرة، 1985)، ص145.

(3) Huseyn.E., Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution, (Cambridge, 1964), P.18 .

ومن الجدير بالذكر إن البريطانيين سبق وان عرضوا على علي بك فتح الطريق التجاري عبر البحر الأحمر، وتولى هذه المهمة الرحالة جيمس بروس، الذي ناقش الأمر مع علي بك في حزيران 1768، لكن الظروف التي كان يمر بها علي بك لم تكن تساعد على أكثر من دراسة هذه الأفكار، إذ انه كان يعي ان تطبيقها على ارض الواقع يتطلب منه أولاً السيطرة على ميناء جدة.

Searight, Op. Cit, P. 77.

(4) انيس، النشاط الأوربي....، ص114.

والحاكم العام في الهند، اسفر عنها التوصل إلى اتفاق يقضي بتسهيل وصول السفن البريطانية إلى جده والسويس، وحماية علي بك للتجارة البريطانية في مصر⁽¹⁾.
بيد إن ذلك الاتفاق لم يدم طويلاً بسبب الصراع السياسي بين علي بك ومملوكه محمد بك أبو الذهب، حيث تمكن الأخير من السيطرة على مقاليد الأمور في مصر أوائل عام 1773⁽²⁾ الأمر الذي اضطر الشركة إلى إرسال الرحالة والتاجر البريطاني (جيمس بروس J.Brous) للتفاوض مع أبي الذهب، فتم التوصل إلى اتفاق جديد في شباط 1773، وتضمن تعهد محمد بك بتسهيل أموراً لتجارة البريطانية في القاهرة والسويس، مع منحهم تخفيضاً ضريبياً من 14% - 8%⁽³⁾ لكن هذا الاتفاق لم يستمر أيضاً، بسبب معارضة السلطان العثماني مصطفى الثالث (1757 - 1774) وإصداره فرماناً نص على منع السفن الأوروبية من التوغل في مياه البحر الأحمر بين جده والسويس⁽⁴⁾.

غير أن البريطانيين لم يكونوا على استعداد للتراجع والعدول عما حققوه من تقدم تجاري في البحر الأحمر، ولهذا فقد أخذوا يحاولون الإلتفاف على قرار المنع العثماني بتوجيه سفنهم مباشرة إلى السويس طيلة العام 1774⁽⁵⁾. فضلاً عن اقدام الحاكم العام للهند (وارن هستنكز W. Histenks) (1774 - 1785) على عقد اتفاق جديد مع أبي الذهب في السابع من آذار 1775 تضمن تخفيض الضرائب إلى 6.5% مع إمكانية دفعها نقداً أو عيناً، بالإضافة إلى قيام حاكم مصر بتأمين حماية البضاعة البريطانية المنقولة من ميناء السويس إلى القاهرة⁽⁶⁾ وقد علق (جورج بالدوين G.Baldwen) ممثل الشركة في مصر على ذلك الاتفاق قائلاً ((لقد مزجنا

(1) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص49.

(2) للتفاصيل حول ذلك الصراع يراجع: يحيى، جلال، مصر الحديثة 1517 - 1805، (الإسكندرية د.ت)، ص258 - 270.

(3) بولارد، المصدر السابق، ص27.

(4) الحمدي، المصدر السابق، ص147.

(5) المصدر نفسه، ص147.

(6) وقعها عن الحاكم العام للهند الكابتن شو Shaw. وللإطلاع على نص الاتفاق يراجع: خوري وآخرون، المصدر السابق، ص247 - 249.

في كؤوسنا مياه الكنج والتايمز والنيل وشربنا من على قمة الهرم نخب رضا انكتر⁽¹⁾.

كانت هناك بعض الجهات التي لمست في الاتفاقية ضرراً على نشاطها الاقتصادي. وفي مقدمة هذه الجهات كان الأشراف في الحجاز، خاصة حين نجحت بعض السفن البريطانية من كسر الطوق المتضمن احتكار تجارة البن بين موانئ البحر الأحمر، الأمر الذي دفع أشراف مكة إلى الشكوى لدى الحكومة العثمانية⁽²⁾، وتأثر نشاط شركة الشرق الأدنى بذلك الاتفاق أيضاً، حتى أن القائمين على الشركة اعتقدوا أن تجارتهم ستنهار تماماً إذا ما فُتح البحر الأحمر بوجه تجارته الأوروبية، ولهذا فقد اعربت الشركة عن رفضها المطلق لهذه المعاهدة، وقدمت التماساً إلى الباب العالي عن طريق سفير بريطانيا في إسطنبول (روبرت اينسلي R.Ainslie) (1775 – 1794) لإصدار فرمان يحرم فيه التجارة في البحر الأحمر⁽³⁾. أما المسؤولين العثمانيين فقد عارضوا هذه الاتفاقية، ورفضوا كل ما ورد فيها، لأنه يمس بالسيادة العثمانية، بعد أن حذروا المماليك من مغبة التماذي في مثل تلك الإجراءات⁽⁴⁾.

وقبل أن تحصّد الأطراف الموقعة على الاتفاق ثمار مغامرتها، وتجنّي الأطراف المعارضة ثمار معارضتها، توفى أبو الذهب بصورة مفاجئة في أوائل عام 1776، فجاء ذلك منسجماً مع رغبات الباب العالي، الأمر الذي أصبح معه الاتفاق في عداد المهملات، لأن خليفتي أبو الذهب مراد بك وإبراهيم بك لم يحترما الاتفاق⁽⁵⁾ كما أن الباب العالي أصدر فرماناً في عام 1777 الغى فيه رسمياً ما ورد في ذلك الاتفاق، ومنع الملاحة مجدداً بين جده والسويس⁽⁶⁾، فما كان من الحاكم العام في الهند إلا وأصدر هو الآخر قراراً في عام 1778 يمنع فيه السفن البريطانية من نقل سلع

(1) نقلاً عن: المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص 51.

(2) العقاد، الاستعمار في الخليج...، ص 24.

(3) للمزيد من التفاصيل حول موقف شركة الشرق الأدنى يراجع:

Wood , Op . Cit, p162 – 170

(4) يحيى، المجلد في تاريخ مصر...، ص 150.

(5) انيس، الدولة العثمانية...، ص 188.

(6) خوري، المصدر السابق، ص 38؛ الحمدي، المصدر السابق، ص 148.

الهند إلى مصر وبالعكس، وذلك بسبب المخاطر الجسيمة التي أخذت تتعرض لها السفن البريطانية بعد وفاة أبو الذهب⁽¹⁾، ومما زاد الأمور تعقيداً لقاء السلطات العثمانية القبض على تاجر بريطاني في اسطنبول يدعى (وولي Wolly) كان قد حضر بمهمة من الهند في عام 1779، فعثر بين أوراقه على كتاب من الأميرال (هوكز Hokz) قائد القوات البريطانية في الهند، موجه إلى كل من شريف مكة وحاكم مصر، وفيه دعوة صريحة لتجديد الاتفاق الذي عقده هاستنكس مع أبي الذهب⁽²⁾، وعلى ضوء ذلك يمكن القول ان المشروع البريطاني في البحر الأحمر أصابه الشلل والتوقف خلال عامي 1778 – 1779⁽³⁾.

لم يستمر توقف النشاط البريطاني طويلاً، ففرنسا ومنذ إن وقعت معاهدة باريس عام 1763، أخذت تطرح خططها لاستعادة مكانتها في الهند، حيث أكدت جميع تلك الخطط استخدام الطريق الملاحي عبر البحر الأحمر، أو الطريق المار عبر الخليج العربي وسيلة لتطويق النفوذ البحري البريطاني في المحيط الهندي⁽⁴⁾، لهذا وكرد فعل على اتفاقية هستنكس – أبي الذهب فقد أرسلت فرنسا في كانون الأول 1785 أحد ضباط بحريتها المدعو (تروجيه Trogie) إلى مصر، فتمكن هذا من عقد ثلاث اتفاقيات الأولى مع مراد بك وتضمنت الترحيب بالتجار الفرنسيين وتوفير الحماية لهم، والثاني مع يوسف كساب ملتزم الكمارك العام وتعهده فيه بعدم زيادة الرسوم الكمركية على البضائع الفرنسية، والثالث مع الزعيم القبلي ناصر شديد وتعهده فيها بنقل البضائع الفرنسية بين السويس والقاهرة⁽⁵⁾.

(1) عبد الكريم، المصدر السابق، ص 57.

(2) خوري، المصدر السابق، ص 39؛ الحمدي، المصدر السابق، ص 148.

(3) انيس، الدولة العثمانية...، ص 188.

(4) Hoskins , Op. Cit., P. 27.

المشاخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص 53؛

<http://www.al-araaby.com/articles>.

(5) محمود، صالح رمضان، الصراع الإنكليزي الفرنسي في مصر 1763 – 1882، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 17 تموز، (الكويت، 1976)، ص 71 – 72؛ الصياد، سامي صالح، الصراع البريطاني الفرنسي على مشروع قناة السويس، أطروحة دكتوراه قدمت الى كلية الاداب – جامعة بغداد، 2006، ص 40؛

Hoskins , op, cit.P. 29.

وعلى الرغم من الأمتيازات التي حصل عليها الفرنسيون طبقاً لهذه الإتفاقات التي تبدو أكثر أهمية مقارنة بما حصل عليه البريطانيون إلا أنها في الواقع لم تترجم بصورة عملية بسبب موقف الحكومة العثمانية الراض لها⁽¹⁾، ومع ذلك فقد كانت كافية لإثارة مخاوف البريطانيين ودفعهم للتفكير بجدية حول نوايا الفرنسيين الآنية والمستقبلية حول مصر⁽²⁾. وأخذت الأصوات تتعالى في لندن محذرة من مخاطر استيلاء فرنسا على طريق البحر الأحمر، حيث لخص الكولونيل (جيمس كابر J.Capper) احد أعضاء شركة الهند فرضيته في كتابه المطبوع عام 1785 قائلاً: ((إن من حماقة إن تعتمد إنكلترا على طريق ربما حل محله طريق آخر فقد تدهورت الدول القديمة، وفقدت ما كان لها من تفوق بنفس هذه الطريقة... لم يفقد البنادقة تجارة الهند لعنف حربي قضى عليهم ولا لدهاء استخدم ليحرمهم إياها، بل ماتت تجارتهم من نفسها لأن البرتغال وأمم أخرى اتخذت طريق رأس الرجاء الصالح... وأن من لا يدرك ذلك الخطر، فهو شخص يجهل الكثير ولا يعرف إلا القليل من مبادئ السياسة والتجارة...))⁽³⁾.

وأنبى يؤيد هذا الرأي أيضاً جورج بالدوين محذراً حكومته بالقول ((إذا استولت فرنسا على مصر فسوف تملك بين يديها المفتاح الأول والأخير لكل محطات التجارة في العالم... وتستطيع ان تجعل من مصر مركزاً يقذف الهلع في العالم الشرقي... وسوف تدهم أعدائها بقواتها العديدة في أي وقت شاءت... وسوف تكون ممتلكات إنكلترا في الهند تحت رحمة فرنسا...))⁽⁴⁾.

وبناءً على ذلك فقد عينت بريطانيا جورج بالدوين قنصلاً لها في مصر مزوداً بتعليمات من وزير خارجيته اللورد (كار مارتن C. Martin) على ان يسعى لعقد اتفاقية تتضمن امتيازات مشابهة لتلك التي حصل عليها الفرنسيون وفي مدة أقصاها سنة واحدة وان يكون اتصاله مع الخارجية البريطانية لا مع شركة الشرق الأدنى كما

(1) يحيى، جلال، البحر الأحمر والاستعمار، (القاهرة، 1962)، ص 21.

(2) للتفاصيل يراجع: الجمل، شوقي عطا الله، سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، (القاهرة، 1974)، ص 19 - 20.

(3) Quoted in : Hoskins. Op. Cit., P. 32-33.

(4) نقلاً عن: شونفيلد، المصدر السابق، ص 13-14.

هي العادة سابقاً⁽¹⁾، بيد ان بالدوين الذي وصل مصر في مطلع العام 1786 لم يوفق بعقد اتفاق مع مراد بك وإبراهيم بك إلا في عام 1794⁽²⁾ وعلى غرار الاتفاق الفرنسي - المصري، إلا ان ذلك الاتفاق لم يدخل هو الآخر حيز التطبيق العملي بسبب رفض الحكومة العثمانية له وحرص البريطانيين على عدم إثارة أية مشكلة مع هذه الحكومة لكي يحولوا دون حصول أي تقارب عثماني - فرنسي يكون بالدرجة الأساس موجه ضد مصالح بريطانيا في المنطقة⁽³⁾ لاسيما وقد لاحظ البريطانيون وصول بعثة العالمين اولفبيه وبروغير إلى مصر في نفس العام 1794 وبقاؤهم فيها حتى أيار 1795، التي كثيراً ما خشي البريطانيون خطر تفاقم أمرها⁽⁴⁾ وخلال الفترة التي تلت ذلك لم تعر بريطانيا مصر أي اهتمام حتى الإحتلال الفرنسي لها عام 1798⁽⁵⁾، ذلك الحادث الذي اعتقدت معه بريطانيا أن ارجحيتها في الدولة العثمانية أصبحت امراً لا بد منه للحفاظ على مصالحها فيها من جهة، ولأبعاد الخطر عن الهند من جهة أخرى.

ثالثاً : الموقف البريطاني من الصراع الأوربي - العثماني في القرن الثامن عشر:

أخذت علامات الضعف تتضح على الدولة العثمانية منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر، ولأسباب عديدة داخلية⁽⁶⁾ وأخرى خارجية، انعكست بالتدخلات

(1) Hoskins , Op. Cit., P. 34;

الصيد، الصراع البريطاني - الفرنسي...، ص40.

(2) عندما وصل بلدوين الى مصر، وجد ان الموقف قد تغير فيها، فقد ارسلت الدولة العثمانية حملة تأديبية بقيادة حسن باشا الجزائري لوضع حد لأنفراد المماليك بالسلطة، ففر كل من مراد بك وإبراهيم بك الى الصعيد ولم يعودوا الى القاهرة إلا بعد انسحاب حسن باشا في عام 1792، فاستطاع بلدوين الاتصال بالرجلين وعقد معهم المعاهدة المذكورة اعلاه، وللتفاصيل يراجع:

Vaujany. H. Histoire Del' Egypt,(Paris, 1885), PP. 339-342; Hoskins, op cit ,p 43-45.

(3) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر، ص54.

(4) ابراهيم ، عبد العزيز عبد الغني ، المصدر السابق، ص65.

(5) أنيس، الدولة العثمانية...، ص189.

(6) مرشو، غريغوار، الدولة العثمانية، قراءة جديده لعوامل الانحطاط، مجلة المستقبل العربي، العدد 217، مركز دراسات الوحدة العربية،(بيروت، 1997)، ص139. وللتفاصيل حول تلك الأسباب يراجع فريدون أمجن، "الدولة العثمانية منذ قيام الدولة حتى معاهدة قينارجة الصغرى" ضمن كتاب (الدولة العثمانية تاريخ وحضارة)، المجلد الأول، ص48-51.

الأوربية في الشؤون العثمانية، وأخذ اثر هذه التدخلات يزداد بشكل مؤثر منذ نهاية القرن السابع عشر ومطلع الثامن عشر، لاسيما بعد بروز كل من روسيا والنمسا كقوتين متنافستين ترومان التوسع على حساب الدولة العثمانية⁽¹⁾.

قرر القيصر الروسي بطرس الأول Peter I (1682-1725)⁽²⁾ في عام 1695 إعلان الحرب على العثمانيين في محاولة منه لتحقيق برنامجيه السياسي الرامي للوصول الى المياه الدافئة في البحر الأسود، ومن ثم السيطرة على المضائق العثمانية⁽³⁾ حتى يتسنى له ((إيجاد منافذ لروسيا تستطيع معها التنفس))⁽⁴⁾ ولأن ((من يحكم اسطنبول يمكنه أن يحكم على الدنيا كلها)) حسب قوله⁽⁵⁾، لذا فقد ركزت سياسته الخارجية تجاه الدولة العثمانية على ثلاث مسائل: أولاً العمل على اخراج العثمانيين من اوربا، ثانياً توسيع الحدود الروسية جنوباً باتجاه الدولة العثمانية، ثالثاً تعزيز النفوذ القومي والديني لروسيا في البلقان بوصفها حامية للسلاف الأرثوذكس الذين يشكلون الأغلبية في هذه المنطقة⁽⁶⁾.

وفي عام 1696 تمكن الروس من الإستيلاء على قلعة ازوف (Azof) مستغلين انشغال الدولة العثمانية بحربها على الأراضي المجرية⁽⁷⁾ وفي محاولة من

(1) Toynbee. A, Turkey,(London , 1926), P. 33;

صفوت، محمد مصطفى، المسألة الشرقية ومؤتمر باريس، معهد الدراسات العربية العالية، (القاهرة، 1958)، ص2..

(2) ولد في موسكو في التاسع من حزيران 1662، ارتقى العرش الروسي بعد مدة من وصاية أخته صوفيا عليه منذ العام 1682، كانت أقصى طموحاته تحقيق منفذ بحري لروسيا.

Encyclopedia Britannica,U.S.A., Vol 14, P. 157..

(3) صاغ بطرس برنامجيه السياسي في وصية من اربعة عشر فقرة تركها لخلفاءه، للأطلاع عليها يراجع: جودت، احمد اسماعيل، تاريخ جودت، ترجمة عبد القادر الدنا، ج1، (بيروت 1890)، ص395-398.

(4) نقلاً عن: شطب، جاسم محمد، العلاقات السوفيتية التركية، 1917 – 1923، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 1995، ص14.

(5) نقلاً عن: المحامي، المصدر السابق، ص154.

(6) شطب، المصدر السابق، ص14.

(7) Lenczowski. G. The Middle East in world Affairs,(London , 1980),

P. 27;

جودت، المصدر السابق ، ترجمة عبد القادر الدنا، ج1، ص27.

القيصر لتوسيع دائرة حلفه ضد العثمانيين. فقد تمكن في شباط 1697 من إقناع النمسا والبندقية بتشكيل تحالف هجومي موجه ضد الدولة العثمانية⁽¹⁾ أعقب ذلك في آذار من نفس العام ببعثة ضمته شخصياً إلى بلدان أوروبا الغربية، تجاوزت أهدافها الإطلاع على أوضاع أوروبا واقتباس الصالح منها⁽²⁾ إلى هدف سياسي يتلخص في تعزيز وتوسيع الحلف ضد الدولة العثمانية⁽³⁾ وعلى الرغم من بقاء بطرس في لندن لمدة أربعة أشهر لكنه فشل في تحقيق هدفه السياسي⁽⁴⁾.

ويعزى ذلك الفشل إلى تطورات اخذ يشهدها الموقف الدولي سواء أكان في الشرق الأدنى أم في أوروبا، ففي الشرق لم يكن التوسع الروسي تجاه البحر الأسود يتلاءم ومصالحة بريطانيا وهولندا، لتخوفهما على مصالحهما التجارية فيه من المنافسة الروسية⁽⁵⁾، أما في أوروبا فقد كان النزاع حول مشكلة الوراثة الأسبانية (1702-1713)⁽⁶⁾ قد أخذ شكلاً جدياً مما ترتب عليه حدوث اصطفاقات في الموقف الدولي، فأصبحت بريطانيا وهولندا ترغبان القيام بدور الوسيط بين الدولة العثمانية والنمسا لسحب الأخيرة من هذا الصراع لتتنضم إليهم في الصراع الجديد⁽⁷⁾.

(1) Vernadsky , Political and Diplomatic History of Russia , (Boston , 1936), P. 226-227.

(2) للتفاصيل حول هذه البعثة يراجع: مجلة المقتطف، الجزء الأول من المجلد الثالث والأربعين، (بيروت، تموز 1913)، ص 4-6.

(3) التكريتي، هاشم، المسألة الشرقية المرحلة الأولى 1774 – 1856، (بغداد، 1990)، ص 30.

(4) Anderson. M. Britain's Discovery of Russia 1553-1815, (London, 1958), P.49-51.

(5) العبيدي، احمد ناطق، مضائق البسفور والدردينيل 1774-1815، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، 2003، ص 48.

(6) تسلم شارل الثاني عشر (Charles XII) عرش اسبانيا في عام 1695 وكان مريضاً وموته متوقعاً في أي لحظة دون ان يترك وريثاً للعرش، فظهر نتيجة ذلك عدد من المطالبين بالعرش بعده، وكان احدهم لويس الرابع عشر (Lewis XIV) ملك فرنسا بسبب زواجه من ماريا تريزا (Marry Tereza) (أخت شارل الثاني عشر، الأمر الذي تطيرت منه بريطانيا وهولندا. للتفاصيل يراجع: البطريق، المصدر السابق، ص 215 – 219.

(7) التكريتي، هاشم، المسألة الشرقية...، ص 30.

وبطبيعة الحال فإن كل ذلك كان يصب في مصلحة الدولة العثمانية خاصة أنها كانت عاجزة عن مواصلة القتال بسبب ظروفها الداخلية السيئة⁽¹⁾.

وعليه فقد تحرك السفير البريطاني اللورد باجت (Paget) (1692 – 1702) والسفير الهولندي كولير (Coller) في وساطة لتقريب وجهات النظر بين الحكومة العثمانية من جهة والنمسا وبولندا والبندقية من جهة أخرى، وجرت مفاوضات في النمسا استمرت للمدة 1698 – 1699 تمخض عنها التوقيع على معاهدة كارلوفتزر (Karlovitz) في السادس والعشرين من كانون الثاني 1699، تنازلت فيها الدولة العثمانية عن بعض مقاطعاتها الأوربية إلى النمساويين والبنادقة، مقابل تحييد هؤلاء في مسألة الصراع العثماني – الروسي⁽²⁾.

ومما يجدر ذكره في هذا السياق، ان الحكومة الروسية شعرت بأن اهدافها من الحرب لم تتحقق، لاسيما وأن مضيق كيرج Kerch، لا يزال بيد العثمانيين، لذا فإن المندوب الروسي لمؤتمر كارلوفتزر فوزنتسيف (Fozentsev) حاول أفناع حلفائه بالعدول عن الصلح. إلا ان جهود السفيرين الإنكليزي والهولندي افشلت محاولاته الأمر الذي اقنع الروس بعدم جدوى الاستمرار في الحرب فتم التوقيع على هدنة أمدها سنتان في الرابع والعشرين من كانون الثاني 1699⁽³⁾.

أن فشل روسيا في تحقيق أي اتصال بالبحر الأسود عن طريق المجهود الحربي دفعها إلى انتهاج السبيل الدبلوماسي لتحقيق غاياتها، فأرسلت بعثة أناطت قيادتها بالسفير الروسي في اسطنبول (اوكرائنتسيف Ukraintsev) لإجراء مباحثات مع العثمانيين حول توقيع معاهدة سلام وتجارة تتيح من خلالها لروسيا حرية الملاحة في البحر الأسود، وخلال اللقاء الذي جمع السفير الروسي بالسلطان مصطفى الثاني (1695 – 1703) في الثاني والعشرين من نيسان 1700 رفض السلطان الاقتراح الروسي قائلاً ((أسمح للروس أن يدخلوا سرايي الهمايوني، اما جولانهم في البحر

(1) Show Stanford , History of Ottoman Empire and Modern Turkey , Vol. I , Empire of the Gazis. The Rise and Decline of the Ottoman Empire 1280-1808, (Cambridge university press, 1976), P. 223.

(2) Creasy. E. S, Turks,(London, 1958), PP. 318 -322.

(3) Ibid., P. 320;

التكريتي، هاشم، المسألة الشرقية...، ص31.

الأسود فأن سماحي الشاهاني، لا يمكن أن يشمل ذلك أبداً⁽¹⁾، وأستطرد قائلاً ف ((البحر الأسود في نظر العثمانيين بكر لا يحق ولا يجوز لأحد ان يمسه))⁽²⁾. وكان السبب وراء تصلب العثمانيين في موقفهم هو التأييد البريطاني والهولندي لهم في هذا الإتجاه، لذلك ليس من الغريب ان تستمر المفاوضات بين الطرفين ثلاثة اشهر حتى تم التوقيع على معاهدة بينهما في تموز 1700⁽³⁾.

شعر بطرس الأول بأن العثمانيين ومن ورائهم البريطانيين والهولنديين يقفون عائقاً حقيقياً بوجه طموحات روسيا في البحر الأسود، لذا فقد قرر أن يتجه بتوسعاته شمالاً نحو بحر البلطيق، وتجدر الإشارة إلى أن ذلك الاتجاه الجديد في التوجه الروسي جاء متوافقاً مع المصلحة العثمانية، وذلك بأن العقد (1700 – 1709) الذي انشغلت فيه روسيا في حربها ضد السويد، كانت الدولة العثمانية تمر فيه بفترة من أسوأ فتراتهما، التي نكتفي للتدليل عليها بالقول بأن ذلك العقد شهد تبدل تسعة صدور عظام وتزداد قيمة هذا الرقم إذا ما علمنا إن صدرأ أعظماً واحداً هو نعمان باشا بقي في منصبه لمدة أربع سنوات بينما شغل الثمانية المتبقين ذلك المنصب في خمس سنوات فقط⁽⁴⁾ أما كيفيات التغيير فكانت ((تبعاً للأهواء)) على حد وصف المؤرخين⁽⁵⁾.

ومن حسن حظ الدولة العثمانية أن هذه الأوضاع الداخلية السيئة لم يرافقها صراع خارجي، إلى ان تسلم محمد بلطجي باشا الصداره العظمى في عام 1710، وكان من اشد المتحمسين لنقض الاتفاق مع روسيا وإعادة ازوف، مستغلاً انشغالها بحربها مع السويد، وعلى اثر رفض روسيا لطلب الحكومة العثمانية بإعادة ازوف فقد أعلنت اسطنبول الحرب على روسيا في تشرين الأول 1710، مما دفع القيصر إلى أن يتحرك بجيشه لملاقاة العثمانيين، وعلى نهر بروث (Bruth) دارت المعركة

(1) نقلاً عن : اوزتونا، يلماز، تأريخ الدولة العثمانية، ج1، ترجمة عدنان محمود سلمان ومراجعة محمود الأنصاري، (أسطنبول، 1988)، 585.

(2) نقلاً عن : خوري، المصدر السابق، ص27.

(3) كواترت، دونالد، الدولة العثمانية 1700 – 1922، ترجمة أمين منازي، (الرياض، 2004)، ص91؛ العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص48.

(4) للتعرف على أسماء الصدور العظام خلال ذلك العقد يراجع: ياغي، اسماعيل احمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، (الرياض، 1996)، ص266 – 277.

(5) المحامي، المصدر السابق، ص43.

التي انكسر فيها الجيش الروسي، وانتهت بتوقيع معاهدة تنازل فيها القيصر عن أزوف وما حولها من حصون في الحادي والعشرين من تموز 1711⁽¹⁾.

وبسبب عدم التزام الروس ببعض بنود المعاهدة أعلاه، فقد شهد مطلع عام 1713 توتراً آخر في العلاقات الروسية - العثمانية، كاد أن يفضي إلى حرب جديدة لولا تدخل بريطانيا وفرنسا اللتين خشيتا على مصالحهما في الدولة العثمانية، فأخذت الدبلوماسية البريطانية دورها في عقد معاهدة جديدة في الثامن عشر من تموز 1713 سميت بمعاهدة ادرنة، وتنازلت بموجبها روسيا عن كل ما كان لها حول بحر ازوف⁽²⁾ حتى ((لم يبق لها عليه مين او ثغور))⁽³⁾.

شهدت العلاقات العثمانية - النمساوية إنهياراً تاماً للمدة 1714 - 1718، بسبب موقف النمسا المساند للبندقية، وكانت الأخيرة قد دخلت في صراع مع الدولة العثمانية حول خلاف نشب في إمارة الجبل الأسود، وتمكن العثمانيون من الحاق الهزيمة بالبنادقة عام 1714، الأمر الذي اضطر معه البنادقة لطلب النجدة من الإمبراطور النمساوي شارل السادس (Charles VI) (1711-1740) فتمكنت القوات النمساوية من الاستيلاء على مدينة تمسوار Temeswar في أيلول 1716 وفي آب 1717 استولت على بلغراد⁽⁴⁾، وبسبب خشية البريطانيين من امتداد التوسعات النمساوية باتجاه الدولة العثمانية فقد تدخلت الدبلوماسية البريطانية في ذلك الصراع وتمت تسويته بموجب معاهدة بساروفتزر Psarwviz في الحادي والعشرين من تموز 1718، إذ تنازلت فيه الدولة العثمانية عن بلغراد لصالح النمسا بينما تنازل البنادقة عن إقليم الموره للعثمانيين⁽⁵⁾.

(1) Rywikin M. Russian Colonial Expansion to 117, (New York, 1965), P.

147;

ليبيب، حسين، تاريخ المسألة الشرقية، (مطبعة الهلال، القاهرة، 1921)، ص 56. وللإطلاع على نص معاهدة بروث يراجع: Hurwitz, Diplomacy in the Near and Middle East, P. 39-40.

(2) طقوش، محمد سهيل، العثمانيون من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة 1299-1914، (بيروت 1995)، ص 289؛ اوزتونا، المصدر السابق، ج 1، ص 595؛ ياغي، المصدر السابق، ص 117.

(3) المحامي، المصدر السابق، ص 144.

(4) مانتران، روبير، "الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر، الضغط الأوربي"، ضمن كتاب (تاريخ الدولة العثمانية)، ج 1، ص 406.

(5) الدسوقي، محمد كمال، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، (القاهرة، 1976)، ص 100.

تجدد التوتر العثماني الروسي مرة أخرى بعد ارتقاء القيصره (كاترين الثانية II chatren 1762 – 1796) ⁽¹⁾ عرش روسيا، إذ تبنت هذه القيصرة طموحات بطرس الأول في الامتداد نحو المياه الدافئة ⁽²⁾ فكانت النتيجة الحتمية لهذه الطموحات هي نشوب الحرب بين الطرفين طيلة المدة (1768 – 1774) على اثر التدخل الروسي في مشكلة وراثة العرش البولندي ⁽³⁾ ويبدو أن كاترين الثانية أعدت للحرب عدتها الدبلوماسية بشكل مسبق، ولغرض تضيق دائرة الحلف العثماني، فقد استطاعت ان تحول دون قيام تحالف عثماني بروسي، بعقدها معاهدة تحالف مع بروسيا في نيسان 1764 ⁽⁴⁾، أما بريطانيا وعلى الرغم من خروجها للتو منتصرة في حرب السنوات السبع، لكنها في الوقت ذاته لم تكن تستطيع ان تخفي ثقل الأعباء السياسية التي تعاني منها في الداخل ⁽⁵⁾ كما أنها كانت ترزح تحت مديونية طائلة بلغت بعد حرب السنوات السبع مئة وأربعين مليون باوند استرليني وهذا لا يعني ان الحكومة كانت في انتعاش اقتصادي، إذ أنها كانت مدينة قبل الحرب بأثنين وسبعين باوند استرليني ⁽⁶⁾. وفي مثل هذه الظروف فأن الأمتياز التجاري الذي منحته كاترين للبريطانيين في عام 1766 كفيل بأن يؤدي إلى تقارب بين الطرفين، طالما إنه أعطى لبريطانيا وحدها حرية المتاجرة في البلطيق ⁽⁷⁾، بعد الأخذ بالحسبان ان الوزارة

- (1) ولدت عام 1729، ابنة البرنس انهلت زربست الألماني، تزوجها القيصر بطرس الثالث (peter III) ، واستطاعت استمالة اهالي البلاد فعزلته سنة 1762، سارت على خطى بطرس الأكبر في التوسع.. Everyman's Encyclopedia, Vol. 3, (London, 1958), P. 78.
- (2) السامرائي، نوري، تطلعات روسيا القيصرية نحو فلسطين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة المجمع العلمي، ج4، المجلد الواحد والخمسون، (بغداد، 2004)، ص135.
- (3) للتفاصيل حول مشكلة العرش البولندي يراجع: العكلي، صالح حسن، بولندا 1733 - 1795، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ص111-123.
- (4) أحمد، بان غانم، العلاقات العثمانية الألمانية، 1882 – 1918، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب، جامعة الموصل، 2001، ص8-9.
- (5) للتفاصيل يراجع: خوري، المصدر السابق، ص29.
- (6) الياسري، يونس عباس، سياسة بريطانيا تجاه مستعمراتها في امريكا الشمالية 1762-1776، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية، جامعة بابل، 2006، ص56.
- (7) كامل، مصطفى، المسألة الشرقية، (القاهرة، 1898)، ص31؛ العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص54.

البريطانية حينذاك ممثلة بشخص رئيسها وليم بت (أيرل كاثام Earl Chatham) (1). كانت تميل إلى التقارب مع روسيا (2).

لا تقف حدود أسباب التقارب الروسي - البريطاني في تلك المرحلة عند تلك الأسباب، بل يمكن أن يعزى أيضاً إلى اعتقاد البريطانيين أن القوة البحرية الروسية لا يمكن أن تنافس القوة البحرية البريطانية في مياه البحر المتوسط، خاصة وقد تعرضت البحرية الروسية لضربة قوية بفعل معاهدة بلغراد المعقودة في الثامن عشر من أيلول 1739 والتي حرمت روسيا من حق بناء السفن الحربية في بحر آزوف، أو البحر الأسود (3) أما في البلطيق فقد كان الأسطول الروسي بطيء الحركة، وبخارته تعوزهم الخبرة، ويذكر المؤرخون إن الأسطول الروسي لما رسا في الموانئ البريطانية عام 1769 وهو في طريقه إلى البحر المتوسط لمحاربة العثمانيين كان البحارة البريطانيون يسخرون من رجاله ويقولون إن سفينة روسية تحتاج إلى ثلاثمائة رجل بينما خمسة أو ستة من الروس يكفون لقيادة سفينة بريطانية كبيرة (4).

وآخر تلك الأسباب، فأن التقارب الفرنسي العثماني في هذه المرحلة - لاسيما بعد تسلم المسيو شوازيل Choissuel (5) حقيبة الخارجية الفرنسية (1757 - 1770)

(1) أيرل كاثام : ولد في 15 تشرين الثاني 1708 كان والده عضواً في البرلمان الإنكليزي، وفي عام 1735 أصبح عضواً في البرلمان، شغل منصب وزير الدولة للفترة 1754-1756، وفي عام 1757 شكل وزارته الأولى، وحقق خلالها انتصارات بريطانيا في حرب السنوات السبع، قدم استقالته منها = سنة 1761، بعد خلاف مع الملك جورج الثالث، وظل عازفاً عن المناصب الوزارية حتى العام 1766 حيث شكل وزارته الثانية بطلب من الملك.

www.victorianweb.org/history/bms/willimbitt.

(2) Miller, Op. Cit., P. 14;

بولارد، المصدر السابق، ص29.

(3) للأطلاع على نص المعاهدة يراجع:

Hurwitz , Diplomacy in the Near and Middle East , PP.74-51.

(4) خوري، المصدر السابق، ص30.

(5) ولد في عام 1719 في اللورين، دخل الجيش في مقتبل عمره وترقى في الرتب العسكرية، شارك في حرب الوراثة النمساوية، ثم ارسل بعدها في بعثات دبلوماسية حتى تقلد حقيبة الخارجية الفرنسية في عام 1757، فسيطر على السياسة الخارجية الفرنسية خلال حرب السنوات السبع، وتولى أيضاً وزارة الحربية والبحرية. Everyman's Encyclopedia , Vol. 3. P. 425

الذي وجه اهتماماً كبيراً للتقارب مع الدولة العثمانية- قد أعطى التقارب البريطاني - الروسي دفعةً إلى الأمام، خاصة وأن فرنسا استطاعت ان تحقق نشاطاً دبلوماسياً كبيراً لدى الباب العالي⁽¹⁾ إلى الحد الذي دفع الميسوشوازيل بأن يتقدم بطلب إلى حكومته للموافقة على ضرب المراكب الروسية في حالة اعتدائها على الممتلكات العثمانية، إلا ان الحكومة الفرنسية رفضت ذلك، وقبل الرفض جاء موقف الحكومة البريطانية معلنة بأن أي عمل يوجه ضد روسيا يعد اهانة لبريطانيا وإعتداء عليها⁽²⁾. استمرت الحرب العثمانية الروسية طيلة الأعوام 1768 - 1774، فشهدت السنوات الأولى من هذه الحرب فقدان العثمانيين لمواقعهم في ولاشيا ومولدافيا خلال العامين 1769 - 1770، ومنذ عام 1769، أرسلت روسيا اسطولين كبيرين من بحر البلطيق احدهما بقيادة الأميرال الروسي غريغوري اورلوف G.Orloof. والثاني بقيادة الأميرال البريطاني جون الفنستون J.Eliphinston ، لملاقاة الأسطول العثماني في المتوسط، وكذلك لإثارة وتشجيع أهالي البلقان على الثورة⁽³⁾، وقد وصلت القوة البحرية المشتركة إلى اليونان واحتلت كورون Koron ثم توجهت إلى بحر إيجه واحتلت جزيرة خيوس Chios، وتوجه الأسطول الروسي بمفرده إلى ميناء جشمة Cheshme وتمكن من السيطرة عليه في تموز 1770 بعد تدمير الأسطول العثماني هناك⁽⁴⁾ وكان لسيطرة القوة البحرية المشتركة على شرق المتوسط إثرها في تحقيق الروس انتصارهم البري في معركة كاغول (gachool) في آب 1770⁽⁵⁾.

إن هذا الحد من التوسعات الروسية كان كفيلاً بأن استخفاف البريطانيون بالقوة البحرية الروسية ليس في محله، لاسيما وأن الأسطول الروسي بقي مرابطاً في المتوسط، وتنبه رجال السياسة في بريطانيا إلى عظم الخطأ الذي ارتكبوه، فخطب

(1) Miller, Op , Cit , P. 13.

(2) كامل، المصدر السابق، ص30.

(3) مصطفى، احمد عبد الرحيم، أصول التاريخ العثماني، (بيروت، 1982)، ص164.

(4) العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص60 ؛ المحامي، المصدر السابق، ص157.

(5) فيدوسوف، بيفانوف، تاريخ الاتحاد السوفيتي، ترجمة خيرى الضامن ونيقولا طويل، (دار التقدم، موسكو، د. ت) ص254.

عضو مجلس العموم البريطاني وليم بت الأصغر W. Pitt⁽¹⁾، في المجلس محذراً من خطر التوسع الروسي قائلاً ((يقولون لنا دعوا روسيا تحتفظ بالمناطق التي احتلتها ودعوها تطرد العثمانيين من القطاع الأوربي، فأن هذه الأمور لا تهم بريطانيا. أما أنا فأني لست مستعداً لمناقشة الذين يقولون هذا القول ويؤمنون بهذه السياسة...))⁽²⁾، ومنذ ذلك الحين تمحورت السياسة الخارجية البريطانية على حماية الدولة العثمانية، لتخوفها على مصالحها ليس بسبب قوة الدولة العثمانية وإنما لضعفها، وقد ظلت بريطانيا ثابتة على هذا المبدأ حتى سقوط الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى⁽³⁾ إذ سرى الاعتقاد بأن نهضة روسيا العسكرية والصناعية تتقاطع مع المصالح البريطانية لا في البحر المتوسط فحسب، وإنما في الهند أيضاً فأصبح ((الدفاع عن البسفور هو دفاع عن الهند))⁽⁴⁾.

سارعت الحكومة البريطانية لتدارك خطأها السابق، وكتبت إلى سفيرها في اسطنبول السير (جون موراي J. Murray) (1765 – 1775) لأجل محادثات العثمانيين، بأن يعرض وساطة بريطانيا للصلح بينهم وبين الروس، وخلال اللقاء الذي جمع بين موراي والسلطان مصطفى الثالث فوجيء السفير بمبادرة السلطان له قائلاً ((انه لمن الأمور المدهشة والخارقة للعادة، أن إنكلترا تعرض على الباب العالي توسطها في الحرب، مع ان لها سفناً في الأسطول الروسي حاربت ضدنا، ولذلك نحن نعتقد أن طلبها ستار لأغراض أخرى...، فلتعلن إنكلترا عن خطتها وسلوكها بدون مراوغة، حتى يعلم الباب العالي مع أي المتحاربين هي معه أم ضده))⁽⁵⁾.

كان وقع الرد ثقيلًا على بريطانيا التي استدعت في الحال ضباطها وبحارتها العاملين في الأسطول الروسي⁽⁶⁾ وحينما علمت الحكومة البريطانية بالاتصالات التي

(1) رجل سياسة بريطاني، ولد في الثامن والعشرين من حزيران 1759، شكل الوزارة مرتين الأولى من 1783-1801، والثانية من 1804 – 1806.

Encyclopedia Britiannica, (U. S. A., 1970), Vol. 17, PP. 1118 – 1122

(2) نقلاً عن : خوري ، المصدر السابق، ص32.

(3) حجر، جمال محمود، القوى الكبرى والشرق الأوسط في القرنين التاسع عشر والعشرين، تقديم عمر عبد العزيز عمر، (الإسكندرية، 1989)، ص10، 13.

(4) نقلاً عن : خوري ، المصدر السابق، ص32.

(5) نقلاً عن، كامل، المصدر السابق، ص33.

(6) بولارد، المصدر السابق، ص30.

دارت بين قائد الأسطول الروسي اورلوف وبين علي بك الكبير اوائل عام 1773، فقد أوفدت بريطانيا جيمس بروس إلى علي بك ليقنعه بعدم التمادي في علاقاته مع الروس، وبهذا الشكل أخذت بريطانيا تستأنف نشاطها المعارض للامتداد الروسي نحو المياه الدافئة⁽¹⁾.

وعلى أية حال فإن هذه الخطوات الأحترافية البريطانية لم تقلل من شأن المكاسب التي حصل عليها الروس من الدولة العثمانية بموجب معاهدة (كوجك كينارجي Kutchuk Kainarge) التي أنهت الحرب بين الطرفين ووقعت في الحادي والعشرين من تموز 1774⁽²⁾، وقد تألفت هذه المعاهدة من ثمان وعشرين مادة تنازل فيها الباب العالي عن أهم القلاع العثمانية على البحر الأسود، ومُنح فيها الأسطول التجاري الروسي حق المرور عبر المضائق العثمانية، كما منح فيها السلطان بعض الامتيازات للرعايا الأرثوذكس في الدولة العثمانية، وغير ذلك من التنازلات⁽³⁾.

أدلى المؤرخون بأرائهم منتقدين المعاهدة، لآثارها السلبية على الدولة العثمانية، فقال عنها البعض بأنها ((واحدة من اذهل أعمال الحماسة التركية))⁽⁴⁾ وحلى لآخر أن يصفها بأنها ((اشهر عهدة أمضت عليها الدولة العلية، والحجر الأول للمسألة الشرقية))⁽⁵⁾، كما وصفت بأنها ((من اكثر الوثائق شؤماً في التاريخ العثماني))⁽⁶⁾ بل إنها ((من اقصى وثائق التاريخ العثماني))⁽⁷⁾.

(1) خوري ، المصدر السابق، ص35.

(2) رشاد، علي، وآخرون، تاريخ عثماني، اسطنبول، 1327هـ، ص92.

(3) للأطلاع على نص المعاهدة يراجع:

Anderson. M. S. The Great Powers and the Near East 1774 – 1923. Documents of Modern History , (London , 1970), pp, 9-14 ; Hurewitz , Diplomacy in the Near and Middle East , pp54 – 61 ;

جودت، المصدر السابق، ج1، ص 398 – 410.

(4)Quoted in: Miller, Op, Cit , P. 8.

(5) نقلاً عن: كامل، المصدر السابق، ص46.

(6)Quoted in: Shaw, Op. Cit. Vol. I, P. 250.

(7) نقلاً عن: مصطفى، المصدر السابق، ص165.

كانت هذه المعاهدة واسعة التأثير لتشمل النشاط البريطاني في البحرين المتوسط والأسود خاصة والدولة العثمانية عامة، لدرجة عدها البعض بأنها ((فاتحة التحول البريطاني عن روسيا)) (1)، فمن جانب بسبب السماح للسفن التجارية الروسية باستخدام المضائق العثمانية، واعفاء هذه السفن من رسوم عبور المضائق الذي كانت تدفعه السفن التجارية البريطانية والفرنسية (2) ومن جانب آخر أضحت الموانئ الروسية على البحر الأسود مرافئ رئيسة لاستقبال التجارة القادمة إليها من مختلف جهات أوربا وآسيا وتوزيعها، فأصبح الروس بذلك الوسطاء الحقيقيين بين الشرق والغرب، واتضح دورهم في دخولهم في منافسة جادة مع التجار البريطانيين، فكان كل ذلك كفيلاً بأن يثير مخاوف بريطانيا من اتساع مدى النفوذ الروسي في الدولة العثمانية (3).

لذا من الطبيعي ان تنعكس مخاوف بريطانيا هذه على موقفها من المشروع السياسي الذي طرحته كاترين الثانية في مراسلاتها السرية مع الأمبراطور النمساوي (جوزيف الثاني Josive II 1780 – 1790) خلال الأعوام 1781 – 1782، بعد ان ادركت كاترين الثانية بأن تحقيق أي توسع روسي في البلقان لا يمكن ان يتم دون التفاهم المسبق مع النمسا، وعليه فقد ترجمت القيصرة خططها التوسعية تجاه الدولة العثمانية في مشروع اطلق عليه بالمشروع اليوناني، وتوصلت مع الأمبراطور الى تفاهم سري حوله في عام 1782 (4). وقد تضمن المشروع طرد العثمانيين من أوربا وتقسيم ممتلكاتهم فيها بين روسيا والنمسا (5) ولأجل تفادي معارضة فرنسا فقد ضمن المشروع لها حصة تمثلت بمصر وسوريا (6). إلا ان روسيا لم تستطع تذليل معارضة بريطانيا التي استفزها المشروع وعدته موجهاً ضد مصالحها في الدولة العثمانية. فأقلقته المكاسب المذهلة التي ستجنيها روسيا من المشروع، ولذا فقد أخذت تسعى

(1) نقلاً عن : بولارد، المصدر السابق، ص30.

(2) العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص62.

(3) شطب، المصدر السابق، ص14-15.

(4) Anderson, M.S. The Eastern Question 1774- 1923 , A Study in International Relation , (New York , 1966) , PP. 8-2.

(5) Pares , B. A History of Russia ,(New York , 1948), P. 267.

(6) Marriott, the Eastern Question, An Historical Study in European Diplomacy, (Oxford, 1969) , P. 155; Show, Op. Cit ,Vol. 1, P. 258.

لأفشاله والعمل على حصر روسيا في البحر الأسود عن طريق إسناد الدولة العثمانية⁽¹⁾.

في غضون ذلك حدث من الأمتداد الروسي نحو الدولة العثمانية ما زاد من القلق البريطاني، ففي عام 1783 أقدمت روسيا على ضم منطقة القرم، واعترفت الدولة العثمانية بذلك رسمياً في العام التالي⁽²⁾ كما جعلت من (سباستبول sebastopol) في منطقة القرم و(خرسون khrsoon) على البحر الأسود قاعدتين للأسطول الروسي، وقامت بنشر عملائها في البلقان للتحريض ضد الحكم العثماني⁽³⁾ مستندة في ذلك على القنصليات الروسية التي أقامتها القيصرية في الأقاليم العثمانية بموجب معاهدة كوجك كينارجي⁽⁴⁾ وقامت بتشجيع القراصنة اليونان بمهاجمة السفن التجارية العثمانية⁽⁵⁾ فضلاً عن ذلك فقد ترجمت روسيا عن حقها الجديد في البحر الأسود بمنحها إمتيازاً للسفن اليونانية عام 1783 بالمتاجرة في هذا البحر تحت علمها الخاص⁽⁶⁾ وبصورة عامة فقد كان لسياسة التشجيع الروسي صدى لدى مسيحيي البلقان الذين أخذوا بالتحول الى جانب روسيا⁽⁷⁾.

(1) التكريتي، هاشم، المسألة الشرقية...، ص40؛ العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص66.

(2) Anderson, The Great Power and the Near East, PP. 14 –16; Parker and Others, Modern Turkey , (London, 1940) , P. 26 -27.

ويشير د. كمال بكديلي ان روسيا استطاعت تحقيق ذلك لانشغال بريطانيا في شؤون مستعمراتها الأمريكية. بكديلي، كمال، "الدولة العثمانية من معاهدة قينارجة الصغرى حتى الانهيار"، ضمن كتاب (الدولة العثمانية تاريخ وحضارة)، المجلد الأول، ص74.

(3) Marriott ,Op. Cit , P. 157; Anderson, the Eastern Question, P.8.

(4) حسون، علي، العثمانيون والبلقان، ط2، (بيروت، 1986)، ص159، 167. ومن المناسب القول ان الحكومة الروسية عينت لها قنصل في ازمير في عام 1782، وفي عام 1784، أرسلت قنصلها الى البانيا وساموس وخيوس ورودرس وقبرص، وإلى طرابزون في عام 1786. دانتسنيغ، المصدر السابق، ص147.

(5) Shaw, Op, Cit , Vol. I, P. 258;

العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص66؛ طقوش، المصدر السابق، ص302.

(6) Crawley , The Near East and the Ottoman Empire 1798- 1830 , in the New Cambridge Modern History, Vol. IX, , (Cambridge University press , 1965), p 544

(7) Anderson , The Eastern Question , P. 8.

امام هذه التطورات فقد شعرت بريطانيا بأنه آن الأوان لطرح ما بجعبتها لمواجهة المد الروسي، لاسيما وقد حانت الفرصة لذلك، متمثلة بإندلاع الحرب بين روسيا والنمسا من جهة والدولة العثمانية من جهة أخرى⁽¹⁾.

كانت الخطة البريطانية تجاه الحرب تقوم على اتجاهين: الأول هو توسيع دائرة الحلف العثماني، وأول خطواتها في هذا السبيل تحريضها للسويد ضد روسيا، من اجل إشغال الأخيرة من الشمال، وبالفعل اندلعت الحرب بين الطرفين في حزيران 1788، أعقبها هجوم سويدي واسع على الأراضي الروسية من الشمال في تموز من العام ذاته، في محاولة من السويد للسيطرة على مناطق البلطيق التي سبق لروسيا ان احتلتها⁽²⁾ وفي السياق ذاته لكن على محور آخر فقد عززت بريطانيا تعاونها مع السويد بحلف مع هولندا في الخامس عشر من نيسان 1788، واستغلت العداء البروسي للنمسا وفي محاولة منها لضم بروسيا الى جانبها وقعت معها اتفاقية تحالف في آب 1788⁽³⁾.

كانت هذه المعاهدة هي الخطوة الأخيرة في الاتجاه الأول ومقدمة في الوقت ذاته للاتجاه الثاني من الخطة البريطانية، المتمثلة بتقليص دائرة الحلف الروسي، فقد استغلت بريطانيا اطماع بروسيا في بولندا⁽⁴⁾، وبتشجيع منها فقد عقدت بروسيا تحالفاً مع الدولة العثمانية في كانون الثاني 1790 موجهاً ضد النمسا وروسيا⁽⁵⁾ ثم أخذت الدولتان (بريطانيا وبروسيا) تهددان النمسا بوجوب الانسحاب من الحلف الروسي، وعلى اساس الوضع القائم قبل الحرب، أي انها تخرج خاوية الوفاض من كل

(1) في السادس عشر من آب 1787 طالبت الدولة العثمانية روسيا بإعادة منطقة القرم، لكن الروس رفضوا ذلك فأعلنت الدولة العثمانية الحرب في الرابع والعشرين منه، وردت روسيا بإعلانها الحرب في منتصف ايلول، أما النمسا ولتخوفها من انفراد روسيا في البلقان فقد انضمت اليها في شباط 1788.

Marriott, Op. Cit. P. 158; Miller, Op. Cit, P. 9; Anderson, The Eastern Question, P. 13.

(2) Anderson , The Eastern Question , P. 14.

(3) طقوش، المصدر السابق، ص286؛ التكريتي، هاشم، المسألة الشرقية...، ص43.

(4) كانت بروسيا تحاول استغلال ظروف النمسا وأنشغالها بالحرب للتوسع وضم منطقة داننترك وثورون من بولندا على أن تُعوض الأخيرة من قبل النمسا بغاليسيا. العكيلي، المصدر السابق، ص144.

(5) Marriott, Op. Cit, P. 161;

طقوش، المصدر السابق، ص286.

المكاسب التي حصلت عليها خلال السنوات 1787 – 1790 المتمثلة ببغراد والبوسنة ومكاسبها في ولايتي ولاشيا ومولدافيا⁽¹⁾.

ومما سهل المهمة على بريطانيا وبروسيا، ان ظروفًا خطيرة استجذبت بعد وفاة الإمبراطور جوزيف الثاني في شباط 1790، حيث واجه خلفه (ليوبولد الثاني Leopold II 1790 – 1795) أحداث الثورة في بلجيكا، مما حتم عليه الانسحاب الفوري من ذلك الحلف⁽²⁾. فدخلت النمسا في مفاوضات مع الدولة العثمانية اسفرت عن التوقيع على معاهدة (سيستوفا Sistova) في الخامس من آب 1791، على اساس الوضع الذي كان قائماً قبل الحرب⁽³⁾.

كان تخلي النمسا عن حلفها مع روسيا، نهاية لما يسمى بالمشروع اليوناني، لكنه لم يكن نهاية للنشاط العسكري الروسي تجاه الدولة العثمانية، ولا نهاية للمعارضة البريطانية لذلك النشاط، فمن جانب روسيا فقد توقفت الحرب بينها وبين السويد في آب 1790 بموجب صلح فيريل Firel على أساس الوضع الذي كان قائماً في البلطيق عام 1788، مما مكن روسيا من حشد كل طاقاتها ضد العثمانيين⁽⁴⁾، اما العثمانيين فمن جانبهم فقد شعروا بتحسّن موقفهم بعد انسحاب النمسا من التحالف المناهض لهم، وعليه رفضوا عقد الصلح مع روسيا إلا بعد إعادتها لمنطقة القرم⁽⁵⁾، وعلى توافر أسباب ديمومة الحرب بين الطرفين فقد توقف الموقف البريطاني إذ

(1) العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص 68.

(2) كان ليوبولد الثاني يأمل أيضاً من بريطانيا ان تساعده في اخماد الثورة البلجيكية على اعتبار ان هذا الأمر يصب أيضاً في صالح بريطانيا، فوصول المد الثوري الفرنسي الى بلجيكا يعني تهديد الخط الدفاعي الأول لبريطانيا، وقد لوحث لندن بإمكانية مساعدة النمسا على إخماد الثورة، الأمر الذي سهل لهم أمر انسحاب النمسا من الحلف الروسي وإستبداله بالتوقيع مع ميثاق ريتشنباخ Reichenbach في 1790 الذي تعهدت فيه النمسا بالتخلي عن مخططاتها تجاه الدولة العثمانية، على ان تساعد بريطانيا وبروسيا النمسا في بسط سيادتها على بلجيكا.

Anderson, The Eastern Question , P. 16-17 ;

العكيلي، المصدر السابق، ص 148.

(3) Marriott, Op, Cit , P. 162 ; Anderson, The Eastern Question , P. 17;

وللأطلاع على نص معاهدة سيستوفا يراجع: المحامي، المصدر السابق، ص 174.

(4) Vernadsky, Op. Cit., P. 273;

التكريتي، هاشم، المسألة الشرقية...، ص 47.

(5) العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص 68.

اقترح رئيس الحكومة البريطانية وليم بت في الخامس والعشرين من آذار 1791 إرسال إنذار نهائي إلى حكومة كاترين الثانية، يؤكد معارضة بريطانيا للمكاسب التي حصلت عليها على حساب الدولة العثمانية، ويطلب من القيصرية أن تعلن خلال عشرة أيام استعدادها للتوصل إلى سلام مع الدولة العثمانية وبشروط معقولة واقترح وليم بت إرسال قطع من الأسطول البريطاني المرابط في البحر الأسود وبحر البلطيق، لكن هذه الإقتراحات اصطدمت بمعارضة البرلمان والرأي العام البريطاني⁽¹⁾، الذين اندهشوا من طرح فكرة الحرب على روسيا ذلك ((الحصن البعيد)) على حد تعبير بعضهم⁽²⁾.

وعلى الرغم من تراجع وليم بت عن قراره ((لإنقاذ ماء وجهه أمام الرأي العام في بريطانيا بأفضل أسلوب ممكن)) على حد قول كارل براون⁽³⁾، لكن ذلك الموقف يؤشر من جانب آخر بأن حكومته لم تدخر وسعاً في الوقوف ضد الخطط الروسية.

وعلى اثر هزيمة العثمانيين في تموز 1791، استؤنفت المفاوضات بين الروس والعثمانيين، وأسفرت عن توقيع معاهدة ياسي Jassy في التاسع من كانون الثاني 1792، وتم الاتفاق فيها على ضم بلاد القرم لروسيا بصورة نهائية وجورجيا وبساربيا والأقاليم الواقعة بين نهري بوج (Boj) و دنيستر (Dnester) على ان يكون النهر الأخير حداً فاصلاً بين البلدين⁽⁴⁾.

لقد وصفت هذه المعاهدة بأنها معتدلة بالقياس مع المشاريع التي كانت تضمها كاترين الثانية للدولة العثمانية، ومرد ذلك الى الموقف المعارض التي وقفته بريطانيا مع تلك الخطط⁽⁵⁾، فعلى الرغم من أطماع بريطانيا في الدولة العثمانية إلا أنها لم تكن تسعى لتفكيكها، بل على العكس وجدت أن مصالحها السياسية

(1) Anderson , British Discovery of Russia , P. 156- 164; Mariott, Op. Cit., P. 162 – 163.

(2) Anderson ,The Eastern Question , P. 18.

(3) براون، كارل، السياسة الدولية والشرق الأوسط ترجمة عبد الهادي حسين مراجعة سعد ناجي، (بغداد، 1978)، ص35.

(4) Anderson , The Great Powers and the Near East, P. 16-17; Vernadsky, Op. Cit., P. 273.

(5) التكريتي، هاشم، المسألة الشرقية...، ص50.

1798

والإقتصادية تكمن في بقائها على هذه الحالة من الضعف، فبإسنادها تكون حائلاً جيداً دون وصول الروس إلى البحر المتوسط، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن بقاء الدولة العثمانية على هذه الحال يعطي بريطانيا الوقت الكافي لبلورة خططها للسيطرة على المناطق التي تقع على طريق الهند وتخضع للسيادة العثمانية⁽¹⁾، وانطلاقاً من الحقيقة الأخيرة فما أن عقدت معاهدة ياسي وأسدلت الستار عن آخر صراع عثماني روسي شهده القرن الثامن عشر حتى وجهت بريطانيا نشاطها السياسي العسكري نحو شرق المتوسط على اثر غزو جديد للأراضي العثمانية تمثل بالغزو الفرنسي لمصر عام 1798.

(1) الفتلاوي، آلاء حمزة، السياسة البريطانية تجاه تركيا 1919 - 1923، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب جامعة بغداد، 2000، ص4 ؛ جاسم، عبد الجبار عطوي، ملاحظات حول أساليب تغلغل النفوذ الأوربي في الخليج العربي قبل الحرب العالمية الأولى، مجلة الخليج العربي، العدد 10 (جامعة البصرة، 1978)، ص38 .

الفصل الثاني

سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية في ظل الغزو الفرنسي لمصر 1798 -

1801

أولاً. الغزو الفرنسي لمصر والتحالف البريطاني - العثماني:

بالرغم مما قيل عن الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798 بأنها وليدة الصدفة أو أملت ظروف طارئة⁽¹⁾ أو أنها كانت نتيجة حتمية لخسائر فرنسا المستمرة لمستعمراتها فيما وراء البحار طيلة القرن الثامن عشر⁽²⁾ وللرغبة الجامحة عند الكثير من ساستها وتجارها ورحالتها لتعويض هذه الخسائر⁽³⁾، فقد كان للفرنسيين أيضاً عدد من المسوغات في ترشيح مصر لغرض الغزو، فمن جهة أرادوا استغلال حالة التفكك والضعف الداخلي الذي كانت تعيشه نتيجة الصراع بين حكامها المماليك وممثلي الباب العالي في مصر الذي وصف بأنه (أشبه ما يكون بالحرب السرية بينهما) على حد

(1) بولارد، المصدر السابق، ص 28.

(2) بموجب صلحي أترخت في عام 1713 وباريس في عام 1763 فقدت فرنسا أكثر مستعمراتها في العالمين القديم والجديد، للتفاصيل يراجع: شكري، محمد فؤاد، الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، (القاهرة، د.ت)، ص 23-24.

(3) من السياسيين الفرنسيين الدوق شوازيل وزير خارجية فرنسا (1757 - 1770) الذي كان يعتقد بأن بناء إمبراطورية استعمارية وبناء بحرية قوية عاملان لا غنى عنهما للنجاح في المضمار الدولي، وشاطره الرأي أيضاً (سان بريست S.priest) السفير الفرنسي في اسطنبول (1768 - 1784) والذي شهد الحرب الروسية العثمانية (1768 - 1774) وأعتقد بأن انحلال الدولة العثمانية أمراً لا مفر من الاعتراف به. وإذا تقرر ذلك فيجب أن تكون مصر من نصيب فرنسا من التركة العثمانية وكذلك كان رأي (جان بابتيست مور J . B . Mure) قنصل فرنسا في مصر أما الرحالة الذين عني الفرنسيون بدراسة كتاباتهم في السنوات القليلة التي سبقت الحملة، وكان لها أثر كبير في توجيه أنظارهم نحو مصر فيأتي في مقدمتهم البارون دي توت (Baron de Tott) الذي وصف مصر في رحلته التي نشرت في العام 1784 بأنها ((مستعمره مثالية)) أما فولني (volny) الذي زار مصر بين الأعوام (1783-1784) فقد طرح رؤية فيها بأنه من الأفضل ((أن تتحرر مصر من سيادة العثمانيين حتى تتولى شؤونها دولة أخرى تشعر بالعطف على المصريين .. وتعنى بالبحث عن أثارهم))!! أما سافاري (Savary) الذي نشرت رحلته في عام 1786 فقد ضمنها وصفاً شيقاً لخصوبة أرض مصر ووفرة غلاتها. وللتفاصيل عن دور هؤلاء وغيرهم يراجع: كرسنوفر، هيرولد، بونايرت = في مصر، ترجمة فؤاد أندراوس، (القاهرة، د.ت)، ص 20 - 22؛ شكري، الحملة الفرنسية ... ص 42-54.

لمصر

تعبير أحد المعاصرين⁽¹⁾، ثم حسمه المماليك أخيراً لصالحهم ((فانتقلت إدارة البلاد الى طغمة المماليك، وأصبح رئيسهم شيخ البلد بيده بقاء الوالي (العثماني) أو عزله))⁽²⁾، ثم ما حدث بعد ذلك من تنافس بين المماليك أنفسهم لاسيما في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر خاصة بين إبراهيم بك ومراد بك مما انعكس بعد ذلك على أحوال البلاد وأستنزاف قوتها⁽³⁾ وأخيراً انعكاس ذلك التنافس على العلاقة بين المماليك والمصريين، مما يعني أنعدام احتمال أي تنسيق للمقاومة يمكن أن يتم بين الطرفين⁽⁴⁾، فقد ساءت أوضاع المصريين الى الحد الذي جاءت معه كتابات المؤرخين طافحة في بيانها⁽⁵⁾.

ومن جهة أخرى فإن الانهيار المتوقع للدولة العثمانية، قد أثار مخاوف الفرنسيين من قيام بريطانيا أو أية دولة أخرى بفرض سيطرتها على مصر مما يؤثر على المصالح الفرنسية هناك⁽⁶⁾ ويرى البعض أن الفرنسيين فكروا بالسيطرة على مصر لأجل أن يكونوا في موقف أقوى يتسنى لهم من خلاله مقايضة بريطانيا مستقبلاً

(1) الجبرتي، عبد الرحمن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج1، (دار الجيل بيروت، د.ت)، ص22-23.

(2) لوتسكي، فلاديمير، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، (دار التقدم، موسكو، 1971)، ص30، ولفاصيل أكثر عن هؤلاء المماليك وإدارتهم في مصر ونظمهم، يراجع: شكري، محمد فؤاد وآخرون نصوص ووثائق في التاريخ الحديث والمعاصر، (مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت)، ص 46-66.

(3) Vajunay. Op.cit , p340; Vatikiotis . p . j, the History of Egypt, Third Edition,(London, 1985), PP. 30-31..

(4) شهدت القاهرة وعدد من الأقاليم المصرية في عام 1780 انتفاضة شعبية تحت قيادة علماء الأزهر ضد حكم المماليك. الطائي، عمار محمد علي، المقاومة الشعبية للأحتلال الفرنسي لمصر 1798 – 1801 رسالة ما جستير مقدمة الى كلية الآداب، جامعة بغداد، 2003، ص 22. وفي تموز 1795 حدثت في القاهرة أنتفاضة أخرى أشترك فيها تجار القاهرة وباركها علماء الأزهر ؛ يحيى، مصر الحديثة...، ص324-326.

(5) للتفاصيل حول تلك الكتابات التي صورت أحوال مصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية عشية الأحتلال الفرنسي لها يراجع: غربال، محمد شفيق، مصر عند مفترق الطرق 1798 – 1801، (المقالة الأولى)، (ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية كما شرحه حسين أفندي أحد أفندية الروزنامه في عهد الحملة الفرنسية)، مجلة كلية الآداب، المجلد 4، ج1، (القاهرة، آبار 1936)، ص 40-69 ؛ شكري وآخرون، نصوص ووثائق ...، ص 66-95 ؛ الطائي، المصدر السابق، ص11-34؛ الجبرتي، عجائب الآثار ...، ج2، ص273-283.

(6) Jonquier, Histoire De L' Empire Ottoman, (Paris, 1914), P. 322; Hoskins, Op. Cit, P. 55; Miller, Op., Cit, P. 4.

لمصر

بخصوص مسائل الخلاف بين الدولتين⁽¹⁾ بينما يذكر البعض الآخر أن هدفهم الأساسي هو تعزيز تواجدهم فيما تبقى لهم من مستعمرات في المحيط الهندي. لأجل تقويض الوجود البريطاني في الهند⁽²⁾ خاصة بعد أن اتضحت نوايا البريطانيين بقطع الطريق أمام النفوذ الفرنسي في الهند من خلال تعزيز علاقاتهم مع المماليك في ظل انحسار النفوذ العثماني في مصر⁽³⁾. وعلى أية حال، فقد وصل الفرنسيون عن طريق قنصلهم في مصر (شارل مكالون Charl Magalon)⁽⁴⁾ الى قناعة تامة بان (مصر ثمرة ناضجة لا يستطيع المماليك حمايتها من ناحية ولا سيدها الأسمي [السلطان العثماني] كذلك لانشغاله بمشاكله العديدة)⁽⁵⁾.

لم يشرع الفرنسيون بغزوهم إلا بعد دراسات مستفيضة سواء أكان عن طريق مبعوثيهم الى الدولة العثمانية أم عن طريق قناصلهم في مصر، ففي عام 1776 أرسلت الحكومة الفرنسية (دي مونتاني De Montiny) في رحلة كانت مصر أحد محطاتها، وتحدد غرضه المكلف به الحصول على معلومات دقيقة بطبوغرافية المنطقة وسكانها وتحصيناتها⁽⁶⁾ وفي عام 1777 أوفدت وزارة الخارجية الفرنسية البارون دي توت في مهمة هدفها المعلن هو تفقد المؤسسات القنصلية والتجارية الفرنسية في شرقي البحر المتوسط، أما مهمته السرية فتمثلت بإعداد تقارير مفصلة عن الأوضاع السياسية والعسكرية في الدولة العثمانية⁽⁷⁾ وقد قدم دي توت تقريره النهائي الى حكومته فخلص فيه الى القول أن مصر (مستعمره مثالية) أما رأيه بقوة تحصيناتها وإمكانية الدفاع عنها فلخصه في أن احتلالها سوف يكون (أحتلالاً سلمياً لبلد أعزل)⁽⁸⁾.

وطيلة المدة التي بقي فيها شارل مكالون قنصلاً في مصر، فقد أمطر حكومته بسيل من المذكرات التي يشكو فيها معاملة المماليك للتجار الفرنسيين حاثاً أياها على

(1) الطائي، المصدر السابق، ص 34 ؛ شكري، الحملة الفرنسية...، ص 59.

(2) Chretien, Histoire De L` Egypt Modern, (Paris, 1951), P. 14.

(3) Vatikiotis, Op. Cit, P. 31-35.

(4) أحد كبار التجار الفرنسيين عينته حكومته قنصلاً عاماً لها في مصر طيلة الأعوام 1793 – 1797.

(5) Vatikiotis, Op. Cit., P. 38.

(6) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص 53.

(7) عبدالكريم، المصدر السابق، ص 50 ؛ يحيى، مصر الحديثة...، ص 330.

(8) نقلاً عن: شكري، الحملة الفرنسية...، ص 47 ؛ كرستوفر، المصدر السابق، ص 18.

لمصر

الأسراع بغزو مصر⁽¹⁾ ففي السابع من حزيران 1795 كتب مكالون الى فرنيناك Verninac السفير الفرنسي في أسطنبول مذكرة بعث بنسخة منها الى وزارة الخارجية الفرنسية قائلاً ((أنه من العيب أن يعتمد أنسان على الفرمانات، أو ما يصدره الباب العالي من أوامر الى القاهرة في إدخال تغيير من شأنه اصلاح مركز الفرنسيين في مصر، ولا يفيد اصدار هذه الفرمانات شيئاً مهما بلغت قوة لهجتها... وأما إذا شاءت حكومة الجمهورية أن تولي شؤون التجار اهتماماً جدياً، وأرادت أن تجني من هذه التجارة كل فائدة ممكنة فلا مناص في هذه الحالة من أن تمتلك مصر... وفضلاً عن ذلك فأن شأن الأستيلاء على السويس والسيطرة على البحر الأحمر التمهيد لطرد الأنكليز من الهند...))⁽²⁾.

لم تقف مسوغات الحملة الفرنسية على مصر عند هذا الحد، بل يمكن النظر إليها على إنها انعكاساً لحالة الصراع الدائر في أوربا، فبعد أن تمكنت فرنسا من تفتيت التحالف الدولي الأول الموجه ضدها في أعقاب الثورة الفرنسية وذلك في عام 1795⁽³⁾، فقد التفت الفرنسيون إلى سردينيا وسحقوا جيشها في موقعة موندوفي Mondovy مما أجبر الأخيرة على قبول هدنة كيرا سكو Kerasko في الثامن

(1) يحيى، مصر الحديثة...، ص331.

(2) Quoted in: Hoskins, Op. Cit., P. 52.

(3) ضم التحالف الدولي الأول (شباط - آذار 1793) كل من (روسيا، بروسيا، هولندا، أسبانيا، النمسا، سردينيا، بريطانيا) لكن سرعان ما أنفرط عقد ذلك التحالف، فأما روسيا فقد فضلت أستغلال أنشغال النمسا وبروسيا في مجابهة فرنسا لتتفرد هي في بولندا، وبالفعل حققت مكاسب كبيرة في بولندا في التقسيمين الأول عام 1793 والثاني عام 1795، مما أضعف مساهمتها في التحالف، وأما بروسيا فبعد أن حصلت على بوميرانيا Pomerani في التقسيم الثاني وبولندا الوسطى ووارشو Warsho في التقسيم الثالث فقد وجدت بأنه من الأفضل لها أن تعقد صلحاً مع فرنسا، إذ أنها تخوض حرباً غير مضمونة العواقب، فتوصلت معها الى صلح بازل في نيسان 1795، أما النمسا وعلى الرغم من حصولها على غاليسيا الغربية Galicia في التقسيم الثالث، لكن أستمرار التهديد الفرنسي على ممتلكاتها في شمال إيطاليا حتم عليها الأستمرار في الحرب، أما دول التحالف الأخرى فقد أحكم الفرنسيون قبضتهم على بلجيكا ابتداءً من حزيران 1794 كما أطبقوا سيطرتهم على هولندا ثم وقعوا معها صلحاً = = في أيار 1795 أما أسبانياً فقد أجبرت على توقيع صلح بازل في تموز 1795، وهكذا لم يبق من دول التحالف شاهدة السلاح في وجه فرنسا سوى سردينيا والنمسا وبريطانيا. للتفاصيل يراجع:

Grant . A . j, Outlines of European History,(london, 1958), pp341-344; Smith . L . Cecil, Main corrents in world History, (London, 1922), pp 208 -211.

البطريق ، المصدر السابق، ص412 - 421 ؛ العكيلي، المصدر السابق، ص156-176.

الفصل الثاني سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية في ظل الغزو الفرنسي

لمصر

والعشرين من نيسان 1796، أعقبها صلح باريس بين الطرفين في أيار من العام ذاته⁽¹⁾.

أما النمسا فقد عانت جيوشها من هزائم عديدة على يد الفرنسيين الأمر الذي أضطرها الى قبول هدنة ليوبن Leoben في الثامن عشر من نيسان 1797، تبعها صلح كامبوفورميو Compoformio في السابع عشر من تشرين الأول 1797⁽²⁾، وبذلك لم تبق من دول ذلك التحالف شاهدة للعداء بوجه فرنسا سوى بريطانيا.

وعلى صعيد العلاقات الفرنسية - البريطانية، فقد جرت مفاوضات للصلح طيلة المدة من حزيران - أيلول 1797 بين اللورد ملمسبري Melmaspre مبعوث رئيس الوزراء البريطاني وليم بت ونظيره الفرنسي ليل Lell، بيد أن المفاوضات أصابها التعثر والفشل، بسبب رفض البريطانيين النزول عن مستعمرة الكاب⁽³⁾، مما دفع أعضاء الحكومة الفرنسية الى التخطيط لتوجيه ضربة قاصمة لبريطانيا، حتى إذا تم ذلك ((ووقت أوربا بأسرها تحت أقدام فرنسا)) كما كان يتخيل لنابليون نفسه⁽⁴⁾.

(1) تنازلت سردينيا بموجبها عن نيس و سافوي Neas and Savoy إلى فرنسا.

Thomson, David, Europe Since Napoleon, (London, 1954), P47

(2) أقرت النمسا بموجب ذلك الصلح على كل التغييرات التي أقامها نابليون في شمال إيطاليا، كما تم فيه إلغاء جمهورية البندقية إذ وزعت أراضيها بين النمسا وجمهورية سسلباين Cislpine التي أقامها نابليون في شمال إيطاليا، كما وافقت النمسا على حصول فرنسا على ملحقات جمهورية البندقية الواقعة على ساحل الأدرياتييك وهي دلماشيا والجزر الأيونية.

Grant. A . G . A History of Europe, Part IV Europe in the nineteenth Century 1789-1918, (London 1968), P. 618;

الشويلي، زيدان حسان حاوي، مؤتمر فينا 1814-1815، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية - أبن رشد - جامعة بغداد، 2004، ص18.

(3) كرسنوفر، المصدر السابق، ص28.

مستعمرة الكاب: تقع في اقصى جنوب قارة افريقيا، اكتشفها البرتغاليون سنة 1486 وبقيت تحت سيادتهم حتى عام 1618 حيث سيطر عليها الهولنديون، وظلت تابعة للأخيرين حتى عام 1795 حيث سيطر عليها البريطانيون بعد خروج هولندا من التحالف الأول، فأخذ الفرنسيون يطالبون بهاباً اعتبار أن = هولندا خاضعة لهم وهذه المستعمرة من توابعها، عن المستعمره يراجع: السامرائي، نوري، النضال الوطني في جنوب أفريقيا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد31، السنة الثانية عشرة، (بغداد، 1987)، ص74-80.

(4) نقلاً عن : شكري، الحملة الفرنسية...، ص 62.

لمصر

إن مسألة قيام فرنسا بتوجيه ضربة عسكرية للبريطانيين في عقر دارهم، أمر أحاطته صعوبات بالغة في حينه، في مقدمتها عدم القدرة على تجهيز أسطول بحري يضاهي الأسطول البريطاني أو يتفوق عليه، خاصة إذا أخذنا بالحسبان أن البريطانيين ومنذ عام 1796 انشغلوا أنشغلاً تاماً بالتحصينات على أرضهم نفسها⁽¹⁾، ولأجل ذلك أيضاً فقد سحبوا أسطولهم المرابط في البحر المتوسط في العام ذاته⁽²⁾، ولما كانت مسألة ضرب بريطانيا من خلال أيرلندا قد جربها الفرنسيون في عام 1796 ففشلت هي الأخرى⁽³⁾ عندها آمن الفرنسيون بأنه لا مفر من غزو مصر وقد عبر نابليون لتاليران Talleyrand⁽⁴⁾ عن ذلك بقوله ((لن نبقى طويلاً حتى ندرك أنه لأجل تدمير أنكلترا فأننا يجب أن نمتلك مصر))⁽⁵⁾، فبرأيه ((يجب الذهاب الى الشرق، فأوروبا ليس فيها الكثير لتعطيها، وأن المجد العظيم الذي يمكن أن تظفر به فرنسا يكمن هناك))⁽⁶⁾.

وإذا كان المؤرخون قد اختلفوا حول أيهما البادئ بالتفكير بغزو مصر أهو نابليون أم تاليران، لكنهم اتفقوا على اتفاق وجهتي نظرهما حول جهة الغزو⁽⁷⁾.

(1) Harold. J. C., the Age of Napoleon, (New york, 1963), P.67; Anderson, the eastern Question, p25.

(2) البيضاني، ابراهيم سعيد، العلاقات البريطانية – الفرنسية 1798-1815 وتأثيرها في الولايات المتحدة، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد6، (بغداد، 2001)، ص98؛ كرسنوفر، المصدر السابق، ص22؛ الطائي، المصدر السابق، ص34.

(3) شهد العام 1796 محاولة فرنسية لغزو بريطانيا عن طريق إيرلندا وكانت المحاولة الفرنسية قوامها (15.000) جندي بقيادة الجنرال (لازار هوش L. Hoch). للتفاصيل يراجع: الربيعي، هيفاء شاكر، التطورات السياسية في إيرلندا 1789-1868، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب، جامعة بغداد، 2000، ص43.

(4) تاليران (1754 – 1838) سياسي وأسقف فرنسي، بعد تأسيس حكومة الإدارة أصبح وزيراً للخارجية خلال العامين 1797-1799، ثم ساعد نابليون في انقلاب (بروميير) فأصبح وزيراً للخارجية مرة ثانية من أوائل سنة 1799-1807، مثل فرنسا في مؤتمر فيينا، وأعتزل السياسة منذ أيلول 1815. بالمر، الان، موسوعة التاريخ الحديث، ج2. ترجمة سوسن فيصل، (بغداد، 1992)، ص318-320.

(5) Hoskins, Op. Cit, p55; Anderson, the Eastern Question, p 25.

(6) Harold, Op. Cit, p68.

(7) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر..، ص60؛ كرسنوفر، المصدر السابق، ص26، وعن حقيقة نوايا نابليون بغزو الهند فيمكن الوقوف عليها في: العابد، صالح محمد، هل أستهذفت الحملة

لمصر

ونستدل على ذلك أولاً من الرسالتين الجوابيتين المؤرختين في الثالث والسابع والعشرين من أيلول 1797 اللتين بعث بهما تاليران الى نابليون، حيث أكد فيهما أن الغاية النهائية لتوجه فرنسا نحو الشرق ستكون مصر⁽¹⁾. ثم من البحث الذي القاه تاليران في المجمع العلمي الفرنسي في تموز 1797 الذي أشار فيه إلى فوائد امتلاك مصر⁽²⁾.

ومما رجح كفة مصر في نظر الفرنسيين ، وجود بعض العوامل المساعدة لأنجاح الحملة، منها محاولة الاستفادة من الثورة الأيرلندية بتقديم الوعود والمساعدات للثوار الأيرلنديين عسى أن تنشغل بريطانيا بنفسها وقت تحرك الحملة⁽³⁾، ومنها أن القوة البحرية البريطانية في مياه الهند الشرقية بقيادة الأميرال راينر Raynar كانت ضعيفة جداً وقتذاك، حتى لم يكن في ذلك الموقع سفينة واحدة تحت اليد يمكن أن تقوم بأعمال المراقبة لأي تحرك قد يقوم به نابليون تجاه مصر⁽⁴⁾.

تزامنت رغبة نابليون وتاليران مع وصول شارل مكالون الى باريس اواخر تشرين الاول 1797 حيث قدم تقريراً شاملاً الى حكومة الإدارة في التاسع من شباط 1798، وضمنه دراسته متكاملة لنظام الحكم العثماني في مصر، والأوضاع التي يعاني منها التجار الفرنسيين هناك، ثم أكد في تقريره على الفوائد التي يمكن أن يجنيها الفرنسيون إذا ما أستولوا على مصر محددا آلية تحقيق ذلك بأمرين الاول ان يعمل الفرنسيون مباشرة من مصر لطرد البريطانيين من الهند عنوة، والثاني أن يقتعوا بتعطيل التجارة البريطانية مع الهند ويستأثروا بهذه التجارة لأنفسهم وفي الأخير أوضح الأساليب التي يمكن من خلالها للفرنسيين تحقيق كلا الأمرين⁽⁵⁾.

الفرنسية لمصر غزو الهند، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد الأول، (بغداد، 1981)، ص124-134.

(1) شكري، الحملة الفرنسية ...، ص59.

(2) العريس، محمد، موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العثماني، (دار اليوسف، بيروت، 2005)، ص173.

(3) عن أثر الوعود والمساعدات الفرنسية على الثوار الأيرلنديين. يراجع: : الربيعي، هيفاء، ، ص 43، 55، 60.

(4) العابد، هل استهدفت الحملة الفرنسية لمصر غزو الهند ..، ص133 ؛ كيلي، المصدر السابق، ص99.

(5) شكري، الحملة الفرنسية، ص68-69؛

لمصر

وعلى الرغم من أهمية هذا التقرير وشموليته، بيد أنه ليس الوحيد الذي قُدم إلى حكومة الإدارة، فهناك التقرير الذي قدمه تاليران في الثالث من شباط 1798، وكان تقريراً مهماً للغاية وصفه المؤرخون بأنه ((يحتل مكانة كبيرة في تاريخ الحملة الفرنسية على مصر))⁽¹⁾، إذ ((أستندت إليه مجمل تخطيطات الحملة))⁽²⁾ ومما ورد فيه ((إن قيام الفرنسيين بتثبيت أقدامهم في مصر، سيسبب انقلاباً عظيماً في التجارة الأوربية، وسيكون ضربة لبريطانيا بصورة خاصة، حيث ستتخطم تجارتها في الهند، تلك التجارة التي كانت اساس عظمتها في أوربا... فإذا أصبحت الجمهورية [فرنسا] سيدة في القاهرة وسيطرت على السويس، فلن يعنينا مطلقاً في أيدي من سيكون رأس الرجاء الصالح))، وفي موضع آخر من التقرير أكد تاليران أن ((مصر يمكن أن تقدم أضافة الى ذلك، التسهيلات اللازمة لطرد البريطانيين من الهند، من خلال إرسال قوة مؤلفة من خمسة عشر الف مقاتل من القاهرة عن طريق السويس...)) كما توقع تاليران في تقريره أن رد الفعل العثماني لن يكون ذا تأثير، ذلك أن العثمانيين ((سوف يترددون طويلاً قبل إعلان الحرب على فرنسا لمشاكلهم الكثيرة لاسيما في البلقان)) أما عن قدرة المماليك في المقاومة فقد خلص تاليران الى تفاؤل يصل حد الاستغراب عندما قال ان ((فتح هذه البلاد لن يكلف الفرنسيين قطرة دم واحدة)) وتناول التقرير مواضيع مهمة أخرى تمثلت بشكاوى التجار الفرنسيين، ووسائل تنفيذ الحملة، ومزايا احتلال مصر⁽³⁾.

وبناء على ما تقدم، عقدت حكومة الإدارة اجتماعات مكثفة ابتداء من مطلع إذار 1798 حتى الثاني عشر من نيسان، حيث اتخذت قرارها النهائي الذي اخرج فكرة الحملة على مصر من مرحلة التخطيط الى حيز العمل والتنفيذ فأناطت قيادة الحملة التي سميتها بـ (جيش الشرق) الى نابليون بونابرت⁽⁴⁾ وقد تضمن نص القرار مقدمة وستة مواد، حيث ورد في المقدمة الأسباب التي قادت الحكومة الفرنسية لأرسال جيوشها الى مصر، مبررة ذلك بمعاقبة المماليك الذين وثقوا صلاتهم

Hoskins, Op. Cit, p 52-53.

(1) شكري، الحملة الفرنسية...، ص 69.

(2) العابد، هل أستهدفت الحملة الفرنسية لمصر غزو الهند...، ص 129.

(3) Quoted in: Hoskins, Op. Cit, PP. 55-56.

المشاخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص 60-61.

(4) Jonquiere, Op., Cit, P. 344; Hoskins, Op., Cit, P. 56.

لمصر

بالبريطانيين فاساؤا معاملة الفرنسيين، ولما كان البريطانيون قد أحكموا سيطرتهم على طريق رأس الرجاء الصالح، فأن الضرورة أملت على الفرنسيين البحث عن طريق تجاري آخر، ونصت المادة الأولى من القرار على أسناد قيادة الحملة الى نابليون، وطلب منه في المادة الثانية أن يعمل على طرد البريطانيين من ممتلكاتهم في الشرق، ومن كل الجهات التي يستطيع الوصول إليها، وأكدت المادة الثالثة إمكانية شق قناة في السويس وفرض الهيمنة الفرنسية عليها، بينما نصت المادة الرابعة على ضرورة تحسين أحوال السكان في مصر، في حين أوصت المادة الخامسة قائد الحملة أن يحتفظ بعلاقات الصداقة والود مع السلطان العثماني، أما المادة السادسة فعكست رغبة حكومة الإدارة بإبقاء أمر الحملة في طي الكتمان وعدم السماح بطبع أو نشر ذلك التقرير⁽¹⁾.

أصدرت حكومة الإدارة أوامرها إلى نابليون بالتحرك من ميناء طولون الفرنسي في التاسع عشر من أيار 1798، على رأس جيش قوامه (38.000) مقاتل و (16.000) بحار محمولين على (13) بارجة و(17) فرقاطة و(35) سفينة حربية أخرى، إضافة إلى (280) سفينة نقل، فضلاً عن مجموعة كبيرة من العلماء يصل عددهم الى (187) عالماً رافقوا الحملة لخدمة أهدافها⁽²⁾.

ولما كان نابليون بحاجة الى نقطة ارتكاز في البحر المتوسط يؤمن من خلالها اتصالاته بفرنسا، فما أن وصل الى جزيرة مالطة حتى أتم احتلالها في التاسع من حزيران، وبعد توقف دام عشرة أيام في تلك الجزيرة، نظم خلالها نابليون شؤون المستعمرة الجديدة، وأنطلق منها في التاسع عشر من حزيران لتدق قواته أبواب

(1) Decree of the Directory ordering general Bonaparte to launch the Egyptian cam paign, 12 April, 1798, Quoted in :Anderson, The great power and the near east ..., pp18-19; Hurewitz, the Middle east and north Africa in world politics..., pp. 61-62.

(2) Chandler, David, The compaigns of Napoleon,(London, 1967), p218; ليفيير، جورج، عصر الثورة الفرنسية، ترجمة جلال يحيى، (دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، 1970)، ص475.

لمصر

الأسكندرية في الأول من تموز، و بعد أن أحكم سيطرته عليها أستأنف زحفه باتجاه القاهرة في الثالث منه⁽¹⁾.

وفيما عدا معركة واحدة دارت بالقرب من شبراخيت في الثالث عشر من تموز كان النصر فيها حليف الفرنسيين، فأن القوات الزاحفة نحو القاهرة لم تواجه أية مقاومة أخرى حتى حدث الصدام الفاصل بين الطرفين في معركة الأهرام في الحادي والعشرين منه، التي أسفرت عن دخول الفرنسيين مدينة القاهرة في الرابع والعشرين منه، مغادرة الوالي العثماني بكر باشا متوجهاً إلى الشام⁽²⁾.

لم يعلم الباب العالي شيئاً عن جهة الحملة، حتى أصبح الاحتلال أمراً واقعاً، إذ حرص أعضاء القيادة الفرنسية على أخفاء ذلك عنه حتى يتم الاحتلال، وعندها يتم إطلاعه على أن فرنسا لا تقصد محاربته وإنما تأديب الحكام المماليك الذين طالما تعرضوا للمصالح الفرنسية، وبذلك يتم الأبقاء على الصداقة الفرنسية العثمانية حسب تصورهم⁽³⁾، لاسيما بعد أن أضاف تاليران الى ذلك الأجراء أجراء آخر متم له مفاده ((... أن ترسل حكومة الجمهورية حين إرسال حملتها الى مصر، مفاوضاً لبقاً و ماهراً يحفظ علاقات الود والصداقة مع تركيا))⁽⁴⁾ إلا أن شيئاً مما كان يمني به تاليران نفسه لم يتم إذ ما إن وصلت الأخبار باحتلال مصر الى أسطنبول، حتى أخذ السلطان

(1) Charles . H, Histoire De L` Egypte, Vol. I, (Paris, 1940), P. 50-51; Fisher . H . A . I, Napoleon,(Oxford university press ,N.D) P. 48-49.

السروجي، محمد، محمود، تاريخ الأسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور، (الإسكندرية، 1963)، ص333-334.

(2) Vaujany, Op. Cit., PP. 347-350; Chandler, Op. Cit., PP. 219-224;

زكي، عبدالرحمن، القاهرة تاريخها وأثارها 969- 1825، (الرابطة المصرية للتأليف والنشر القاهرة، 1966)، ص250-251؛ الأسكندري، عمر وآخرون، تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر، مراجعة الميجر . ج . سفدج، (مطبعة المعارف، القاهرة، 1924)، ص101-105.

(3) الطعمه، باسم حطاب، الموقف الرسمي العثماني من الاحتلال الفرنسي لمصر 1798- 1801، دراسته تحليلية في ضوء الوثائق العثمانية، مجلة دراسات تاريخيه، العددان الثالث والرابع، 1999، ص89. وحرى بناء القول أن نابليون مهد لهذه السياسة منذ أن وصل الى مالطة حيث قام بإطلاق سراح جميع الأسرى العثمانيين المحتجزين في سجون مالطة، الحمداي، حميد مجيد، المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي 1830-1914، رسالة مقدمة الى المعهد العالي للدراسات القومية والأشترابية، الجامعة المستنصرية، 1981، ص34.

(4) نقلاً عن: شكري، الحملة الفرنسية، ص71.

لمصر

يراسل ولاته على الأقاليم رغبة منه في أشراكهم في تحمل المسؤولية ودعم المجهود الحربي الذي خطط له قبل إعلان الحرب ضد فرنسا⁽¹⁾.

لم تقتصر ردود الفعل تجاه الحملة على الحكومة المركزية في أسطنبول بل ولدت ردود فعل دولية بالغة الأثر، يكفي أن عدها بعض المؤرخين سبباً في ظهور ما يسمى بـ (المسألة المصرية) التي بدأت منذ نزول نابليون أرض مصر، وأستمرت الى ما بعد خروج الفرنسيين منها في عام 1801⁽²⁾ وتوسع البعض الآخر فعدّها تصلح أن تكون بداية تاريخية لما يسمى بـ (المسألة الشرقية) التي كانت في جوهرها تعني الصراع الأوروبي حول الدولة العثمانية إبان ضعفها⁽³⁾.

كانت بريطانيا في مقدمة الدول التي ولدت الحملة لديها أستياء كبيراً، ومخاوف حقيقية، نظراً لما تنطوي عليه من متغيرات جوهرية تمس المصالح البريطانية ليس في الدولة العثمانية فحسب، وإنما في الهند بالصميم، بل ولأول مرة يرى البريطانيون

(1) للإطلاع على نصوص الرسائل يراجع: الطعمة، المصدر السابق، ص 90-91.

(2) رفعت، محمد، تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، (دار المعارف، القاهرة، 1959)، ص 66.

(3) Akcura. yusuf, Osmanli Devletinin degilma devri, (Ankara, 1988), S50-51.

أما المؤرخ براون فيطرح ثلاثة تواريخ محتملة لبداية المسألة الشرقية أحد هذه التواريخ هو العام 1798. للتفاصيل يراجع: براون، المصدر السابق، ص 31-40.

ومما يجدر ذكره أنه ليس هناك اتفاق بين المؤرخين حول تعريف واحد لمصطلح "المسألة الشرقية" أو الفترة الزمنية التي يغطيها. فمنهم من يرى بأنه تسمية تطلق على الصراع الذي ظهر بعد نشوء الدولة العثمانية وأتساعها على حساب أوربا، كامل، المصدر السابق، ص 5-6، ومنهم من يجعله صراعاً بين الأسلام وأوربا بدايته منذ معركة مؤته ويستمر الى مابعد نشوء الدولة التركية الحديثة. الشاذلي، محمود، المسألة الشرقية: دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية 1299-1923، (القاهرة، 1989)، ص 7، ومنهم من يوسع نطاق الصراع، فهو برأيه "الصراع بين الشرق والغرب في كل العصور التاريخية"، لبيب، المصدر السابق، ص 4. على أن المسألة الشرقية تعني بشكلها الواضح النزاع الذي اشتد بين الدول الأوروبية في أواخر القرن الثامن عشر على الاملاك العثمانية وأستمر حتى نهاية تلك الدولة في عام 1923. التكريتي، هاشم، المسألة الشرقية...، ص 21؛ مانتران، روبير، "بدايات المسألة الشرقية 1774-1839" ضمن كتاب (تاريخ الدولة العثمانية)، ج 2، ص 5، أما عن أستعمال هذا المصطلح بشكل عملي، فقد أستعمل لأول مرة في مؤتمر فيرونا Verona الذي عقده المحفل الأوروبي عام 1822 على خلفيات الوضع الذي نشأ جراء أندلاع الثورة اليونانية في عام 1821، حسين، فاضل وآخرون، التاريخ الأوروبي الحديث 1815-1839، (بغداد، 1982)، ص 52-58.

لمصر

تهديداً فرنسياً ماثلاً خارج أوروبا، ويقترب من المداخل البحرية للخليج العربي والبحر الأحمر والحدود الدولية لبلاد فارس وأفغانستان⁽¹⁾.

ومما يجدر ذكره أنّ بعض أعضاء الحكومة البريطانية أخذ يتكهن بناءً على (بصيص الأخبار التي وصلت الى لندن عن الحملة قبل أنطلاقتها)⁽²⁾ ومنهم وزير الحرب هنري دونداس H. Dandas، الذي أوضح في مذكرة مطولة أرسل بها الى وزير الخارجية اللورد كرينفيل Lord Grenville في الثالث عشر من حزيران 1798، جاء فيها بأن هناك أربعة اتجاهات محتملة يستطيع نابليون الزحف عبرها الى الهند، بعد أن يكون قد وصل الى الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، الأول من أسطنبول عبر البحر الأسود جنوباً وبحر قزوين ومن ثم عبر إيران، والثاني من السويس نزولاً الى البحر الأحمر، وذلك بواسطة سفن ترسل من مورشيوس الى السويس، والثالث من جده عن طريق الحجاز واليمن عبر ساحل حضرموت ومسقط الى الشواطئ الهندية، والرابع عن طريق الصحراء السورية الى بغداد ورأس الخليج ثم منه الى الهند⁽³⁾.

وكان دونداس يعتقد بأن العثمانيين والروس سوف لن يسمحوا بمرور جيش نابليون عن طريق البحر الأسود، وأن نابليون سيجد من العسير عليه توفير السفن لسلوك طريق البحر الأحمر، فضلاً عن أنعدام إمكانية سلوك الطريق الثالث إذا تمكنت البحرية البريطانية أغلاق مداخل البحر الأحمر والخليج العربي⁽⁴⁾، وأنتهى الى القول (ولكل هذه الأسباب فأني مقتنع بأنه إذا ما تم تنفيذ هذا المشروع، فإن نابليون سيبدل جهده لتحاشي الأخطار في البحر لأنه يعلم بأنه ضعيف في هذا المجال، وحسب اعتقادي وكما يظهر من خطته وحماسه أنصاره يحاول القائد الفرنسي الوصول الى هدفه عن طريق حلب وبغداد... ليتجه من هناك الى الجنوب، ماراً بشواطئ الخليج العربي قاصداً في زحفه الهند درة التاج البريطاني...)⁽⁵⁾.

(1) المشهداني، خليل إبراهيم صالح، موقف بريطانيا من نشاط القوى المحلية والأقليمية والدولية في الخليج العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية العشرين، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 54، (بغداد، 2001)، ص 311.

(2) كيلي، المصدر السابق، ص 96-97.

(3) صالح، زكي، المصدر السابق، ص 67؛ المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الاحمر...، ص 65.

(4) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي، ص 86.

(5) نقلاً عن : بيربي، جان جاك، الخليج العربي، دار الكشف، (بيروت، د.ت)، ص 128.

لمصر

وبناء على ذلك فما ان شرع الفرنسيون باحتلالهم لمصر، حتى تعين على الحكومة البريطانية أن تبذل مساعي دبلوماسية حثيثة، وتجري تدابير عسكرية واسعة على محاور متعددة، وبشكل متزامن في كل البلدان الواقعة على طريق الهند سواء أكانت الدولة العثمانية واقاليهما أو حتى في المناطق المجاورة⁽¹⁾.

كانت أول تدابير البريطانيين الاحترازية في الدولة العثمانية، فتح قنصلية لهم في بغداد في الخامس من تموز 1798⁽²⁾، اذ تم الإيعاز الى هارفورد جونز H.Jonz الوكيل التجاري المساعد للشركة في البصرة، الذي كان متواجداً حينها في بريطانيا بأن يتوجه الى بغداد لتسلم مهام منصبه⁽³⁾ وكان الهدف من ذلك الأجراء السيطرة على والي بغداد، وصد النفوذ الفرنسي من التوسع نحو الشرق⁽⁴⁾.

(1) لم تقتصر الإجراءات الاحترازية البريطانية على الدول العثمانية، وإنما دخل في مجال أهتمامها كل المداخل والثغور المؤدية الى الهند، ومنها عمان التي وصل إليها ميرزا مهدي علي خان في أوائل تشرين الأول 1798 مبعوثاً من ولزي Wellesly الحاكم العام للهند (1798-1805)، وأستطاع الأول أن يؤمن على موقف بريطانيا في مسقط من خلال عقده معاهدة مع سلطان عمان سلطان بن أحمد في الثاني عشر من تشرين الأول، عن تفاصيل البعثة يراجع: أبو ياسين، محمد علي، العلاقات العمانية البريطانية 1798-1856، (منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1981)، ص25-27، وعن نص المعاهدة يراجع: سي. يو. اتجيسون بي سي أس، مجموعة المعاهدات والتعهدات والسندات ذات العلاقة بالهند (البريطانية) والخليج والجزيرة العربية، ترجمة العميد الركن البحري عبدالوهاب عبدالستار القصاب، مراجعة وتقديم محمود علي الداود، (منشورات بيت الحكمة، بغداد، 2001)، ص345-347. أما المحطة الثانية التي حظت بإهتمام حكومة الهند واستوقفت مبعوثها ميرزا مهدي علي خان فهي بلاد فارس، وقد أستطاع الميرزا مهدي من خلال ثلاث لقاءات مع فتح علي شاه أن ينجز مهمته السياسية عن طريق أقناع الشاه بالوقوف الى جانب بريطانيا في حالة قيام فرنسا بالتوجه العسكري عبر الخليج العربي، مقابل تأييد بريطانيا لأطماع الشاه في أفغانستان وأمداده بالأسلحة.

Sykes , P., History of Persia, Vol. II, (London, 1958), 299;

البديري، سياسة بريطانيا تجاه إيران...، ص15.

(2) Hoskins, Op. Cit, p 64;

الدليمي، سحر أحمد، السياسة البريطانية في الخليج العربي خلال الحرب العالمية الأولى 1914-1918، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب، جامعة بغداد، 2001، ص3.

(3) دخل جونز (1764-1774) في خدمة الشركة كاتبا في حكومة بومباي وخدم طيلة فترة عمله في الخليج العربي كمساعد للمقيم في البصرة (1784-1794) لكن سوء صحته وشؤونه العائلية أضطرتّه الى المغادرة الى بريطانيا في عام 1795، وقد استمر في منصبه الجديد في المقيمة حتى عام 1806. العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص98.

(4) لوريمر، المصدر السابق، ج1، ص296.

لمصر

إن أستقرأء لكتاب التكليف الذي تعين بموجبه هارفورد جونز، يوضح لنا الأسباب التي فتحت من أجلها المقيمة في بغداد، والواجبات التي تعين على المقيم القيام بها فيما بعد، حيث ورد فيه ((أنه بسبب الأحوال الراهنة والأشاعات التي أنتشرت بأن الفرنسيين يحاولون أن ينفذوا إلى الهند أما عن طريق البحر الأحمر أو عن طريق الخليج العربي، فإنه يجب تعيين شخص في بلاد باشا بغداد وقد تم اختيارك لهذا الغرض)) كما يمكن النظر إلى التعليمات التي صدرت إلى هارفورد جونز على أنها تمثل السياسة البريطانية الجديدة خير تمثيل. فقد تضمنت أيضاً ((عليك أن تبلغ الباشا خبر وصولك إلى بغداد ... وبعد أن يتم هذا تحذره في الوقت نفسه من العواقب الوخيمة التي ستصيب أراضي باشاويته، بل أراضي الأمبراطورية العثمانية كلها في حالة السماح باتخاذ موطن قدم لهم فيها عليك، أن تبذل كل ما بوسعك لأحباط المحاولات الفرنسية الرامية إلى التغلغل والتوسع...)) (1).

كما تعين على المقيم أن يعد ((تقريراً مفصلاً عن ولاية بغداد -سكانها - قوتها العسكرية - مصادرها الاقتصادية - امكانياتها التجارية)) (2) ويأتي هذا بطبيعة الحال من جمع المقيم للمعلومات من ((أية صفة تعتقد أنها قد تكون ذات فائدة، سواء أكانت لشركة الهند الشرقية، أم لبريطانيا العظمى بصورة عامة)) (3)، كما يتوجب عليه أن يحافظ على الاتصال بحكومة بومباي ((لنقل الأخبار بين الهند وانكلترا ومراقبة نشاط الوكلاء الفرنسيين والإبلاغ عنها...)) (4).

وصل هارفورد جونز إلى بغداد في أيلول 1798 والتقى الوالي سليمان باشا (1780-1802) الذي استقبله استقبالا طيباً، وأعلن استعداداه للتعاون في كل ما من شأنه وقف النشاط الفرنسي، الأمر الذي فرح له المقيم لدرجة جعلته يكتب إلى وزير الحرب هنري دونداس قائلاً ((أن ما يمنحني الرضى العظيم أن أؤكد بأنني وجدت في باشا بغداد استعداداً قوياً لبذل طاقته لمعارضة نشاط الفرنسيين إذا مافكروا بالمرور إلى الهند عبر هذا الجزء من الأمبراطورية العثمانية...)) (5).

(1) نقلاً عن :أمين، سجلات يوميات مقيمة البصرة...، ص 237-238.

(2) نقلاً عن: العامر، المصدر السابق، ص 72.

(3) نقلاً عن : العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص 98.

(4) نقلاً عن : صالح، زكي، المصدر السابق، ص 81.

(5) نقلاً عن : العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص 100.

لمصر

وفي غضون ذلك فقد كتب السفير البريطاني في اسطنبول سبنسر سميث Spincer Smith (1795-1799) الى صاموئيل مانستي مقيم الشركة في البصرة، حاثاً أياه على ضرورة توجيه عناية حكومة الهند بالخطر الناجم عن الاحتلال الفرنسي لمصر، وأتخاذ الحيطة والحذر لمنع بونايرت من تهديد المصالح البريطانية في الهند، كما أوضح بأن العثمانيين أنفسهم أظهروا له هذه الرغبة في الثامن والعشرين من تموز 1798⁽¹⁾ وتحت تأثير المقيم البريطاني في البصرة فقد قام المتسلم العثماني عبدالله أغا (1793-1803) بالقاء القبض على الممثل الفرنسي في البصرة مع الرعايا الفرنسيين وأرسلهم الى بغداد حيثُ جمعوا هناك⁽²⁾ ، مع روسو Russo القنصل الفرنسي في بغداد، الذي كان هو الآخر قد أحتجز من قبل الوالي العثماني سليمان باشا مع العاملين معه، باستثناء سكرتير القنصلية الذي تمكن من الهرب من المركز الفرنسي وأرسلوا جميعاً إلى اسطنبول، كما تم تفتيش منزل القنصل الفرنسي، والاستيلاء على موجوداته فضلاً عن مصادرة السجلات الرسمية والأوراق الخاصة بالقنصلية، وقد التمس هارفورد جونز من والي بغداد الأطلاع عليها فحصلت موافقة الأخير على ذلك⁽³⁾ وهذا أن دل على شيء فليس أكثر من أنحيار الوالي سليمان باشا للبريطانيين.

لقد تعددت وجهات النظر بخصوص موقف الوالي، فذكر البعض أنه وفاء لجهود المقيم البريطاني في البصرة المستر لاتوش Latosh، في تسلمه منصب الولاية عام 1780⁽⁴⁾ بينما أشار البعض الآخر أن الوالي كان يسعى لاقامة تحالف بينه وبين مختلف الحكام العرب في الخليج بقصد مواجهة خطر الوهابيين، وهو بهذا

(1) شكري، الحملة الفرنسية...، ص 395.

(2) Wood, op, cit , P.187.

(3) Kirk, G. E, A Short History of Middle East from the Rise of Islam to Modern Time,(London, 1961), P. 74;

كلي، المصدر السابق، ص98؛ لوريمر، المصدر السابق، ج1، ص269؛ لونكريك، المصدر السابق، ص305؛ العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي، ص100. بينما يشير د.عبدالعزیز نوار أن الوالي تجنب اتخاذ أية إجراءات ضد القنصل الفرنسي في بغداد؛ نوار، عبدالعزيز، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا، (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة، 1968)، ص32.

(4) صالح، زكي، المصدر السابق، ص82.

الفصل الثاني سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية في ظل الغزو الفرنسي

المصر

يتقرب من البريطانيين كي يكونوا وسطاء لاقامة ذلك التحالف⁽¹⁾ على أن القسم الآخر يرى بأن موقف الوالي يكمن في أمرين أولهما ضمان الحصول على السلاح والذخيرة من الهند بهدف التصدي للهجمات الوهابية التي نشطت وقتذاك، أما الثاني فهو الرغبة في الحصول على دعم الأسطول البريطاني المرابط في الخليج ضد أية هجمة قد يقدم عليها أمام عمان، حيث كان الأخير يعتقد بأن والي بغداد كان وراء قطع المكافأة السنوية التي كان السلطان العثماني مراد الثالث قد أمرها لأمام عمان لقاء مساعدته للعثمانيين خلال حصار البصرة⁽²⁾.

وعلى اثر ذلك التفاهم فقد بادرت حكومة الهند إلى أمداد والي بغداد بالأسلحة والأعتدة⁽³⁾ كما أرسلت عدد من الضباط ورجال المدفعية من الهنود والأوربيين الى البصرة⁽⁴⁾، لهدف تجاوز مواجهة امتداد النفوذ الفرنسي، الى هدف استراتيجي آخر جوهره جعل العراق تحت السيطرة البريطانية المباشرة في ظل تكهنات هارفود جونز بأن تفكك الدولة العثمانية وأنهيارها أصبح أمراً وشيكاً، وإرسال أولئك الضباط مسألة لا بد منها كخطوة تمهيدية لعملية السيطرة البريطانية⁽⁵⁾.

لقد كان فتح قنصلية بغداد على جانب عظيم من الأهمية، فعلاوة على قيامها بالتنسيق مع والي بغداد، فقد أخذت تقدم لحكومتها خدماتها الأخرى التي أسست من أجلها⁽⁶⁾ وقد نجح هارفورد في ذلك إيما نجاح، وبالشكل الذي دفع حكومة الهند تثميناً لجهوده الى تكريمه بكتاب شكر بُعيد أنتهاء الحملة الفرنسية⁽⁷⁾.

(1) العقاد، صلاح، التيارات السياسية في الخليج العربي، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دت)، ص73. وعن خطر الوهابيين وقتذاك يراجع: نورس، علاء، حكم المماليك في العراق، 1750-1831، (بغداد، 1975)، ص51-59؛ لوريمر، المصدر السابق، ج5، ص2719-2720.

(2) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص121، 103.

(3) العامر، المصدر السابق، ص75؛ لونكريك، المصدر السابق، ص306.

(4) لوريمر، المصدر السابق، ج4، ص1909.

(5) العامر، المصدر السابق، ص75.

(6) للتفاصيل حول تلك الخدمات يراجع: العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص104-106.

(7) لوريمر، المصدر السابق، ج4، ص1914.

جدير بالذكر ان بريطانيا حققت أرجحيتها في العراق في عام 1802 ويتمثل ذلك بحصول السفير البريطاني في أسطنبول اللورد الجين Lorde Elgin على أمر سلطاني في الثاني من تشرين الأول

لمصر

على الرغم من أن هنري دونداس قد رجح في مذكرته المؤرخة في الثالث عشر من حزيران 1798 طريق الفرات، لكنه لم يغفل الطريق الثاني وهو طريق السويس ليحيطه بتدابيره وإجراءاته الاحترازية، فلم يكن لمثله أن يجهل إمكانية الفرنسيين في إرسال سفن نقل إلى مورشيوس ومنها إلى السويس حيث يمكن من هناك نقل قوات بونايرت وأنزالها في أحد موانئ تيبو صاحب⁽¹⁾ ربما في مانكلور على ساحل مالبيار⁽²⁾ لذا فقد حث دونداس الاميرالية البريطانية على الإسراع في إرسال ثلاث قطع من الأسطول البريطاني إلى منطقة البحر الأحمر عن طريق رأس الرجاء الصالح، للقيام بدوريات فيما بين منطقتي الخليج العربي والبحر الأحمر⁽³⁾.

وفي الوقت الذي كان فيه دونداس يؤكد على أهمية الطرق المؤدية إلى الهند كطريقي الفرات والبحر الأحمر، فإن الاميرال هوراشيو نلسن H. Nelson⁽⁴⁾، أحد قادة

1802، يفضي بقبول هارفورد جونز قنصلاً لبريطانيا في بغداد وماحولها، صالح، زكي، المصدر السابق، ص 81؛ نوار، داود باشا والي بغداد ..، ص 193.

(1) أسمه فتح علي ويلقب بتيبو سلطان أوتيبو صاحب، تولى حكم ميسور بعد وفاة والده حيدر علي في عام 1782، وأستمر في الحكم حتى عام 1799، من أشد الأمراء الهنود عداء لبريطانيا، ولهذا كانت فرنسا تعدّه الحليف الطبيعي لها، خاضت بلاده أربعة حروب ضد البريطانيين في الهند خلال الأعوام 1769-1784، 1784-1790، وفي هذه الحرب هزم تيبو صاحب وأرغم على عقد اتفاقية سرنجابا تام التي فقد فيها الكثير من أملاكه ودفع غرامه باهظة، ولهذا كان تيبو صاحب دائم البحث عن حليف لأخذ ثأره، نوار، عبدالعزيز، تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، ج 2، دار النهضة للطباعة والنشر، (بيروت 1971)، ص 382-386.

(2) في أواخر عام 1797 أرسل تيبو صاحب سفارة إلى مستعمرة أيل دي فرانس (مورشيوس) الفرنسية طالباً من حاكمها الكونت مالارتيك (1792-1800) إرسال قوات فرنسية لمساعدته على مواجهة التهديد البريطاني، وحملت السفارة أيضاً مشروع معاهدة تحالف بين فرنسا وميسور هدفها طرد البريطانيين من الهند. العابد، هل استهدفت الحملة الفرنسية غزو الهند...، هامش 25، ص 132. وقد كان البريطانيون يعلمون بوجود مثل تلك الاتصالات بل أنهم كانوا يعتقدون بأن مسقط هي حلقة الوصل في هذه الاتصالات، وهذا ما يعنيه وكيل شركة الهند الأنكليزية في بوشهر عندما كتب في الرابع والعشرين من أيار 1798 = ((أن مسقط ستصبح عما قريب وكراً للجاسوسية الفرنسية على الهند، لأن خمساً أوست سفن عربية تقوم بنقل التجارة بين مورشيوس ومسقط وساحل مالبيار، ولاشك أن نقل الأنباء مورد ربح للتجار العرب...)) العقاد، التيارات السياسية...، ص 68.

(3) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر ..، ص 66.

(4) ولد في التاسع والعشرين من ايلول 1758، وتعلم فنون البحرية بسن مبكرة، امتاز بين اقرانه بالذكاء الحاد، عين وكيل اميرال في العام 1797، واوكلت له في تموز 1798 مهمة الاستيلاء على

لمصر

الاسطول البريطاني كان جُلّ ماينشده هو انهائه لفترة المطاردة الطويلة التي أمضاها باحثاً عن الاسطول الفرنسي بقيادة برويس Brueys، فوجده أخيراً راسياً في ميناء أبي قير، وبغارة بحرية ناجحة استطاع تحطيم الاسطول الفرنسي في الأول من آب 1798⁽¹⁾ الأمر الذي كان له ابلغ الاثر على الوجود الفرنسي في مصر، لما ترتب على ذلك من نتائج، كان في مقدمتها تغيير ميزان القوى البحرية في البحر المتوسط لصالح البريطانيين، بعد ان خسر الفرنسيون ثلثي اسطولهم⁽²⁾.

حاول نابليون التخفيف من الاثار التي أحدثتها معركة أبي قير بنشاط دبلوماسي محموم بذله تجاه الباب العالي وحكام الاقاليم، فكتب الى الصدر الاعظم يوسف ضياء باشا في الثاني والعشرين من اب 1798، مبرراً الاسباب التي قادت حكومة الادارة الى القيام بعمل عسكري في مصر، بأنها لا تتعدى معاقبة المماليك الذين أساءوا الى المصالح الفرنسية والحقوا الاذى بالتجار الفرنسيين، وارسل في الحادي والثلاثين من آب الى والي مصر السابق بكر باشا، طالباً إليه العودة الى القاهرة وتسلم مهام منصبه السابق، وفي الوقت ذاته أعرب نابليون عن حسن نوايا فرنسا في رسالة بعث بها الى أحمد باشا الجزار حاكم عكا⁽³⁾، كما وجه نابليون رسالتين مؤرختين في الشهر نفسه إلى الشريف غالب بن مساعد أعلن فيهما عن أستعداده لتوفير الحماية اللازمة لقوافل الحج، وبقاء الأوقاف المصرية المخصصة

جزيرة تنريف الاسبانية، الا انه فشل في احتلالها، فأوكلت له على اثر ذلك مهمة تعقب الاسطول الفرنسي وتدميره، للمزيد من التفاصيل حوله يراجع :

Dane. C, The Nelson touch, An Anthology of Lord Nelsons Letters, (London 1942), PPXIII – XVIII .

(1) إبراهيم، محمد فؤاد وآخرون، اللورد نلسن، مجلة المعرفة، العدد 77، المجلد 17، (جنيف، 1971)، ص 1228.

(2) للتفاصيل حولة معركة أبي قير وعدد سفن كل من الأسطولين وقواتهما يراجع:

Letter from Rear –Admiral sir Horatio Nelson, K. B. to st. Vincent, 3Aug. 1798. Quoted in :English Historical Document, Vol. x1, 1783-1832, No.552 General Editor by David. C. Douglas, (London), PP. 890-893; Dane, Op. Cit., PP. 80-81; Jonquiere, Op. Cit, P. 324.

(3) شكري، الحملة الفرنسية...، ص116؛ الطعمة، المصدر السابق، ص91.

لمصر

للحرمين كما كانت، وإذا استثنينا موقف الشريف يمكن القول بأن جهود نابليون لم تثمر شيئاً مع البقية⁽¹⁾.

وإزاء هذه التحركات الفرنسية، فقد أستغل السفير البريطاني في اسطنبول أصدقاء معركة أبي قير، وأتصل بالسفير الروسي بازيل تامارا B.Tamara⁽²⁾ وأتفقا على العمل لدفع الحكومة العثمانية على إعلان الحرب ضد فرنسا بوصفها دولة معتدية، وقد تكلفت جهودهما بالنجاح، حيث أعلن العثمانيون الحرب في التاسع من أيلول 1798⁽³⁾ فكان ذلك الإعلان بمثابة أيداناً لرئيس الوزراء البريطاني وليم بت لتكثيف جهوده في أوروبا وتشكيل تحالف دولي ثان ضد فرنسا⁽⁴⁾.

لم يقف نابليون موقف المتفرج أزاء نشاط الدبلوماسية البريطانية المناهضة لمشاريع فرنسا، فقد أمر بتأليف أسطول جديد بهدف توجيه ضربة للبريطانيين في

(1) أعرب شريف مكة عن ترحيبه بالمبادرة الفرنسية، ويشير د. صبري الحمدي ان سبب تبني الشريف لهذا الموقف ينشطر في امرين أولهما شعوره بضعف الدولة العثمانية عن حماية ممتلكاتها، فأراد الشريف التودد لنابليون خشية منه، وثانيهما قناعاته بحقيقة ضعفه الاقتصادي، فموارده الضئيلة لاتتحمل توقف نشاط الحجاز التجاري، خلال فترة الصراع البريطاني الفرنسي في المنطقة، الحمدي، المصدر السابق، ص154، وللأطلاع على نصوص الرسائل المتبادلة بين نابليون والشريف غالب يراجع: : الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج4، تحقيق عبدالعزيز جمال الدين، مكتبة مدبولي، (القاهرة، 1997)، ص111-116.

(2) كان الروس أيضاً ممتعضين من النشاط الفرنسي بعد توقيع معاهدة كامبو فرميو في تشرين الأول 1797 والتي حصلت فرنسا من النمسا بموجبها على الجزر الأيونية وموانئ منطقة ألبيروس، إذ أعتبر الروس ذلك النجاح الفرنسي بداية لتوسعهم في منطقة البلقان مما يهدد مصالحهم هناك، ثم جاءت الضربة القاضية للعلاقات الفرنسية الروسية باحتلال نابليون لمالطة والذي أعتبره الروس أهانة شخصية للقيصر بول الأول (1796-1801) إذ أن منظمة فرسان القديس يوحنا الحاكمة في الجزيرة كانت قبيل ذلك قد منحت القيصر لقب المعلم الأعظم للمنظمة.

Morfill.W. R, A history of Russia, from the Birth of peter the great to the Death of Alexander 11,(London , 1902), P261; Shaw, op, cit vol, p268.

(3) Jones, Colin, the Longman companion to the French revolution third edition, (Malaysia, 1998), P. 53.

(4) فشر، هربرت، تاريخ أوروبا في العصر الحديث 1798-1950، تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ط2، (القاهرة، 1972)، ص54؛

Jonquiere, Op., Cit, P. 223.

لمصر

الهند⁽¹⁾ وقد أشارت التقارير الواردة الى بومباي عن قيام (300) جندياً فرنسياً من القوات الفرنسية المتواجدة في السويس بمصادرة (40-50) سفينة حمولة كل منها (80-100) رجل من سفن المصريين⁽²⁾. وأوعز في الوقت ذاته ببناء عدد من القلاع والتحصينات على الطريق من الأسكندرية إلى رأس البحر الأحمر، وأهتم بالسويس من أجل تطوير موانئ البحر الأحمر، لأنعاش الحركة التجارية وبناء السفن⁽³⁾ فيما قام المهندسون الفرنسيون بإجراء مسوحات بين البحرين المتوسط والأحمر، للتحقق من إمكانية إنشاء قناة تربط بينهما، وذلك بقصد السيطرة على طرق التجارة الرئيسة في العالم بما يحقق لفرنسا ميزة كبيرة في مجابهة بريطانيا، وقد أهتم بونابرت بهذا المشروع اهتماماً شخصياً، إذ كان على رأس جماعة العلماء والمساحين والمهندسين الذين حاولوا أن يتتبعوا بقايا القناة بين نهر النيل والبحر الأحمر⁽⁴⁾.

أمام هذا التحرك الفرنسي الجاد، شعرت بريطانيا بحاجتها لتكثيف الجهود تجاه الباب العالي، وتوثيق العلاقات معه، مع المحافظة على بقاء جوهر خطتها السياسية تجاه الصراع العثماني – الفرنسي القائم على عدم المشاركة الفعلية في القتال الدائر على الأراضي العثمانية ثابتاً دون أي تغيير⁽⁵⁾، لذا فقد قررت الحكومة البريطانية القيام ببعض الخطوات منها تكليف السير سدني سميث Sdney Smith شقيق السفير البريطاني سبنسر سميث، الخبير في الشؤون العثمانية، بالسفر الى اسطنبول على ظهر السفينة تيجر Tiger، بعد إن خولته صلاحية الاشتراك مع أخيه سبنسر سميث

(1) كيلي، المصدر السابق، ص103؛

Hoskins, op, cit, p57.

(2) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص89-90.

(3) العابد، هل استهدفت الحملة الفرنسية لمصر غزو الهند...، ص125.

(4) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص68. وللتفاصيل حول سفرة نابليون للسويس. يراجع: الجبرتي، عجائب الآثار...، ج4، ص162-164.

(5) كانت سياسة بريطانيا أزاء الصراع العثماني – الفرنسي قائمة على أساس أن يأخذ العثمانيون وحدهم مهمة تحطيم القوات الفرنسية الموجودة في مصر، بينما يكرس البريطانيون جهودهم لتقديم مساعدات ثانوية للعثمانيين للتخفيف من الضغط الواقع عليهم، وكذلك محاصرة القوات الفرنسية في مصر، وكان من أبرز منظري هذا الرأي رئيس الوزراء وليم بت. شكري، الحملة الفرنسية...، ص393.

لمصر

في أية مفاوضات يمكن أن تتم، و تم اختيار الكولونيل كوهلر Kohler للذهاب الى اسطنبول أيضاً على رأس بعثة عسكرية مهمتها تنظيم الجيش العثماني⁽¹⁾.

وعلى محور آخر فقد أصدرت حكومة الهند أوامرها الى الكابتن راينر Rynar بتحريك السفينتين الحربيتين سنتورين Sentorn، والباتروس AL-batross⁽²⁾ من ميناء مخا إلى السويس لتدمير السفن التي جمعها الفرنسيون هناك⁽³⁾ و أمرت بارسال سفينة الشركة المسلحة بلفير Belvider ، الى ذلك القطاع على أن تتبعها السفينة الحربية إيرل هاو Earl Howe، والسفينة برنس شارلوت Prince Charlot، كما قررت أيضاً تحويل سفن الاستيراد القادمة من الصين الى سفن قتالية، ترسل إلى البحر الأحمر في حالة تأخر وصول الأميرال جون بلانكت⁽⁴⁾ و صدرت الأوامر في أواخر تشرين الثاني الى حكومة بومباي بوجوب تجهيز حملة وإرسالها الى جزيرة بريم Brem⁽⁵⁾ للاستيلاء عليها، إذ يمكن عن طريق هذه الجزيرة إغلاق مدخل البحر الأحمر، فضلاً عن أنها تصلح أن تكون قاعدة متقدمة لتحشد القوات فيما لو تقرر مهاجمة الفرنسيين في مصر⁽⁶⁾.

وما يوازي هذه الإجراءات العسكرية في أهميتها، ذلك النجاح السياسي الذي حققه سدني سمث الذي بمجرد أن وصل الى اسطنبول في أواخر كانون الأول

(1) خوري، المصدر السابق، ص115.

(2) كانت السفينة الباتروس جزءاً من أسطول الأميرال جون بلانكت J. Blanket الذي تسلم الأوامر في التاسع من تموز بالتحرك على رأس قطعة بحرية مؤلفة من سفن البحرية الملكية ليوبارد Leopard وديدالوس Dedalos وأورست Orest والسفينة الباتروس، لكن السفينة الأخيرة تحركت قبل تحرك الأسطول فوصلت الى ميناء مخا قبل وصوله الذي تأخر الى نيسان 1799، وبعد وصول السفينة الباتروس وصلت السفينة سنتورين من الهند تحمل الكابتن راينر. العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص88-90؛ كيلي، المصدر السابق، ص99.

(3) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر، ص70.

(4) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص90.

(5) جزيرة صخرية تقع في باب المندب مساحتها حوالي (13) كم²، أدى الموقع الاستراتيجي للجزيرة وتحكمها بمدخل البحر الأحمر بالتعرضها للأحتلال مرات عديدة فقد أحتلها البرتغاليون في عام 1513 وأحتلتها فرنسا في عام 1738 لمدة قصيرة، ثم أحتلتها بريطانيا في عام 1799. الثور، عبدالله محمد،

هذه هي اليمن، مطبعة المدني، (صنعاء، 1969)، ص475. AL mandeb / cultur . Jo . edu . Ju . http://

; p22 , (London , 1975) , (London , 1967 - 1839) , Aden under British rule , Cavin (6)

طه، المصدر السابق، ص38.

الفصل الثاني سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية في ظل الغزو الفرنسي

لمصر

1798، وجد بأنه قد آن الأوان لعقد معاهدة تحالف مع الدولة العثمانية، لاسيما وأن الروس قد سبقوهم إلى اتخاذ خطوات أكثر عملية⁽¹⁾، اقنعت الدولة العثمانية بتوقيع معاهدة تحالف معهم في الثالث والعشرين من كانون الأول 1798⁽²⁾.

وبناءً على ذلك فقد دخل سدني سميث وأخيه سبنسر بمفاوضات مع وزير الخارجية العثمانية أحمد عاطف، اسفرت عن توقيع معاهدة تحالف في الخامس من كانون الثاني 1799، أبرز ما أشارت إليه هو تعهد بريطانيا بضمان أملاك الدولة العثمانية، كما كانت عليه قبل الغزو الفرنسي، وتعهد السلطان العثماني بالمحافظة على المصالح البريطانية في عموم الولايات الخاضعة للسيادة العثمانية، كما إن أمد المعاهدة كان ثماني سنوات⁽³⁾.

(1) أقترحت الحكومة الروسية على الحكومة العثمانية إرسال أسطولها الحربي إلى البحر المتوسط للقتال ضد الفرنسيين، وقد وافقت الحكومة العثمانية على ذلك فتحرك الأسطول الروسي بقيادة الجنرال أوشاكوف Oshacov من البحر الأسود ماراً بالمضائق العثمانية في أيلول 1798، وعندها خرج السلطان العثماني سليم الثالث لتفقد سفن الأسطول الروسي بنفسه، ثم بعد ذلك أستأنف الأسطول الروس أبحاره جنباً الى جنب مع الأسطول العثماني النالبحر المتوسط لشن هجمات مشتركة على الفرنسيين في الجزر الأيونية، وقد تم ذلك حتى قبل أن يتم حلف رسمي بين البلدين.

Shaw , Op . Cit , vol. I , 269;

التكريتي، المسألة الشرقية...، ص 53، 216.

(2) Treaty of Defensive Alliance between Russia and Turkey , 23 December 1798, Quoted in: the Consolidated Treaty Series , Edited by Clive Parry , (New York , 1969) , Vol. 54 , PP. 349-345; Howard, N. Harry, The Problem of the Turkish Strits, (Washington, 1947), P. 14.

(3) عن المفاوضات البريطانية العثمانية يراجع:

Ghorbal . M . S . The Beginning of the Egyptian Questions and the Rise of Mohemet Ali, A Study in the Diplomacy of the Napoleonic Era based on Research in the British and French Archives , (London , 1928) , pp53-56.

وللأطلاع على نص المعاهدة العثمانية البريطانية يراجع:

The Anglo-Turkish Defensive Alliance , 5 January 1799 , cited in : Anderson the Great Power and near east..., PP. 21-22 ; the Consolidated Treaty Series, Vol. 54 , PP. 389-

ومما يجدر ذكره إن هاتين المعاهدتين كانتا فاتحة التحالف الدولي الثاني، إذ انضمت إليه نابولي . 394 بموجب معاهدة أسطنبول الموقعة في الحادي والعشرين من كانون الثاني، ثم انضمت النمسا في الرابع والعشرين منه . طقوش، محمد سهيل، المصدر السابق، ص314.

لمصر

وتشير الوثائق العثمانية أنه ما أن تم ذلك التحالف، حتى شرعت الحكومة العثمانية بأرسال الرسائل الى ولاية الأقاليم التابعين لها، تطلب منهم القيام بالاستعدادات اللازمة لمواجهة الخطر الفرنسي، ومنح التسهيلات وإبداء المساعدات للحلفاء البريطانيين⁽¹⁾ وخاصة السير سدني سميث الذي مُنح تفويضاً مطلقاً بموجب الأمر السلطاني الذي اصدره السلطان بهذا الخصوص ومما ورد فيه ((مهما مرّ عليكم من مراكبه وأتباعه فسيروا له بالإكرام الزايد، والإنعام الوافر، وليعلم الخاص والعام، زود صداقته مع الإسلام، والإعانة لنا منه على الدوام، على تدمير الفرنساوية اللئام، وأعلموا بذلك وأعتمدوه غاية الأعتداد والسلام...))⁽²⁾.

وما أن تم التحالف حتى أخذ السلطان سليم الثالث يعد خطته لمهاجمة الفرنسيين في مصر، وكانت الخطة تقوم على إرسال جيشين يزحف الأول عبر سوريا وينطلق الآخر من رودس لمهاجمة سواحل مصر الشمالية⁽³⁾ لكنه في الوقت ذاته كان متيقناً تماماً بأنه على الرغم من الإصلاحات التي أدخلها على قواته البرية والبحرية⁽⁴⁾ إلا أن مشروعا طموحاً كهذا لا يمكنه تحمل أعباءه لوحده لضعف إمكانيات القوات العثمانية أزاء إمكانيات الجيش الفرنسي، وإنطلاقاً من هذه الحقائق فقد أدرك السلطان بأن جهود السير سدني سميث لا يمكن الاستغناء عنها، فتمت مفاوضاته بهذا الخصوص، وقد كان الأخير يعتقد هو الآخر بأنه من المتعذر الإعتماد على العثمانيين وحدهم للقيام بعمل جدي دون مساعدة خارجية، فعول السير سدني سميث على مساعدة الأسطول البريطاني، وكتب بذلك الى اللورد نلسن في الرابع والعشرين من كانون الثاني 1799، و طلب الإمدادات المالية من حكومته حتى يمكن تجهيز الأسطول العثماني، واخذ السير سدني يكتف اجتماعاته مع المسؤولين

(1) للأطلاع على نصوص الرسائل يراجع، الطعنة، المصدر السابق، ص93-95.

(2) للأطلاع على نص فرمان يراجع، الجبرتي، عجائب الآثار...، ج4، ص60.

(3) الطعنة، المصدر السابق، ص95.

(4) للوقوف على إصلاحات السلطان سليم الثالث يراجع:

Baily , frank Edgar , British policy and the Turkish Reform Movement , A study in Anglo –Turkish Relations 1826-1853 , (New York , 1970) , p26-27; Lewis, Geoffery, Turkey, second edition,(London, 1960), PP. 31-33;

الأموي، محمد عصفور سلمان، حركة الإصلاح في الدولة العثمانية وأثرها في المشرق العربي 1839-1908 أطروحة دكتوراه، مقدمة الى كلية الآداب، جامعة بغداد، 2005، ص11-15.

لمصر

العثمانيين وتباحث معهم سبل الاستعدادات البرية والبحرية، وأبحر الى رودس فالتقى حاكمها حسن بك، ثم أنتقل منها للقاء أحمد باشا الجزائر في عكا واتفق معهما حول العمليات الحربية⁽¹⁾.

مما لاشك فيه أن هذه النشاطات البريطانية المحمومة والمتسارعة، قد حفزت نابليون على توسيع دائرة حربه سياسياً وعسكرياً أيضاً، ففي المجال الأول فقد بعث نابليون برسالة الى سلطان مسقط سلطان بن حمد (1792-1804) في الخامس والعشرين من كانون الثاني 1799، ضمنها رغبة بتوطيد الصداقة معه⁽²⁾ وأرفق بها رسالة ثانية، طالباً من السلطان إيصالها إلى الزعيم الهندي تيبو صاحب، موضحاً فيها رغبته بأن يرسل الأخير مندوباً عنه للتشاور معه في الموقف العام وكيفية التعاون بينهما ضد البريطانيين⁽³⁾ لكن هاتين الرسالتين وقعتا بيد ممثل شركة الهند في مخا صاموئيل ولسن S. Wilson⁽⁴⁾ فأرسلهما الى حكومة بومباي⁽⁵⁾ وعلى الرغم من أن هاتين الرسالتين لم تفصحا عن خطة فرنسية بالهجوم على الهند، و لم يعد بهما نابليون شيئاً، غير ان تلك الرسائل كانت كافية للتأكيد على سعي الفرنسيين بشتى الوسائل للوصول الى الهند، الأمر الذي ينذر بالخطر على المصالح البريطانية هناك⁽⁶⁾.

أما اجراءات نابليون العسكرية التي اثارت مزيداً من قلق الحكومة البريطانية فتمثلت بحملته على سوريا، بعد أن اعتقد نابليون بأن لا أمان ولا استقرار لحكومة

(1) شكري، الحملة الفرنسية، ص124؛ الطعمة، المصدر السابق، ص95.

(2) للأطلاع على نص الرسالة يراجع: صالح زكي، المصدر السابق، ص74.

(3) للأطلاع على نص الرسالة يراجع: العابد، هل أستهدفت الحملة الفرنسية غزو الهند ..، ص127.

(4) السكرتير العسكري لحاكم بومباي، تم إرساله في أيلول 1798 الى جده، لكي يعمل على أبعاد شريف مكة عن نابليون، وإذا تمكن من ذلك يكون حلقة وصل بين الشريف وحكومة بومباي، ويعمل في الوقت ذاته على تحريض الزعماء العرب في جنوب الجزيرة على مقاومة أي زحف يقوم به نابليون عبر ذلك الطريق، العقاد، التيارات السياسية...، ص69.

(5) يتفق د. العابد مع د. العقاد أن نابليون سلم الرسائل الى شريف مكة، وهذا بدوره بدلاً من أن يرسل بها الى جهاتها المعنونة لها، سلمها الى الممثل البريطاني ولسون. العابد، هل أستهدفت الحملة الفرنسية لمصر غزو الهند ...، ص126؛ العقاد، التيارات السياسية ...، ص72 - 73.

(6) لوريمر، المصدر السابق، ج2، ص671؛ المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص69.

لمصر

تقوم في القاهرة، دون تأمين الحدود الشمالية الشرقية لمصر، ولا يتم ذلك إلا بالسيطرة على الشام⁽¹⁾، فضلاً عن حرمان الأسطول البريطاني من استخدام الموانئ السورية⁽²⁾.

أصدر نابليون أوامره في أواخر كانون الثاني 1799 إلى الجيش بالتقدم نحو العريش، وتم الاستيلاء عليها في العشرين من شباط، ثم واصل الفرنسيون زحفهم فدخلوا يافا في السابع من آذار، ففرضوا حصارهم على عكا ابتداءً من الثامن عشر منه⁽³⁾.

لم يتمكن الفرنسيون من إحكام حصارهم، لعكا، بسبب وصول السير سدني سميث بأسطوله إلى المدينة قبل بدء الحصار بيومين، الأمر الذي أبقى الطريق مفتوحاً بين عكا ورودس، فبقيت الأمدادات تصل إلى عكا بصورة مستمرة، وتمكن البريطانيون من الاستيلاء على مدافع الحصار التي أرسلت من مصر البالغ عددها أربعة وعشرين مدفعاً، مع تدمير السفن الفرنسية التي كانت تحملها⁽⁴⁾ و لجأ سدني سميث إلى أسلوب الحرب النفسية في محاولة لزعزعة معنويات القوات الفرنسية من خلاللقاء المنشورات المطبوعة على القوات الفرنسية المرابطة عند أسوار عكا، ومما جاء في أحدها ((هل يغامركم الشك في أن حكومة الإدارة حين أرسلتكم إلى بلد ناءٍ كهذا، كان هدفها الوحيد هو نفيكم عن فرنسا...))، ويستدل على تأثير هذه المنشورات على القوات الفرنسية من الإجراءات الشديدة التي اتخذها نابليون ضد جنوده⁽⁵⁾.

واجه نابليون عراقيل حقيقية أثناء حصاره لعكا، إذ أن وباء الطاعون أخذ نصيبه من الجنود الفرنسيين ومن معنويات قيادتهم⁽⁶⁾ ووصلت إلى مسامعه أخبار

(1) سعيد، أمين، تاريخ الاستعمار الأوربي في بلاد العرب، ج1، تاريخ الاستعمار الأنكليزي في بلاد العرب، مطبعة عيسى البابي وشركاه، (القاهرة، د.ت)، ص83.

(2) للتفاصيل حول أهداف الحملة السورية كما حددها نابليون في تقريره لحكومة الإدارة المؤرخ في العاشر من شباط 1799 يراجع : شكري، الحملة الفرنسية ...، ص126 .

(3) Ghorbal , op , cit , pp 79 – 83 ; Vaujany , op ,cit , pp 357 – 361 .

(4) Ghorbal , op , cit , p85 .

(5) نقلاً عن: كرستوفر، المصدر السابق، ص212 – 213 .

(6) Jonqiere , Op. Cit., P. 324 .

لمصر

تمكن الأسطولين الروسي والعثماني من إنتزاع جزيرة كورفو (Corfu) من الفرنسيين، وإن الأسطول العثماني في طريقه الى مصر⁽¹⁾، وللإستفادة من أعداء نابليون فقد أستمال السير سدني سميث الكولونيل فيليبو Phelipo، أحد المهاجرين الفرنسيين أنظم الى أعداء الثورة الفرنسية منذ العام 1792، وكان ضابطاً مدافعياً أسندت اليه مهمة وضع الخطط العسكرية للدفاع عن عكا، فتكللت خطته بالنجاح بإفشال المحاولات الثلاث لنابليون بإقتحام أسوار المدينة في الرابع والثامن والعاشر من آيار 1799⁽²⁾.

ومن الجدير بالذكر بأن نابليون في الوقت الذي كان فيه يحاصر عكا، فقد استمر وصول التعزيزات البريطانية الى البحر الأحمر، ففي منتصف نيسان 1799، وصل أسطول الأميرال جون بلانكت الى ذلك البحر، وأخذ يفرض حصاراً شديداً على السويس، ثم أخذ يدك بمدافعه ميناء القصير في الرابع من آيار 1799⁽³⁾، وتمكن المقدم موري Murray الذي وصل إلى جزيرة بريم، من الاستيلاء عليها في الثالث من آيار 1799⁽⁴⁾ مما اضطر نابليون أخيراً الى رفع الحصار عن عكا وسحب قواته بإتجاه مصر⁽⁵⁾.

لقد اثبتت الحملة السورية بأن أي تهديد فرنسي للوجود البريطاني في الهند حينذاك هو ((ضرب من الخيال))⁽⁶⁾ لأنه ((أمر غير واقعي وبعيد عن التنفيذ))⁽⁷⁾ فعلى الرغم من أنتصار نابليون اللاحق في موقعه ابي قير البرية على القوات العثمانية في الخامس والعشرين من تموز 1799 إلا ان السير سدني سميث استطاع ان يفوت على نابليون نشوة ذلك الأنتصار، مستغلاً الإتصالات التي دارت بينه وبين

(1) طقوش، المصدر السابق، ص315.

(2) شكري، الحملة الفرنسية ...، ص130 .

(3) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي ...، ص91 .

(4) هارولد ف. يعقوب ك. س. أي، ملوك شبه الجزيرة العربية، ترجمة أحمد الضواحي، ط2، دار العودة، (بيروت، 1988)، ص21 - 22.

(5) للمزيد من التفاصيل حول اسباب فشل الحملة يراجع :

Kirk , op , cit , p73 ;

لونسكي، المصدر السابق، ص53 .

(6) العابد، هل أستهدفت الحملة الفرنسية لمصر غزو الهند ...، ص128 .

(7) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي، ص82 .

لمصر

الضابطان الفرنسيين مرلان Mirlan وديكورش Decorsh حول تبادل الأسرى، ليرسل معهما الى نابليون عدد صحيفة فرانكفورت Frankfort الفرنسية الصادر في العاشر من حزيران 1799، وقصد من ذلك اطلاع نابليون على الهزائم التي أخذت تتعرض لها فرنسا في القارة الأوروبية، لأحراج موقف نابليون في مصر⁽¹⁾، حتى أن بعض الدراسات عدت لهذه الخطوة أعظم أثر في تفكير نابليون بالعودة الى فرنسا، ويستندون في ذلك الى ما نقله أحد ضباط الحملة من أن نابليون قد دهش بعد فراغه من قراءة تلك الصحيفة وقال: ((لقد وقع ماكنت أخشاه، وضاعت إيطاليا، فما أتعسهم، لقد ذهبت أنتصاراتي جميعها سدى ولا بد لي من العودة حالاً دون إبطاء))⁽²⁾، وبدون أدنى شك فإن ذلك الشعور يعكس بصورة واضحة الموقف المحرج الذي أصبح يحيط بفرنسا نفسها بصورة عامة⁽³⁾ وموقف الحملة الفرنسية بصورة خاصة.

لقد شكل فشل نابليون في الشام، والأخبار السيئة التي تضمنتها تلك الصحيفة إنعطافة مهمة في طبيعة سياسته تجاه الباب العالي، فقد قرر نابليون الدخول في مفاوضات مع الدولة العثمانية لأجل الصلح، وكتب بهذا الخصوص الى الصدر الأعظم يوسف باشا في السابع عشر من آب 1799⁽⁴⁾ إلا أن اخبارا وصلت الى مسامعه مفادها أن السفن البريطانية والعثمانية المحاصرة للشواطئ المصرية قد توجهت الى قبرص في مساء ذلك اليوم لغرض التزود بالموءن والذخيرة، فقرر في نفسه استغلال الفرصة ومغادرة البلاد الى اوربا، دون أن ينتظر معرفة وجهة نظر

(1) Ghorbal , op ,cit , p100 -101 ; Voujany, op , cit , p361 – 362 .

(2) نقلاً عن : شكري، الحملة الفرنسية ...، ص133 .

(3) في الوقت الذي كان فيه نابليون في الشرق، تسارعت الأحداث في أوربا في غير صالح فرنسا، إذ أخذت تعيش هزائم عديدة على يد قوات التحالف الدولي الثاني، فقد طُرد الفرنسيون من نابولي وهُزمت جيوشهم في سويسرا، وقد توج القائد الروسي سوفوروف Sovorov هذه الانتصارات في إيطاليا، عندما أنزل بالفرنسيين هزيمة ساحقة عند نوفي Novy في الخامس عشر من آب 1799 فأنهارت على اثر ذلك جمهوريتا إيطاليا وروما، وبدا النصر النهائي على فرنسا مؤكداً، إذا تأكدت بين المتحالفين عرى الوحدة. للتفاصيل حول تلك الانتصارات يراجع :

Duffy , Christopher , Russia's Military way to the west Origins and Nature of Russian Military Power 1700 – 1800 , (London , 1973) , pp 216 – 222 .

(4) Ghorbal, Op, Cit , P. 102;

شكري، الحملة الفرنسية...، ص135 .

لمصر

العثمانيين حول الصلح، ذلك الأمر الذي تركه مع شأن القيادة للجنرال كليبر Kleber وغادر في الثالث والعشرين من آب متوجهاً الى فرنسا⁽¹⁾.

والواقع أن نابليون عند مغادرته، لم يفكر بترك مصير الحملة للقدر، بل عشية عودته ترك مجموعة من التعليمات حدد فيها ما يجب على الجنرال كليبر فعله في المرحلة القادمة، واهم ما جاء في هذه التعليمات جزؤها الخاص بالمفاوضات مع العثمانيين، حيث فوض الأخير بالدخول في مفاوضات معهم والتوصل الى صلح نهائي، لكنه قيد ذلك التفويض بقيود معينة، فلا يتم اتفاق إلا إذا أخفقت حكومة الإدارة في محاولة الاتصال بكليبر، وتعذر وصول أية إمدادات من فرنسا خلال الشهور المقبلة وحتى شهر آيار من عام 1800، وفي حالة توصل الجنرال كليبر لصلح مع العثمانيين فإنه يجب أن يعمل قدر الاستطاعة على جعل أمر الجلاء عن مصر مرهون بأنسحاب العثمانيين من التحالف الدولي الموجه ضد فرنسا، مع محاولة إرجاء تنفيذ شروط الصلح الى حين عقد صلح عام في أوروبا، حتى يكون الصلح مع العثمانيين جزءاً من ذلك الصلح العام⁽²⁾.

إلا أن كليبر وجد بأن هذه التعليمات لا يمكن أن تكون برنامج عمل للمرحلة القادمة، وبعد دراسة للظروف المحيطة بالحملة سواء أكان ذلك في داخل مصر أم خارجها، فقد خلص الجنرال كليبر الى مجموعة من الآراء التي دونها في تقرير ارسله الى حكومة الإدارة في السادس والعشرين من أيلول 1799، وأعتبر فيه ان أقصى ما يمكن ان يفعله هو أن يمضي قدماً في مفاوضات الصلح التي حاول بونابرت نفسه ان يشرع بها مع العثمانيين⁽³⁾ وبناءً على ذلك، فقد كتب الجنرال كليبر في أواخر أيلول الى الصدر الأعظم يوسف ضياء باشا رسالة جدد فيها الدعوة للدخول في مفاوضات الصلح⁽⁴⁾.

(1) Jonquiere ,Op. Cit , p325 ; Vaujany , op , cit , p361 .

(2) Ghorbal , Op . Cit , p103 ;

كرستوفر، المصدر السابق، ص 356 .

(3) للمزيد من التفاصيل حول تقرير الجنرال كليبر يراجع : شكري، الحملة الفرنسية ...، ص 150 - 152 .

كرستوفر، المصدر السابق، ص 361; Ghorbal , Op .Cit , p104; (4)

لمصر

ويبدو أن الحكومة العثمانية قد فسرت رحيل نابليون، واصرار الجنرال كليبر على مسألة الصلح بأنه ضعفا، وربما وجدت في ذلك حافزاً للعمل على طرد الفرنسيين من مصر⁽¹⁾ لذا فإن الرد العثماني كان مليئاً ((بالكبرياء والعجرفة القريبة من الإهانة البالغة)) على حد قول كليبر نفسه⁽²⁾.

بيد أن منطق الحكومة العثمانية الرافض للصلح وقتذاك لم يدم طويلاً، ذلك أن تفسير العثمانيين الخاطئ للموقف الفرنسي. دفعهم لمهاجمة القوات الفرنسية في دمياط في الثامن من تشرين الثاني 1799، لكن الفرنسيين تمكنوا من إلحاق الهزيمة بالجيش العثماني، فكان ذلك بمثابة الصدمة القوية التي فاق على أثرها العثمانيون فقبلوا بمبدأ المفاوضات⁽³⁾ وجاء رد الباب العالي هذه المرة ((في غاية التأدب والملاطفة)) حسب تعبير كليبر أيضاً⁽⁴⁾.

كان الصدر الأعظم يوسف ضياء باشا يدرك بأن أي اتفاق مع الفرنسيين لا يمكن أن يتم دون علم بريطانيا. لذا قام باستدعاء السير سدني سميث وأطلعه على نصوص رسائل نابليون وكليبر لمعرفة وجهة نظره حول مفاوضات الصلح، ورغم أن سمث كان مؤيداً لمسألة المفاوضات التي تنتهي بالجلء الفرنسي الشامل عن مصر بصورة سلمية، لكنه في الوقت ذاته انتابته مخاوف من اجراء مفاوضات ثنائية فرنسية - عثمانية دون علمه⁽⁵⁾. ولما كان قد أمن الجانب العثماني بهذا الشأن بعد لقائه بالصدر الاعظم، وجد سدني سمث أنه من الضروري توجيه رسالة الى الفرنسيين يعلمهم فيها عدم امكانية التوصل الى تفاهم فرنسي- عثماني دون اشراك بريطانيا بالامر. فكتب الى الجنرال كليبر قائلاً: ((يتعذر على العثمانيين قبول الصلح او الهدنة لوحدهم، ما دامت معاهدة التحالف البريطانية العثمانية الموقعة في الخامس من كانون الاول 1799 قائمة، وأنه ليس بوسع الفرنسيين الانسحاب من هذه البلاد

(1) Vaujany , Op . Cit p362;

الطعمة، المصدر السابق، ص98.

(2) نقلاً : شكري الحملة الفرنسية، ص160.

(3) Ghorbal , Op ,Cit , P. 105.

(4) نقلاً عن: شكري، الحملة الفرنسية...، ص .

(5) خوري ، المصدر السابق، ص135.

لمصر

دون موافقة بريطانيا او علمها، لذا يجب ان تكون بريطانيا طرفا في أي اتفاق يعقد بين الفرنسيين والعثمانيين⁽¹⁾.

رحّب الجنرال كليبر بوجهة النظر البريطانية، وأعرب عن ذلك برسالة وجهها الى السير سدني سمث وورد فيها ((أن الأوان لتكف الأمتان اللتان هما أكثر أمم أوروبا حضارة عن مقاتلة أحدهما الأخرى... ولا أعرف مجداً أجمل وأصح من المجد الذي سيوزعه التاريخ على الذين سيسهمون في إنهاء الحرب...))⁽²⁾.

وعلى هذا الأساس من التفاهم فقد جرت المفاوضات التي أسفرت عن توقيع معاهدة العريش في الرابع والعشرين من كانون الثاني 1800، ونصت على جلاء الفرنسيين من مصر مع كامل أسلحتهم وأمتعتهم في مدة أقصاها ثلاثة أشهر قابلة للتמיד إذا ما دعت الضرورة لذلك، وعلى سفنهم الخاصة أو تلك التي يقتضي الحال تقديمها من الباب العالي⁽³⁾.

ما أن أطلعت الحكومة البريطانية على مسودة المعاهدة، حتى أعلنت رفضها لما ورد فيها، وعارضت – دون الأخذ بالأعتبارات العثمانية أو موقف مسؤوليها سدني سمث – تنفيذ فقرات اتفاق العريش بحجة أن الحرب ضد فرنسا لاتزال قائمة في أوروبا ولا بد من تسليم قواتها العائدة عبر البحر كأسرى حرب⁽⁴⁾.

كان للحكومة البريطانية عدد من المسوغات في رفضها للمعاهدة، منها أنها رأت لقوتها البحرية ميزة الأرجحية في البحر المتوسط، بالشكل الذي يمكنها من محاصرة الجيش الفرنسي في مصر، وقطع طريق الإمدادات اليه، ثم أجباره على

(1) نقلاً عن : كرستوفر، المصدر السابق، ص362.

(2) نقلاً عن: خوري، المصدر السابق، ص 139 ؛ كرستوفر، المصدر السابق، ص362.

(3) للتفاصيل حول مفاوضات اتفاقية العريش يراجع:

Ghorbal , Op. Cit 110-114.

شكري، الحملة الفرنسية، ص 157-175 وللوقوف على نص الاتفاقية يراجع:

Convention between France and Turkey 24 January 1800, Quoted in: The Consolidated Treaty Series , vol 55 , pp141-143;

الجبرتي، عجائب الآثار، ج4، الملحق رقم (20) ص452-457 ؛ خوري، المصدر السابق، المستند رقم (4)، ص259-265.

(4) الصلابي، علي محمد محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، (القاهرة، 2004)، ص307.

لمصر

التسليم، لذا فمن الخطأ التفريط بهذه الأرجحية⁽¹⁾ وبقدر ما يكون هذا السبب صحيحاً فإن هناك اسباباً أخرى لا تقل أهمية عن ذلك منها أن بريطانيا رأت في تنفيذ المعاهدة خطراً على ميزان القوى العسكرية في أوروبا في حال عودة القوة الفرنسية بسلاحها الى أرض الوطن⁽²⁾، وبعبارة أخرى فإن بقاء جيش الحملة محصوراً في مصر، لا يكلف البريطانيين سوى ملاحظة منافذ البحرين الأبيض والأحمر، وهذا بحد ذاته أقل خطورة وأهون شراً من السماح بعودة الجيش الفرنسي الى فرنسا واشتراكه في المعارك الدائرة في أوروبا⁽³⁾.

انطلقت بريطانيا أيضاً في رفضها لاتفاقية العريش من نظرتها الى المسألة على أنها أكثر من أن تنتهي بجلاء القوات الفرنسية عن مصر، فقد رأت بأنها لكي تأمن مصالحها في مصر، فإن ذلك لا يأتي إلا عن طريق تواجدها العسكري المباشر فيها، فلا يمكن أن تكون هنالك مكاسب دون مشاركة فعلية، تتمثل بنزول قوات برية على أرض مصر، وكان نقض المعاهدة يوفر لها تلك الفرصة⁽⁴⁾ لاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن بريطانيا أصبحت وقتذاك قادرة على الإقدام على مثل هذه الخطوة بعد أن حققت أرجحيتها في الهند بقضائها على حليف الفرنسيين تيبو صاحب منذ أيار 1799⁽⁵⁾ فأصبحت بذلك متفرغة في الشرق بكليتها للمسألة المصرية.

وعلى الرغم من هذه المبررات لم يعد يسيراً على الحكومة البريطانية أن تمضي قدماً في موقفها الراض للمعاهدة، لان حلفائهم العثمانيين أمتعضوا كثيراً

(1) Stewart . Desmond , Yaung Egypt,(London, 1964) , P. 33.

(2) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص 96.

(3) شكري، الحملة الفرنسية...، ص 194، 389.

(4) Shaw , Op. Cit , Vol. I , P. 269;

المشاخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص 79.

(5) سبقت الإشارة الى أن تيبو صاحب أرسل بعثة الى حاكم أيل دي فرانس، وكانت تلك البعثة تحمل مشروعاً لمعاهدة فرنسية - ميسورية، فما كان من حاكم أيل دي فرانس الكونت مالارتيك الا وقام بنشر هذه المعاهدة في الثلاثين من كانون الثاني 1798، وقد عُرف خبر المعاهدة في كلكتا في حزيران من العام ذاته، فأستغل ولزلي الحاكم العام للهند ذبوع ذلك النبأ لتوجيه ضربة لدولة ميسور، أنتهت بالفعل بمصرع تيبو صاحب نفسه في الرابع من أيار 1799. العابد، هل أستهدفت الحملة الفرنسية لمصر غزو الهند...، ص 132.

لمصر

جاء ذلك الموقف⁽¹⁾ حتى أن السلطان سليم الثالث وصف الموقف البريطاني بأنه ((مناورة شطرنجية غير مدروسة العواقب، ولم تقدر طبيعة الخطر الذي تتعرض له البلاد))⁽²⁾ هذا من جانب ومن جانب آخر فإن السير سدي سمث الذي كان يدرك مدى تمسك العثمانيين واصرارهم على تطبيق بنود المعاهدة، أخذ يوضح هذا الأمر الى حكومته وأضاف اليه أن هذه الاتفاقية تعد أقصى نجاح سياسي يمكن أن تحققه بريطانيا في صراعها الى جانب الباب العالي ضد فرنسا، مؤكداً ذلك بقوله ((لما كانت عملياتنا الكبرى في هذه الجهات تستهدف استعادة مصر وإرجاعها الى حلفائنا - العثمانيين - وتأمين الممتلكات البريطانية في الهند، وكل هذه فوائد يتطلب الوصول إليها تضحيات كبيرة، فإنني لا أشك بتاتاً في أنكم سوف توافقونني على أن هذه المفاوضات قد حققت أقصى ما قد يرجو الإنسان بلوغه في حرب))⁽³⁾.

و عاب على حكومته أن تطلب المزيد من الرضوخ من الجنرال كليبر وهو الذي ((لم يقف يوماً من أحد، حتى من قائده الأعلى ورئيس دولته بونابرت موقف الجندي الآلي أو الرجل المستضعف المستسلم، وإن الرجل الذي لا ينحني أمام بونابرت لا ينتظر منه أن يحني الرأس أمام عدو يضمر له الكره والحقد...)) على حد قوله⁽⁴⁾، ثم حذر حكومته من مغبة المضي في موقفها الرفض، لأنه لن يزيد الفرنسيين إلا تعنتاً وتمسكاً بمصر ف ((مما يجب أن يذكره المرء دائماً أن الجيش المدرب الذي عركته التجارب مهما أشدت تدمره من الحال التي هو عليها، فأن اليأس سوف يجعله يحتفظ طويلاً ببلاد منعزلة تشق القنوات العديدة أرضها وتكثر بها السدود حتى أنه ليتعذر الدخول إليها...))⁽⁵⁾، وأخذ يكتب إلى اللورد الجين Elgin السفير البريطاني في اسطنبول (1799-1803) علّه يساعده في أقناع الحكومة في لندن قائلاً له ((أن الهدف القومي العظيم سيتحقق إذا أخرجنا الفرنسيين من البلاد حتى لو حملوا الأهرام معهم))⁽⁶⁾.

(1) طقوش، المصدر السابق، ص318 ؛ خوري ، المصدر السابق، ص162.

(2) نقلاً عن: الطعمة، المصدر السابق، ص99.

(3) نقلاً عن: شكري، الحملة الفرنسية...، ص199.

(4) نقلاً عن: خوري ، المصدر السابق، ص159.

(5) نقلاً عن: شكري، الحملة الفرنسية...، ص199.

(6) نقلاً عن: كرستوفر، المصدر السابق...، ص368.

لمصر

أثمرت جهود سدني سميث في لندن، وأعادت الحكومة البريطانية النظر في موقفها، فوجدت بأن المعاهدة لا تخلو من نقاط إيجابية، منها أسترجاع العثمانيين لسيادتهم على مصر، الذي من شأنه أن يمكن الأسطول البريطاني من استخدام الموانئ المصرية والتردد عليها طالما بقيت معاهدة التحالف البريطانية العثمانية قائمة⁽¹⁾ و أن المعاهدة أعطت بريطانيا ممثلة بالسير سدني سميث مكانة ممتازة عندما أقامته حكما مما يمكنه من مراقبة الانسحاب بكل دقة⁽²⁾، فضلاً عن ذلك فلما كان من الصعب على الحكومة البريطانية أن تنقض عملاً قام به أحد مسؤوليها لما في ذلك من الإساءة إلى سمعتها، وإضعاف الثقة بها والانتقاص من هيبتها أمام حلفائها وأعدائها على السواء، فقد اضطرت أخيراً إلى التراجع عن موقفها والموافقة على تنفيذ بنود الاتفاق⁽³⁾، لذا فقد أوعز وزير الخارجية البريطانية اللورد جرنفيل في الثامن والعشرين من آذار 1800 إلى اللورد الجين في أسطنبول بالعمل مع الحكومة العثمانية لإتمام الإجراءات الخاصة بانسحاب الجيش الفرنسي⁽⁴⁾، وفي الوقت ذاته صدرت أوامر الحكومة البريطانية إلى اللورد كيث Keith أحد قادة الأسطول البريطاني بإعلام السير سدني سميث قرار تراجع الحكومة البريطانية عن رفضها للمعاهدة⁽⁵⁾.

لكن الرفض جاء هذه المرة من الجانب الفرنسي، إذ فسّر الجنرال كليبر الأمر على أنه ((خدعة بريطانية جديدة))⁽⁶⁾ فحواها أن يسمح البريطانيون لجنوده بمغادرة مصر، فيطبق الأسطول البريطاني عليهم، ويعتقلهم كأسرى حرب⁽⁷⁾ و أعتقد كليبر أن زمام المبادرة باتت بيد الفرنسيين إثر انتصاره على الجيش العثماني في معركة هيليو بوليس "عين شمس" (helluy Boles) في العشرين من آذار 1800⁽⁸⁾، فضلاً

(1) شكري : الحملة الفرنسية، ص202.

(2) نصت المادة الثالثة من المعاهدة بأنه لحل أي خلاف قد ينشأ أثناء الانسحاب بين الفرنسيين والعثمانيين فلا بد من الرجوع إلى السير سدني سميث.

(3) خوري ، المصدر السابق، ص160.

(4) شكري، الحملة الفرنسية...، ص202 ؛ كرستوفر، المصدر السابق، ص367.

(5) Ghorbal , Op . Cit , p117.

(6) نقلاً عن : الطعمة، المصدر السابق، ص99.

(7) خوري ، المصدر السابق، ص161.

(8) Renouf. V. A, Outlines of General History,(London, 1910), P. 372.

لمصر

عن سيطرته علالأوضاع الداخلية عن طريق إتفاق وقعه مع المماليك في الخامس من نيسان 1800 أنهى حالة الصراع بين الطرفين، وتعهد فيه المماليك بتقديم المساعدات للجيش الفرنسي عند الحاجة⁽¹⁾ ثم اخماده ثورة القاهرة الثانية في الثامن عشر من نيسان 1800⁽²⁾ فكتب الى الجنرال لانوس Lanos أحد ضباط الحملة في الثامن والعشرين من نيسان قائلاً ((إن الأخبار التي حملها إلينا اللورد كيث دون خجل أو حياء قليلة القيمة بعد الانتصارات التي أحرزناها...))⁽³⁾.

وبناء على ذلك فقد أدركت الحكومة البريطانية أن تحقيق شروط الصلح بين فرنسا وبريطانيا رهن بما يتمخض عنه أمتحان قوتها في شرق المتوسط من نتائج، لاسيما وأن متغيرات أخرى أخذ يشهدها الموقف الدولي، حتمت على الحكومة البريطانية أن تجري تعديلات على خطتها أزاء الصراع العثماني - الفرنسي، ثم القيام بعمليات مشتركة مع العثمانيين.

ثانياً. العمليات البريطانية - العثمانية المشتركة وأجلاء الفرنسيين عن مصر:

سبقت الإشارة الى أن الحكومة البريطانية قد أكدت على أن يترك للعثمانيين وحدهم مهمة تحطيم القوات الفرنسية المتواجدة في مصر، بينما يكرس البريطانيون جهودهم لتقديم مساعدات ثانوية لتخفيف بعض الضغط الذي قد يتعرض له الجيش العثماني، وأستمر البريطانيون بهذه الفكرة التي دافع عنها رئيس الوزراء البريطاني ولیم بت الى مابعد معركة هيليوبوليس.

كان ولیم بت يستند في دفاعه الى مجموعة من الحقائق التي تتمحور كلها في مسألة واحدة مفادها، أن الأساطيل البريطانية تطبق حصارها بشكل جيد على القوات الفرنسية في مصر، وهذا بحد ذاته كفيلاً بمساعدة العثمانيين للقضاء عليها، بعد الأخذ بالحسبان عدم قدرة الفرنسيين على إيصال اية امدادات، فمن جانب فإن الأسطول البريطاني هو المتحكم الوحيد بطريق رأس الرجاء الصالح، بعد سيطرته على

(1) للأطلاع على نص الاتفاق يراجع: الجبرتي، عجائب الآثار ج4، الملحق رقم (19) ص449-452.

(2) عن ثورة القاهرة الثانية يراجع: شارویم بك، ميخائيل، الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث، ج3، (مطبعة بولاق، القاهرة، 1898)، ص251-260؛ الجبرتي، عبدالرحمن، مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين (يوميات الجبرتي)، ج2، (دار المعارف، القاهرة، د.ت)، ص24-49.

(3) نقلاً عن: شكري، الحملة الفرنسية...، ص214.

لمصر

مستعمرة الكاب، ومن جانب آخر فلا يزال الأسطول البريطاني يحقق أرجحيته في المتوسط بعد انتصاره البحري في أبي قير، بل وحتى المركز الفرنسي الوحيد في المتوسط المتمثل بجزيرة مالطة، قد أعياها حصار الأسطول البريطاني، وهي على وشك الاستسلام، الأمر الذي ضمن معه البريطانيون عدم وصول أية إمدادات من فرنسا الى مصر عبر هذين المحورين⁽¹⁾.

أما على محور البحر الأحمر، فقد استقر رأي حكومة بومباي على إبقاء اسطول الأميرال جون بلانكت مرابطاً في ذلك البحر، طالما أنه قادرٌ على أن يؤدي مهمته بشكل كامل في السيطرة على مدخل ذلك البحر⁽²⁾، كما استطاع جون بلانكت ان يجتمع مع شريف مكة في حزيران 1800 ونجح في إقناعه بالأمتناع عن قبول او تقديم أية مساعدة للفرنسيين وبالتزام الجانب البريطاني، وكتب بلانكت الى حكومته ((جرى بيننا حديث في غاية الود، وأنتي استطيع ان أعتبر الشريف منذ هذا الوقت من أصدقائنا، أن نفوذه كبير وصداقته ذات قيمة كبيرة لنا))⁽³⁾، وبذلك يمكن القول بأنه قد قضي على أية بارقة أمل في وصول أية إمدادات للجيش الفرنسي المرابط في مصر بنجاح البريطانيون في إقفال جميع المنافذ البحرية المؤدية إليها .

ومما يجدر ذكره أن فكرة بت هذه قد جوبهت بمعارضة شديدة من قبل بعض السياسيين والعسكريين الذين اعتقدوا بأنه من الخطأ ترك العثمانيين يواجهون لوحدهم حسم مسألة الوجود الفرنسي في مصر، وأختلفوا مع بت في عدّ أمر الحملة منتهياً أثر الخسارة التي تعرض لها الأسطول الفرنسي في أبي قير عام 1798، أو حتى بتخلي نابليون عن حملته وعودته الى باريس في عام 1799⁽⁴⁾، فكتب هنري دونداس إلى بت في تشرين الثاني 1800 قائلاً ((يتعذر عليّ اعتبار الحملة منتهية إذا كان الفرنسيون لا يزالون محتفظين بجيش كبير في مصر))⁽⁵⁾ أما سديني سميث فقد أكد

(1) شكري، الحملة الفرنسية...، ص390.

(2) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص80.

(3) نقلاً عن: العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص97.

(4) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص80.

(5) نقلاً عن : شكري، الحملة الفرنسية...، ص393 ؛ وللوقوف على آراء دونداس حول الحملة يراجع:

العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص91 - 92.

لمصر

((أن نابليون لن يترك مصر وشأنها، وأنه سوف يرسل النجيدات لها بكل السبل))⁽¹⁾، والواقع فأن سدني سميث كان دقيقاً في تقديره للموقف، إذ قديم إلى لندن في مطلع كانون الثاني 1800 المندوب الفرنسي اوتو Otto للتفاوض نيابة عن نابليون مع الحكومة البريطانية، حاملاً معه أفكاراً لا تتم عن نية الفرنسيين بالتخلي عن المكاسب التي حصلوا عليها في مصر، وإذا ما حصل ذلك فالأمر مرهون بحصولهم على تعويضات مجزية، إذ اقترح اوتو عقد هدنة بين الطرفين تتضمن حرية الملاحة للسفن التجارية والحربية، بهدف إتاحة الفرصة لنقل الإمدادات الى مالطة والأسكندرية، تطبيقاً للقاعدة التي كان يجري العمل بها لتزويد المواقع التي كان يحاصرها الجيش الفرنسي في المانيا مثل (فيليبسبورغ Philipsbourg) و (أولم Ulm) و (أنجلوشتاد Inglostad)، غير أنه لم يكن من اليسير على الحكومة البريطانية القبول بوجهة النظر الفرنسية لما تنطوي عليه من دلائل عن مدى تشبث نابليون بمصر⁽²⁾.

ومما عزز موقف المعارضين لسياسة بت، هي المتغيرات الجديدة التي تنوعت بين ماشهده الساحة المصرية من تطورات في الفترة التي أعقبت معركة هيلوبوليس، وأتطورات أخذ يشهدها الموقف الدولي، فكان لها بمجملها أبرز الأثر في دفع وليم بت لإجراء تغييرات جوهرية في خطته، بل في قلب خطته رأساً على عقب بجعلها قائمة بدلاً من عدم التدخل الى التدخل المباشر وإرسال ثلاث حملات الى مصر لتتشارك مع العثمانيين في طرد الفرنسيين.

أما تطورات الساحة المصرية فتتمثل بإغتيال الجنرال كليبر في الرابع عشر من حزيران 1800⁽³⁾ الامر الذي قضى على أية بارقة أمل في التفاوض حول الانسحاب السلمي⁽⁴⁾ وتأكد هذا الأمر بوصول الجنرال منو Meno إلى قيادة الحملة،

(1) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص80.

(2) نقلاً عن : شكري، الحملة الفرنسية...، ص381.

(3) Ghorbal , Op. ,Cit., , P. 119 .

(4) لم يكن رفض كليبر للمفاوضات والذي سبقت الإشارة اليه، سوى انعكاساً لحالة الغضب التي اعترته نتيجة موقف البريطانيين في تعطيل معاهدة العريش، ثم موافقتهم عليها بعد اخلاء الفرنسيين لعدد من مواقعهم، وقد ظل كليبر لا يثق بنوايا البريطانيين الى نهاية أمره، وعليه فأن رفضه للمفاوضات كان يقتصر فيما إذا كانت مع البريطانيين، أما آراءه حول الجلاء فبقيت ثابتة، أي بأستحالة بقاء الحملة في مصر، ولهذا فقد كان الحل برأيه أن يمم وجهه نحو العثمانيين لفتح قنوات جديدة للتفاوض معهم، إلا ان

لمصر

وكان من أشد الناقمين على اتفاقية العريش، وأحد أشد الرافضين لمسألة تخلي فرنسا عن مصر⁽¹⁾، ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى رسالتين متبادلتين بين الجنرال كليبر والجنرال منو تظهران بشكل جلي وواضح نمط تفكير كل منهما حول مستقبل الحملة، ويعود تأريخ هاتين الرسالتين إلى ما بعد انتصار كليبر في هيلوبوليس، إذ كتب إليه الجنرال منو قائلاً ((إذا كان اتفاق التسليم الموقع في العريش في رأيي خطأ سياسياً، فإن النصر الباهر الذي حققته، وإعادة فتح مصر الذي أنجزته يكلانك بالمجد، ليس لي أيها الجنرال من أمنية سوى مشاركتك مجدك وجهادك ... فاذكر من أنت تصبح مؤسس مستعمرة عظيمة))⁽²⁾، فجاء جواب الجنرال كليبر ساخطاً بقوله ((وصلني كتابك أيها الجنرال، ودهشت لما جاء فيه مما يخالف تفكيري ونظري إلى الأمور، فلا اتفاق العريش كان خطأ سياسياً، ولا النصر الذي أحرزته في هيلوبوليس كان مما يسكر صاحبه ويدفعه للغرور، وما زلت مؤمناً إيماناً عميقاً بأنني إذ وضعت اتفاق العريش وجدت حلاً معقولاً ونهاية مشرفة لمغامره جنونية، ويني أننا نكون مخطئين إذا عللنا أنفسنا بوصول نجدات الينا، أو بإمكان إنشاء مستعمرة في مصر، مادامت الحرب قائمة، إلا إذا قبلت النخلة وشجرة القطن أن تثمرا جنوداً ورصاصاً، وعلى كل حال فليكن كتابي هذا خاتمة نقاشنا السياسي، إن وجهك أيها الجنرال يتجه صوب الشرق أما وجهي فنحو الغرب ولن نلتقي أبداً))⁽³⁾.

يتضح مما تقدم أن تعيين الجنرال منو قد قطع اية فرصة لأنسحاب فرنسي سريع من الأراضي المصرية، لاسيما بعد أن ترجم هذه العقائد الثابتة لديه بشكل عملي ورفض الدعوة التي تقدم بها البريطانيون للمفاوضات رفضاً قاطعاً⁽⁴⁾ الأمر الذي حتم على اصحاب القرار السياسي في لندن مراجعة حساباتهم بخصوص فكرة بت.

وفاته حالت دون تحقيق ما كان يرنوا إليه، شكري، الحملة الفرنسية ...، ص 211 - 225 ؛ طقوش، المصدر السابق، ص 318 .

(1) غرايية، عبد الكريم محمود، تاريخ العرب الحديث، (المطبعة الأهلية للنشر، بيروت، 1984)، ص 70؛ يحيى، مصر الحديثة...، ص 387 - 389 .

(2) نقلاً عن: كرستوفر، المصدر السابق، ص 268.

(3) نقلاً عن: خوري، المصدر السابق، ص 158 - 159 .

(4) شكري، الحملة الفرنسية...، ص 233 .

لمصر

وفضلاً عن هذه المتغيرات، فقد حدثت تغيرات في مواقف الدول الأوروبية التي شكلت ما عرف بالتحالف الدولي الثاني، إذ تمكن نابليون من إلحاق الهزيمة بالنمساويين في معركة مارنجو Marengo في الرابع عشر من حزيران 1800، فأضطرت النمسا إلى عقد الهدنة في الثامن والعشرين من تموز، الأمر الذي مهد لخروجها من التحالف الدولي المناهض لفرنسا⁽¹⁾، وأزاح جانباً أساسياً من الضغط العسكري الذي كان يعاني منه نابليون على الساحة الأوروبية، وتمكينه من التوجه بزخمه الحربي لانقاذ حملته في مصر⁽²⁾.

والأهم من تغير الموقف النمساوي هو التغيير الذي طرأ على الموقف الروسي، وكما شهد به نابليون نفسه فيما بعد إلى تاليران في رسالة كتبها للأخير في العشرين من كانون الثاني 1801 قائلاً له فيها ((إن السلام مع النمسا لا توازي أهميته شيئاً في جانب التحالف مع روسيا))⁽³⁾، فقد تخلى الروس عن التزاماتهم تجاه حلفائهم البريطانيين والعثمانيين بالتفاهم مع الفرنسيين⁽⁴⁾ وقد أسفر ذلك التفاهم عن توقيع ما عرف بعصبة الحياد المسلح في الثاني من كانون الأول 1800⁽⁵⁾ ولا يقل عن تأثير ذلك ما أسفر عنه الخلاف العثماني – الروسي حول الجزر الأيونية من

(1) Robeinson .J .H . and Others, A General History of Europe , part II , Recent European History , (Boston , 1926) , P. 454 .

وللإطلاع على البنود التمهيدية التي تضمنها نص الهدنة يراجع :

Preliminary Articles of Peace between Austria and France, 28 July 1800. Quoted in: The Consolidated Treaty Series , Vol 55 , PP. 261 -263 .

(2) العابد، هل استهدفت الحملة الفرنسية غزو الهند ...، ص129 .

(3) نقلاً عن: شكري، الحملة الفرنسية ...، ص378 .

(4) ان جذور التفاهم الفرنسي – الروسي تعود إلى اللحظة التي كان فيها القائد الروسي سوفوروف يقاتل على الأراضي السويسرية، إذ ترك النمساويون جيشاً روسياً محاصراً من قبل الفرنسيين على تلك الأراضي، مما حتم على القائد الروسي سوفوروف أن يندفع لأنقاذ ذلك الجيش، لكنه بعد وصوله وجد بأن الجيش قد تحطم، مما جعله يعتقد بأن النمساويين قد خانوه، فأدت هذه العملية إلى التراخي في العلاقات النمساوية – الروسية، وفي محاولة من نابليون لاستغلال هذا التراخي وأحداث تقارب مع الروس فقد أقدم على إطلاق سراح الأسرى الروس الذين أسره في المعارك السابقة.

Duffy , Op., Cit., , P. 229 – 231 .

(5) شكل القيصر بول الأول بالأشتراك مع الدنمارك والسويد وبروسيا عصبة الحياد المسلح، لحماية حقوق المحايدين والأضرار ببريطانيا بشكل خاص، فكانت هذه العصبة نقطة الضعف في درع بريطانيا. فشر، تاريخ أوروبا الحديث ...، ص63.

المصر

أحداث فجوة في العلاقات العثمانية الروسية⁽¹⁾ ثم إذا كان انتزاع البريطانيين لمالطة من الفرنسيين في الخامس من أيلول 1800⁽²⁾ جاء معزراً في أحد جوانب لموقف الحكومة البريطانية في مفاوضاتها مع المندوب الفرنسي أوتو، إذ منحها القدرة على رفض مطالب بعثته⁽³⁾، ففي الجانب الآخر كانت بمثابة الضربة القاضية للعلاقات البريطانية - الروسية⁽⁴⁾ إذ أصدر القيصر الروسي بول الأول (pull I) في أيلول 1800 أمراً حضر بموجبة دخول السفن والبضائع البريطانية إلى المياه والموانئ

(1) سبقت الإشارة إلى أن الأسطولين الروسي والعثماني عبرا المضائق سوية لشن هجوم مشترك على الجزر الأيونية التي أحتلها الفرنسيون، وقد أسفر الهجوم عن طرد الفرنسيين منها، لكن سرعان ما دب الخلاف بين الروس الذين حاولوا مد نفوذهم من هذه الجزر إلى بحر الأدرياتيك وبين العثمانيين الذين أخذوا يعارضون هذه النوايا، وقد أنتهى الطرفين إلى توقيع اتفاقية في الحادي والعشرين من آذار 1800، أصبحت هذه الجزر بموجبها جمهورية تحت سيادة الباب العالي وتحت الحماية الروسية وأصبحت تسمى جمهورية الجزر السبع.

Shaw, Op. , Cit., Vol. I , P. 269 ; Crawly, Op. , Cit., , P. 545; Miller, Op. Cit., P. 40;

التكريتي، المسألة الشرقية...، ص53.

وللاطلاع على نص الاتفاقية يراجع:

Convention between Russia and Turkey , 21 , March 1800. Quoted in: The consolidated treaty series , Vol. , 55, PP. 169 -187.

لكن هذه الاتفاقية لم تحسم الخلاف العثماني الروسي، فقد أخذ الروس يحاولون تفعيل اتفاقية الثالث والعشرين من كانون الأول 1798، والتي تسمح لهم بالمرور عبر المضائق إلى هذه الجزر التي وضعتها معاهدة عام 1800 تحت حمايتها، وهذا ما كانت الدولة العثمانية ترفضه على الدوام، وإذا سبق وأن سمحت به فبسبب صراعها ضد فرنسا أما وقد تقارب الروس والفرنسيين فقد ضلّت هذه الجزر بؤرة توتر حساسة في العلاقات العثمانية الروسية.

Anderson , The Eastern Question, PP. 30-31.

(2) من ضمن ماتضمنته اتفاقية تسليم مالطة تعهد البريطانيون بالانسحاب منها وتسليمها لأصحابها الشرعيين فرسان القديس يوحنا الخاضعين لحماية القيصر الروسي. للاطلاع على نصوص الاتفاقية يراجع:

Articles of Capitulation between France and Great Britain, 5 September, 1800, cited in: the Consolidated Treaty Series, Vol. 55, PP. 309 -314.

(3) لمزيد من التفاصيل حول بعثة أوتو يراجع: شكري، الحملة الفرنسية...، ص382-386.

(4) تخلى البريطانيون عن التزاماتهم ورفضوا الانسحاب من مالطة. التكريتي، المسألة الشرقية...، ص54؛ خوري ، المصدر السابق، ص174.

لمصر

الروسية الأمر الذي أقلق الحكومة البريطانية⁽¹⁾، لاسيما وقد بدأ الحديث عن ما عرف بـ (المشروع الشرقي العظيم) الذي طرحه نابليون بهدف تهديد الوجود البريطاني في الهند بمساعدة روسيا⁽²⁾.

أدرك البريطانيون أن انعكاسات تغير موقف النمسا وروسيا سوف لن تنحصر فقط على الساحة الأوروبية، وإنما سترمي بضلالها وبشكل مباشر على الصراع الفرنسي – العثماني في مصر، وبمعنى آخر أنها ستدفع نابليون إلى التمسك بمصر، في وقت أثبت فيه العثمانيون عجزهم عن القيام لوحدهم بأي عمل عسكري ذي بال يخرج الفرنسيين من مصر⁽³⁾ لذا قرر مجلس الوزراء البريطاني بعد مناقشة لمذكرة قدمها وزير الحرب هنري دونداس في التاسع عشر من أيلول 1800 بخصوص الموقف في مصر، القيام بعمليات مشتركة مع الجيش العثماني لطرد الفرنسيين من هناك⁽⁴⁾.

عهدت الحكومة البريطانية إلى الجنرال رالف أبركرومبي R. Abercrombie قيادة الحملة المتوجهة إلى مصر عن طريق البحر المتوسط، وقد تلقى الجنرال رالف أبركرومبي تعليماته من وزير الحربية هنري دونداس في مطلع تشرين الثاني 1800 بالتوجه على رأس (15.000) مقاتل إلى أحد الموانئ المناسبة في قبرص أو كريت أو آسيا الصغرى، للتنسيق مع قيادة الجيش العثماني والهجوم على الإسكندرية، وقد قدر دونداس عدد القوات الفرنسية في مصر بنحو (13.000) مقاتل، منهم (3000) في الإسكندرية بينما ظلت بقية قواتهم موزعة على السواحل المصرية وعلى الحدود مع بلاد الشام⁽⁵⁾.

(1) صالح، خليل إبراهيم، العلاقات البريطانية الإيرانية 1857-1907، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 1997، ص18.

(2) في الوقت الذي كان فيه الجيش الفرنسي محاصرا في مصر فقد بدأ نابليون يفكر بحملة جديدة تكون وجهتها الهند عن طريق إيران وبمشاركة روسية، ولتحقيق ذلك عقد نابليون أواخر عام 1800 معاهدة مع القيصر الروسي بول الأول نصت بنودها على اشتراك قوات بلديهما في الحملة المقررة.

Marriott, Op , Cit., P. 171;

أحمد، كمال مظهر، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، (بغداد، 1985)، ص29-30.

(3) شكري، الحملة الفرنسية...، ص393، 399، 400.

(4) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص84.

(5) Ghorbal , op , cit , p135.

المصر

أما في الهند فقد اعتقد اللورد ولزلي أن الانتصارات التي حققها الجيش الفرنسي في أوربا، سوف تدفع نابليون الى تعزيز قوته في الشرق، أما بتوجيه ضربة قوية ضد الوجود البريطاني في الهند، أو بالاستيلاء على منافذ البحر الأحمر⁽¹⁾ ولمواجهة الاحتمال الأول فقد أمر باتخاذ التدابير الاحترازية التي من شأنها عرقلة المشروع الفرنسي – الروسي الذي كان يقضي بتوجيه الضربة الى الهند عبر بلاد فارس⁽²⁾ أما أمام الاحتمال الثاني فقد أخذ يتشاور مع قادة الجيش البريطاني في الهند،

شكري، الحملة الفرنسية...، ص401.

(1) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص983 ؛ شكري، الحملة الفرنسية ...، ص398.

(2) في الوقت الذي بدأ فيه الحديث بين نابليون والقيصر الروسي لأرسال حملة الى الهند، فقد زاد من خطورة هذا المشروع أيضاً عودة العلاقات الودية بين فرنسا وبلاد فارس وكذلك بين فرنسا وعمان، وعليه فقد وجد اللورد ولزلي، بان الواجب يقضي القيام برد فعل يتناسب وخطورة هذا المشروع، ولتحقيق ذلك فقد أختار الكابتن جون مالكولم C. J. Malcolm مساعد المقيم السياسي البريطاني في حيدر اباد للاتصال بامام مسقط وشاه فارس للحيلولة دون نجاح أي اتصالات فرنسية – عمانية أو فرنسية – فارسية ومن خلال لقاء جمع بين مالكولم والامام سلطان بن أحمد في السابع عشر من كانون الثاني 1800 استطاع مالكولم أن يحصد موافقة الامام حول الاهداف التي أوفد من أجلها وتتنحصر بأبتعاد الامام عن الفرنسيين والسماح لممثل بريطاني بالأقامة في مسقط، وقد تعززت تلك الترتيبات باتفاقية تم توقيعها في الثامن عشر من كانون الثاني 1800. لتفاصيل حول بعثه مالكولم الى مسقط يراجع: أبو ياسين، المصدر السابق، ص34-36 ؛ العابد موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي ...، ص121-124. وللأطلاع على نص الاتفاقية يراجع:

Agreement between East India co. (Great Britain) and Oman 18 January 1800, Quoted in : The Consolidated Treaty Series , Vol. 55 , PP. 117-119 ;

أتجيسون، المصدر السابق، ص347-348.

وبعد نجاح مالكولم في مسقط فقد توجه الى طهران، ومن خلال لقائين في السادس عشر والثامن والعشرون من تشرين الثاني 1800، لمس مالكولم تجاوباً كبيراً من قبل الشاه الأمر الذي مكنه فيما بعد أي في الثامن والعشرين من كانون الثاني 1801 من أن يحصد اعترافاً رسمياً من الشاه بوقوفه الى جانب بريطانيا بموجب المعاهدة السياسية التي وقعت بين الطرفين . لتفاصيل أوسع عن الموضوع يراجع:

البديري، سياسة بريطانيا تجاه إيران، ص15-16؛

Sykes , Op . Cit , vol. 11 , pp. 299-300.

وللأطلاع على نص الاتفاقية يراجع:

لمصر

حول أمكانية إرسال حملة لتعزيز الموقف البريطاني في البحر الأحمر⁽¹⁾ ويبدو أن ولزلي، كان قد تأثر بما ورد في التقارير التي كتبها الضباط البريطانيون العاملون مع الجيش العثماني حول ضرورة قيام حكومة الهند، بإرسال حملة عسكرية الى البحر الأحمر بالتزامن مع شروع القوات البريطانية والعثمانية بمهاجمة الفرنسيين من جهة الشمال⁽²⁾.

كان في مقدمة أولئك الضباط الجنرال مورير Morier سكرتير السفارة البريطانية في اسطنبول، الذي سبق وأن أرسله السفير الى معسكر الصدر الأعظم يوسف ضياء باشا في يافا ليطلع عن كذب على أمكانيات وأستعدادات الجيش العثماني، فأمضى مورير ستة أشهر في مهمته من شباط -تموز 1800، فتوصل النقاعة مفادها أن من أجسم الأخطار الأعتماذ على الجيش العثماني لوحده في مسألة حسم الصراع مع الفرنسيين، حتى أنه شبه ذلك المعسكر ب ((السوق الكبير المكتضه بالباعة الذين يشاركونهم الجنود أنفسهم هذه المهنة، فيقصدُ تجار الخيل وغيرهم هذه السوق، وتعد بها الصفقات في مزادات علنية، كما تكثر المنتديات والمقاهي حتى أنعدم كل نظام في هذا المعسكر))⁽³⁾، فيما أشار الجنرال كوهلر الى ضرورة إرسال حملة من الهند الى البحر الأحمر، لتعزيز النشاط العسكري البريطاني في جنوب مصر، ولدعم عمليات الجيش العثماني والبريطاني على الحدود الشمالية⁽⁴⁾ ولقد بلغ تقرير الجنرال كوهلر من الأهمية بحيث عدّه المؤرخ الفرنسي شارل رو الأساس الذي بنى عليه العسكريون ورجال السياسة في لندن وكلكتا ويافا خططهم فيما بعد، كما أنه بمثابة حجر الزاوية الذي قامت عليه حملة عام 1801 التي انتهت بطرد الفرنسيين من مصر⁽⁵⁾.

Political Treaty between East India CO. (Great Britain) and Persia , Cited in: The Consolidated Treaty Series , vol , 55 , pp455-459.

(1) Ghorbal , Op . Cit , p134.

(2) Ibid., P. 132.

(3) شكري، الحملة الفرنسية...، ص 174، 396-397.

(4) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر ...، ص84.

(5) شكري الحملة الفرنسية ...، ص397.

لمصر

لم يقتصر الأمر على رغبة أولئك الضباط، بل أعرب عدد من المسؤولين البريطانيين سواء اكان في لندن مثل هنري دونداس أم في أسطنبول مثل اللورد الجين أو السير سدني سميث، عن تشجيعهم لفكرة إشراك النجيدات البريطانية الهندية في الحرب الدائرة في مصر⁽¹⁾ إذ كتب هنري دونداس الى ولزلي في السادس من تشرين الأول 1800 ينبئه رغبة حكومته بإرسال قوة مؤلفة من ثلاثة آلاف مقاتل، بينهم الفين من الهنود الى جهة البحر الأحمر⁽²⁾.

لقد شرع الأخير باعداد الحملة منتظراً صدور الأوامر من لندن لتحركها، وبعد انتظار دام قرابة الشهرين نفذ خلالهما صبر ولزلي بسبب عدم وصول الأوامر، لذا قرر في أواخر كانون الأول 1800 أن يأخذ على عاتقه مسؤولية الإيعاز الى بلانكت بالقيام ببعض الأعمال ضد الفرنسيين في البحر الأحمر، ومنها الاستيلاء على مينائي القصير والسويس لقطع الطرق بوجه أية امدادات فرنسية، وامداد البكوات المماليك الذين لم يدخلوا في اتفاقية مع الفرنسيين، بالأسلحة والذخائر بهدف أشاعة الفوضى والارتباك في صفوف الجيش الفرنسي، والانتظار حتى صدور الأوامر من لندن⁽³⁾.

لم تكتف الحكومة البريطانية بتجهيز هاتين الحملتين، بل قررت إرسال حملة ثالثة أسندت قيادتها الى الكومودور هوم بوبهام Commodore Home Popham، الذي أوكلت اليه مهمة نقل القوات البريطانية الموجودة في مستعمرة الكاب، ثم الالتحاق بوحدات أسطول الأميرال بلانكت⁽⁴⁾.

(1) Ghorbal , Op . Cit , P. 134.

(2) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر، ص 85 ؛

Ghorbal , Op . Cit., P. 135.

(3) شكري، الحملة الفرنسية ...، ص 398، 402.

(4) كانت المهمة الموكلة الى هوم بوبهام مهمة مزدوجة فعلاوة على تكليفه بنقل القوات الى البحر الأحمر، فقد توجب عليه أيضاً أحياء التجارة البريطانية في ذلك البحر، لاسيما تجارة البن اليمني، والتي تأثرت تأثراً كبيراً بسبب منافسة السفن الأمريكية، التي وصلت طلائعها ممثلة بالسفينة ريكوفري Recovry الى ميناء مخا في عام 1798، فأشترت السفن الأمريكية طيلة السنوات 1798-1801 كميات كبيرة من البن اليمني، ولعل من المناسب القول أيضاً بأن هوم بوبهام قد تأخر وصوله الى البحر الأحمر حتى أيار 1801 ؛ طه، المصدر السابق، ص 40-41 ؛ المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر ...، ص 87.

لمصر

وفي السادس من شباط 1801 وصلت الرسائل الرسمية من لندن الى كلكتا معلنة عن تحرك أسطول السير رالف أبركرومبي باتجاه المتوسط، ومطالبة الحاكم العام في الهند إرسال حملة الى البحر الأحمر، وعلى أثر ذلك تقدمت القوة الهندية بقيادة الجنرال ديفيد بيرد D. Baird غير أن هذه القوة تأخر وصولها الى مصر الى ما بعد أستسلام القاهرة بأربعين يوماً، فوقع عبء القتال على كاهل الجنرال رالف أبركرومبي⁽¹⁾.

نزلت حملة السير رالف أبركرومبي المؤلفة من 17.500 مقاتل والمحمولة على اسطول اللورد كيث الى منطقة مارموريس Marmoris شمال جزيرة رودس في التاسع والعشرين من كانون الأول 1800، وكان الجنرال أبركرومبي يبغي من وراء النزول في هذه المنطقة وعدم التوجه مباشرة الى الإسكندرية تحقيق عدد من الغايات، منها إعلام القيادة العثمانية بوصله، ثم إعطاء الوقت لوصول حملة البحر الأحمر للتنسيق معها، وأخيراً محاولة الإتفاق مع الصدر الأعظم بصدد الخطة التي يجب إتخاذها للعمل المشترك، وعليه فقد أرسل الجنرال أبركرومبي فور نزوله الجنرال جون مور J. Moor للإتفاق مع الصدر الأعظم يوسف ضياء باشا بصدد كل ذلك، وللوقوف من خلاله على تفاصيل الجيش العثماني⁽²⁾.

كان التقرير الذي قدمه السير جون مور بعد عودته في الثاني والعشرين من كانون الثاني 1801، يحمل أنباءً غير مطمئنة عن حالة الجيش العثماني، فعدده لا يتجاوز ثلاثة آلاف مقاتل، بالإضافة الى أن الفوضى بين جنوده والجهل بين قواده والنقص في سلاحه وذخيرته كانت أبرز سماته، فضلاً عن اعتماد القادة الأتراك على الخطط الدفاعية دون العمل على تحديثها بخطط هجومية تتلاءم مع جميع الإحتمالات⁽³⁾ فأدرك الجنرال أبركرومبي ضرورة ان يسقط من حسابه جيش الصدر الأعظم والاعتماد على قوته لحسم الأمور، لاسيما بعد أن وصلتته أخباراً عن تمكن الفرقاطتين الفرنسيتين ايجبسين Aegebsen ولاجوستيس Lagostess من الوصول الى الإسكندرية، وعرف ايضاً بأن اسطولاً فرنسياً قد دخل البحر المتوسط حاملاً جنداً

(1) Gavin , Op, Cit., P. 22 ; Ghorbal , Op , Cit., P. 136.

(2) يحيى، مصر الحديثة ...، ص499.

(3) كرستوفر، المصدر السابق، ص388.

لمصر

وإمدادات لجيش الشرق⁽¹⁾، وعليه فما ان تدارس الموقف مع المجلس الحربي في السابع عشر من شباط 1801، حتى أوعز الى اسطوله بالتحرك من مارموريس في الثالث والعشرين منه، واقترب من السواحل المصرية في مطلع آذار، وتمكن بأسطوله ان ينزل الهزيمة بالفرنسيين وأن يقوم بإنزال قواته في أبي قير في الثامن منه، وفي الوقت الذي أرسل فيه قوة حاصرت قلعتها حتى اضطرتها الى التسليم في العشرين من الشهر ذاته⁽²⁾، فقد استأنف الجنرال رالف ابركرومبي زحفه باتجاه الإسكندرية، وأستطاعت قوته في معركة نيكوبوليس Necopolis في الثالث من آذار تحطيم أحد أهم خطوط دفاعات الجيش الفرنسي بإستيلائها على منطقة معسكر قيصر، التي كانت تتركز فيها خطوط المدفعية الفرنسية⁽³⁾.

نتيجة لتخوف القائد الفرنسي العام الجنرال منو، الذي وصل الى الإسكندرية في العشرين من آذار من زحف العثمانيين من جهة الشرق، ووصول حملة الهند من جهة الجنوب، قبل أن يكون هو قد أجهز على قوة الجنرال رالف ابركرومبي، فقد قرر بعد اجتماعه بمجلسه الحربي، أخذ زمام المبادرة ومهاجمة البريطانيين، ففي الحادي والعشرين من آذار 1801 دارت المعركة الحاسمة قرب كانوب Canop وانتهت بانتصار البريطانيين ومحاصرتهم للإسكندرية⁽⁴⁾.

وبعد أربعة أيام من هذا الانتصار أي في الخامس والعشرين من آذار، أنزل القبطان حسين باشا قوة عثمانية تقدر بستة آلاف انكشاري في أبي قير، سهلت على الجنرال هتشنسون Hutchinson⁽⁵⁾ أمر الزحف على رشيد والسيطرة عليها في الثاني من نيسان⁽⁶⁾.

بعد دراسة للموقف العسكري، أدرك الجنرال هتشنسون بأن استحکامات الفرنسيين في الإسكندرية ليست بدرجة من الضعف الذي يسهل معه أختراقها، وإنه

(1) يحيى، مصر الحديثة ...، ص 497 - 498 .

(2) Vaujany , Op . Cit , p 372 ; Ghorbal , Op . Cit p136 .

(3) شكري، الحملة الفرنسية...، ص 409 - 411 ؛

www.touregipt.net

(4) Ghorbal . Op . Cit . p136 -137; Vaujany , Op . Cit , p 373 .

(5) تولى القيادة على أثر إصابة الجنرال رالف ابركرومبي في معركة كانوب .

(6) كرستوفر، المصدر السابق، ص 392؛ يحيى، مصر الحديثة...، ص 505 .

لمصر

من الأفضل استغلال عامل الوقت للهجوم على القاهرة، مع تشديد الحصار على الإسكندرية، بقطع كافة الطرق المؤدية إليها، وقد تضافرت أسباب أخرى اقنعت الجنرال بهذا الرأي، منها أن الأميرال كيث كان يعتزم المغادرة الى رودس بعد مدة قليلة لحاجة بعض سفنه الى الترميم والإصلاح، مما كان يعني حرمان الجنرال هتشنسون من الإمدادات والذخائر اذا لم يستعجل بالهجوم على القاهرة، أضف الى هذا إنه كان حريصاً على الإستفادة من الثمار المعنوية للانتصارات البريطانية السابقة، وأن الوقوف طويلاً أمام تحصينات الإسكندرية من شأنه أن يذهب بأثر تلك الثمار(1).

بدأت أولى خطوات هتشنسون بالتحرك على القاهرة، بقوة بريطانية – عثمانية مشتركة زحفت على الرحمانية في الرابع عشر من آيار، في خطوة قصد منها قطع الإتصالات بين الإسكندرية والقاهرة، وفي التاسع عشر من آيار، دخل الجنرال هتشنسون الى الرحمانية بعد أن اخلاها الفرنسيون وانسحبوا إلى القاهرة، ثم أستأنف زحفه على الأخيرة عبر الضفة الغربية للنيل(2).

في غضون ذلك، فقد تمكن الجيش العثماني البالغ نحو (15000) مقاتل(3)، بقيادة الصدر الأعظم يوسف ضياء باشا من عبور الحدود السورية، والإستيلاء على دمياط في الثامن والعشرين من نيسان، والصالحية في الرابع عشر من آيار 1801، ثم طور هجومه بالزحف على القاهرة عبر الضفة الشرقية للنيل(4).

(1) شكري، الحملة الفرنسية...، ص 446 – 447؛

Ghorbal , Op . Cit , 137 ;

(2) Ghorbal, Op. Cit., P. 137;

(3) ازداد عدد جيش الصدر الأعظم بعد أن أرسل الجزار باشا والى عكا نجدات جديدة اليه، كما أن حالة الفوضى زالت منه بعد أن ضم البريطانيون اليه نخبة من ضباطهم، فكان مع الصدر الأعظم يوسف ضياء باشا الكولونيل هالوي Hallowy، ومع فرسان طاهر باشا الكابتن ليك Leake ومع مشاة محمد باشا الكابتن لاسي Lacey وعلى ذلك بدأ الصدر الأعظم زحفه في الثاني عشر من آذار، لكن رداءة الطقس حالت دون تقدمه بالسرعة المطلوبة فبلغ العثمانيون العريش في أواخر شهر آذار، وفي التاسع عشر من نيسان وصل الجيش العثماني الى قطية، ثم أندفع باتجاه دمياط، للتفاصيل يراجع : الجبرتي، عجائب الآثار ...، ج4، ص 570 – 571 .

(4) يحيى، المجلد في تاريخ مصر...، ص 392.

لمصر

وفي السادس عشر من أيار 1801 دارت رحى المعركة الفاصلة والتي عرفت بمعركة الزوامل، وتكبد فيها الفرنسيون خسائر كبيرة، اضطر معها القائد الفرنسي الجنرال بليار Belliar الى الاستسلام⁽¹⁾، وأعلن عن نيته تسليم القاهرة لاسيما بعد أن تعزز الموقف العسكري لخصومه بانضمام جيش المماليك الى القوات المشتركة⁽²⁾.

بدأت مفاوضات تسليم القاهرة في الثاني والعشرين من حزيران 1801، مثل فيها الجانب البريطاني والعثماني الجنرال هتشنسون والصدر الأعظم يوسف ضياء، بينما مثل الجانب الفرنسي الجنرال بليار، وفي السابع والعشرين من حزيران تم التوقيع على شروط تسليم القاهرة، التي لا تختلف في جوهرها عما تضمنته معاهدة العريش، وأهم ما تضمنه الاتفاق الجديد هو الجلاء في مدة لا تتجاوز خمسين يوماً، ابتداءً من تاريخ تصديق المعاهدة، وأن يكون جلاء الفرنسيين بكامل اسلحتهم وذخائرهم مع تعهد الحكومتين البريطانية والعثمانية بتوفير السفن اللازمة لنقلهم⁽³⁾، غير أن جلاء القوات الفرنسية لم يبدأ عملياً إلا في العاشر من تموز⁽⁴⁾.

وما تجدر الإشارة إليه إن حملة البحر الأحمر بقيادة الجنرال ديفيد بيرد، بعد أن أحكمت سيطرتها في أيار 1801 على القصير والسويس، أستأنفت زحفها باتجاه القاهرة، ووصلتها في العاشر من آب أي بعد ستة اسابيع من استسلام هذه المدينة للقوات البريطانية والعثمانية⁽⁵⁾.

(1) Ghorbal, Op . Cit , 137-138; Vaujany , Op .Cit , p374 .

(2) يتمثل ذلك بأنضمام عثمان بك الطنبورجي، في الثامن والعشرين من أيار مع 1500 من فرسان المماليك.

Vaujany , Op .Cit , p374.

(3) للتفاصيل حول مفاوضات التسليم يراجع: شكري، الحملة الفرنسية...، ص 499 – 506. وللأطلاع على نصوص الاتفاق تسليم القاهرة يراجع:

Convention between France and Great Britain and Turkey for the Evacuation of Egypt , 27 June 1801 , cited in : The Consolidated Treaty Series , Vol 56 , pp 153 – 159 .

الجبرتي، عجائب الآثار...، ج4، ص 636 – 640 .

(4) يحيى، مصر الحديثة...، ص 511 .

(5) كيلى، المصدر السابق، ص 114؛ العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص 135 – 136.

لمصر

كان لأستسلام الجنرال بليار وتسليمه القاهرة، انعكاسات خطيرة على الموقف العسكري للقوات الفرنسية المحاصرة في الاسكندرية بقيادة الجنرال منو ، إذ ساهم ذلك في تفرغ القوات البريطانية والعثمانية من القاهرة، وزجها في تعزيز قوات الجنرال كوت Koot التي تولت حصار الإسكندرية⁽¹⁾، و ان قوات البحر الأحمر إذا كان وصولها قد تأخر عن حصار القاهرة، فإنه جاء في الوقت المناسب لتشديد الضغط على الإسكندرية⁽²⁾، وان الإمدادات البريطانية التي توالى وصولها حينذاك أصبحت مركزة لإسناد محور واحد بدل تشتيتها على محاور متعددة، مما عزز الموقف العسكري للقوات المشتركة، ففي الخامس من تموز وصلت الفرقاطة البريطانية ليدا Leda بالقرب من الإسكندرية محملة بالذخائر والجنود، أعقبها دخول الفرقاطة اكتيف Active في الثامن من تموز الى المياه المصرية حاملة عدداً إضافياً من المقاتلين، وبعد مضي أسبوع فقط وصل اسطول من السفن المحملة بالسلح والذخائر والجنود من جزيرة مينورقة Minorca، وبحلول منتصف تموز كان عدد القوات البريطانية التي حاصرت الأسكندرية نحو (16000) ألف مقاتل⁽³⁾

وعلى الرغم من كل هذه الإستعدادات البريطانية، إلا ان الجنرال منو ظل رافضاً لمبدأ التسليم لأعتقاده المفرط بأن نابليون سوف يعمل جاهداً من أجل إرسال الإمدادات والذخائر إليه، ولما لم يتحقق شيء من ذلك⁽⁴⁾ وبعد ان ضعفت قدرة

(1) شكري، الحملة الفرنسية ...، ص 511 .

(2) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر ...، ص 85 .

(3) شكري، الحملة الفرنسية ...، ص 527 .

(4) يعود سبب فشل نابليون في إرسال المساعدات الى أمرين رئيسيين احدهما مرتبط بالآخر، أولهما ان الأمل الذي كان نابليون يعقده على عصبة الحياد المسلح بأنها سوف تؤدي الى اشغال قسم من الأسطول البريطاني في بحر البلطيق لمحاربة سفن العصابة، مما يوهن نتيجة ذلك القوة البحرية البريطانية في المتوسط ويضعف أمر مراقبتها للسفن الفرنسية، لم يتحقق شيء منه بعد أن سارعت بريطانيا بضربتها الخاطفة للعاصمة الدنماركية وتحطيمها للأسطول الدنماركي في الثاني من نيسان 1801.

Bryant .Arthur, The years of Endurance 1793 – 1802,(London, 1944), PP. 322-323.

فأنتهى بذلك أي أمل علقه نابليون على العصابة، لاسيما وأنه قبل ذلك بخمسة اسابيع كانت يد البريطانيون قد امتدت وأغتالت القصر بول الأول ليلة 11 / 12 آذار 1801، أحمد، كمال مظهر دراسات في تاريخ ايران ...، ص 30 . أما الأمر الثاني فهو نتيجة للأمر الأول، فأن تحطم العصابة في وقت مبكر ادى الى ابقاء الأساطيل البريطانية تفرض هيمنتها على المتوسط، ولهذا فقد فشل الأميرال الفرنسي غانتوم

لمصر

الفرنسيين على المطاولة، اضطر الجنرال منو الى الإستسلام في الثلاثين من آب 1801، وبشروط لا ترقى الى مثيلتها التي وقعها الجنرال بليار، وتتمثل تلك الشروط بجلاء قوات الجنرال منو في مدة اقصاها عشرة أيام من تاريخ التصديق على الاتفاق الذي حدد بالثاني من ايلول، فضلاً عن تسليم جميع السفن الفرنسية الموجودة في ميناء الإسكندرية، على ان يتم نقل الجيش الفرنسي على سفن بريطانية وعثمانية بكامل اسلحتهم وأمتعتهم، وعشرة مدافع فقط . وتسليم مازاد عن هذا العدد للبريطانيين والعثمانيين⁽¹⁾ وعلى أثر ذلك شرع الجيش الفرنسي بالجلاء ابتداءً من الرابع عشر من أيلول 1801⁽²⁾.

عدَّ المؤرخ الفرنسي شارل رو الجهود العسكرية البريطانية التي بذلت لأجل هذا التسليم بأنها ((آخر جهد حربي أستطاع الأنكليز أن يبذلوه لأخراج الفرنسيين من هذه البلاد، قبل أن يعقد الصلح بين فرنسا وإنكلترا))⁽³⁾.

وفي الأول من تشرين الأول 1801 وقعت في لندن مقدمات الصلح بين بريطانيا وفرنسا على أساس إرجاع مصر إلى الباب العالي، وضمان أملاك الدولة العثمانية وسلامة أراضيها، كما كانت قبل الغزو الفرنسي⁽⁴⁾ وفي التاسع من تشرين

Gantom بإيصال الأمدادات الى الأسكندرية في ثلاث محاولات كانت آخرها في حزيران 1801 التي وصل فيها على مقربة من السواحل الليبية، لكنه اضطر للانسحاب بعد أكتشاف الأسطول البريطاني له، عن تلك المحاولات يراجع : الجبرتي، عجائب الآثار ...، ج4، ص563 ؛ كرسنوفر، المصدر السابق ...، ص388 – 389 .

(1) للأطلاع على نصوص اتفاق تسليم الأسكندرية يراجع :

Capitulation between France and Great Britain and Turkey, 30, August 1801, Quoted in : The Consolidated Treaty Series , Vol 56, PP. 197 – 204 .

(2) للتفاصيل حول الجلاء الفرنسي يراجع :

Ghorbal , Op . Cit . P. 140 – 154 .

(3) نقلاً عن : المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر ...، ص86 .

(4) للأطلاع على نصوص المقدمات يراجع :

Preliminary Articles of peace between France and Great Britain 1 October 1801

, cited in : The Consolidated Treat Series , Vol 56 , pp 211- 216 .

لمصر

الأول 1801 وقع كل من وزير الخارجية الفرنسي تاليران، والسفير العثماني في باريس علي افندي على معاهدة اعادت العلاقات بين البلدين الى سابق عهدها⁽¹⁾.

بعد انتهاء العمليات الحربية، وجلاء الفرنسيين عن مصر، كان يتوجب على البريطانيين أيضاً سحب قواتهم من هناك لانتفاء مبررات وجودها، بيد أنهم أخذوا يماطلون في ذلك بذريعة أن اللورد الجين سفير بريطانيا في اسطنبول، كان قد أضاف شرطاً ملحقاً بمعاهدة التحالف البريطانية – العثمانية لعام 1799، نص على أن ((الجيش البريطاني لا يجلو عن مصر إلا بعد استتباب الأمن في ربوعها))⁽²⁾.

وذكرت بعض الدراسات إن هذا الموقف البريطاني قد ارتبط بتبني البريطانيين لخطّة استراتيجية دفاعية تحول دون تكرار الحملة الفرنسية، فبريطانيا قد لا يعينها مباشرة السيطرة على مصر، ولكنها لا تستطيع في الوقت ذاته أن تنظر بعين الإرتياح تجاه أية محاولة تقوم بها دولة أخرى لتهديد هذه المنطقة، أو إستخدامها للإضرار بمصالحها في الشرق⁽³⁾.

ولما كانت سياسة بريطانيا قائمة على اساس هذا الأستنتاج، فإنها- عاجلاً أم آجلاً- سوف تتقاطع مع سياسة الباب العالي الرامية الى استعادة مصر تحت السيادة العثمانية المباشرة، الأمر الذي يثير عدة تساؤلات لعل من أبرزها الى أي مدى سوف يؤثر الوجود البريطاني في مصر على العلاقات البريطانية – العثمانية ؟ وهل سوف يبقى الفرنسيون صامتين دون ان يتركوا بصماتهم الدبلوماسية على موقف الحكومة

(1) للأطلاع على نص المعاهدة الفرنسية – العثمانية يراجع :

Preliminary Articles of peace between France and Turkey 9 October 1801, cited in : The Consolidated Treaty Series, Vol 56, PP. 227 - 230 .

خوري ، المصدر السابق، المستند رقم (5)، ص 266 – 267

(2) الجبوري، أحمد عبد الله، الفكر السياسي في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى 1850 – 1914، رسالة ماجستير مقدمة الى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، 2001، ص14.

(3) العبيدي، سؤدد كاظم، السياسة البريطانية تجاه منطقة القرن الأفريقي، 1839 – 1914، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب، جامعة بغداد، 2002، ص31؛ صفوت، محمد مصطفى، إنكلترا وقناة السويس 1854 – 1951، (مطابع رمسيس، الإسكندرية، 1952)، ص8؛

http://www.cairocitdel.gav.eg/Egypt_in_frecch_A.html .

الفصل الثاني سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية في ظل الغزو الفرنسي

لمصر

العثمانية من بريطانيا ؟ وبما أن هذه التساؤلات وغيرها تحتاج الى تحليل دقيق لتطورات المواقف، فقد تركناها للفصل القادم .

الفصل الثالث

التنافس الدولي حول الدولة العثمانية واثره في السياسة البريطانية تجاهها

1807-1801

أولاً: استمرار الحذر البريطاني من النفوذ الفرنسي وعقد صلح اميان 1803-1801

سبقت الإشارة إلى إن الحكومة البريطانية أخذت تماطل في سحب قواتها من مصر، بعد انتفاء اسباب وجودها بجلاء القوات الفرنسية، بل جعلت أمر ذلك الانسحاب رهناً باستتباب الأمن في تلك المنطقة، والواقع ان مجريات الصراع آنذاك قد افرزت عدد من المبررات التي حتمت على الحكومة البريطانية الإبقاء على تواجدتها العسكري في مصر.

كان في مقدمة تلك المبررات ما لمسَه القادة العسكريون البريطانيون من ضعف للمؤسسة العسكرية العثمانية عن مواجهة أي خطر فرنسي جديد يستهدف المنطقة، وشواهد ذلك كثيرة في رسائل بعض الضباط البريطانيين ومكاتباتهم، فقد أبلغ اللورد الجين، السفير البريطاني في اسطنبول، حكومته في التاسع من شباط 1801 أن قائدي القوات البرية والبحرية البريطانية في مصر، اعربا عن خيبة املهما في الحلفاء العثمانيين، وإن الغاية من مذكرته هذه تنبيه الساسة إلى ضرورة البحث عن ترتيبات جديدة ليس فقط في ما يخص المسألة المصرية ((بل للإمبراطورية العثمانية ذاتها، التي توافرت الأدلة على انحلالها))⁽¹⁾ كما كتب الجنرال هتشنسون بعد تسلمه قيادة القوات البريطانية في مصر، الى وزير حربيته هنري دونداس في الثالث من نيسان 1801 ((إنّ الحلفاء الأتراك ضعفاء ولا عبقرية لهم تعينهم على وضع الخطط وتنظيمها ولا نشاط ولا قدرة لهم على تنفيذها... وليس من المنتظر لذلك ان تستمر مصر في قبضة الدولة طويلاً، بل سوف تسقط مرة اخرى في يد دولة اوربية))⁽²⁾، ورأى هتشنسون أيضاً ضرورة بقاء القوات البريطانية في الإسكندرية وبعض المواقع المهمة، حتى بعد استعادة العثمانيين لسيادتهم على مصر ((وإلا فإن

(1) نقلاً عن: شكري، محمد فؤاد، مصر في مطلع القرن التاسع عشر 1801 – 1811، ج1، (مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، 1958)، ص79.

(2) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر، ج1، ص80.

العثمانية

الأتراك وحدهم سوف يعجزون عن الإحتفاظ بمصر وسوف تخرج هذه من أيديهم⁽¹⁾. وانتابت هتشنسون مخاوف حقيقية جراء استقراره للضعف العام الذي اتسمت به المؤسسة العسكرية العثمانية، فكتب الى السفير الجين في الخامس والعشرين من نيسان قائلاً ((من المحتمل جداً ان تكون فرنسا هذه الدولة التي سوف تبذل قصارى جهدها للاستيلاء على مصر ولا أمل من ان يستطيع الأتراك مقاومة هذا الغزو لما هو معروف عن نظامهم وجيشهم، واخشى ان مصر سوف تصبح مبعث ارتباكات ومتاعب لنا اكثر مما ندركه وإذا تمكنت فرنسا من الإحتفاظ بسيطرتها التي نالتها في القارة (أوروبا) فسوف يصبح عسيراً علينا منع مصر من الوقوع في قبضتها، والأحتمالات عديدة في وقوع هذا الحادث، إذا أخذنا بنظر الاعتبار قبل كل شيء حاجة تركيا في حالة ضعفها الراهنة إلى حام يحميها وليس هناك سوى فرنسا للقيام بهذا الدور لما لها من مصلحة طبيعية وقوية أكثر من غيرها لتصبح هذا الحامي⁽²⁾)).

أما المبرر الثاني فتمثل بإحتفاظ البريطانيين بعلاقات جيدة مع بعض حكام المماليك، ورغبة الحكومة البريطانية في تثبيت حكومة منهم، تأخذ على عاتقها ضبط الأوضاع الداخلية، وتقضي على أية حالة فوضى يمكن ان تعرض البلاد إلى غزو فرنسي آخر، و أنها تكون رقيباً على المصالح البريطانية في المنطقة⁽³⁾. وفضلاً عن كل ذلك فقد كان المماليك بحاجة إلى الحماية البريطانية خوفاً من انتقام العثمانيين لاسيما وأن عداء العثمانيين للمماليك لم يكن بأقل من عدائهم للفرنسيين⁽⁴⁾، وقد كان البريطانيون في الوقت نفسه ينظرون لأنفسهم على أنهم ملزمون بتوفير تلك الحماية⁽⁵⁾، إلا ان ذلك قد أثار غضب الحكومة العثمانية التي كانت تهدف الى اعادة

(1) نقلاً عن: المصدر نفسه، ص81.

(2) نقلاً عن: المصدر نفسه.

(3) الرافي، عبد الرحمن، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ج2، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1958)، ص55.

(4) صفوت، محمد مصطفى، الجلاء الإنكليزي عن مصر وبعثه سير هنري درومندولف، المجلة التاريخية، المجلد الثاني، العدد الأول، (القاهرة، 1949)، ص78.

(5) كان الجنرال هتشنسون يحاول استمالة المماليك اثناء فترة القتال ضد الفرنسيين كي لا ينضموا الى الآخرين، وذلك بمنحهم وعوداً بأسم ملك بريطانيا بإعادتهم الى سابق عهدهم وإعطائهم حكم مصر إذا ما تحررت من الفرنسيين، وبحمايتهم من انتقام العثمانيين، وبعد ان انظم المماليك الى الجيوش المشتركة

العثمانية

مصر لسيطرتها المباشرة كونها تمثل ((درة عمامة السلطان))⁽¹⁾ ولهذا فقد كتب السلطان سليم الثالث في الثالث والعشرين من تشرين الثاني 1801 إلى الملك جورج الثالث George III (1760 – 1820) يرجوه باسم الصداقة والمحافة التي بينهما أن يأمر قاداته وجميع ضباطه في مصر بأن يكفوا عن حمايتهم للمماليك، وعن إصرارهم على إعادة حكمهم في مصر، فأجابه الأخير في السادس عشر من شباط 1802 برسالة جاء فيها ((أنه لم يجل في خاطره بتاتاً التدخل في شؤون مصر الداخلية، إلا فيما يتعلق بتنفيذ التعهدات التي يكون قد حصل الارتباط فيها باسمه، ولكن عزمه هو ان تترك البلاد تحت تصرف السلطان...))⁽²⁾، إذ قصد بتلك التعهدات تلك الوعود التي قطعها قاداته العسكريون لحكام المماليك ومنهم محمد بك الألفي، بتأمين الحماية وضمنان عودتهم لأدارة شؤون مصر، ولقطع الطريق أيضاً امام المحاولات الفرنسية المشابهة لإستمالة بعض قادة المماليك وخاصة عثمان بك البرديسي⁽³⁾.

استند البريطانيون على مبرر ثالث قائم على أساس ان خطر الحرب في أوروبا لا يزال قائم، وان الضرورات العسكرية تحتم على الحكومة البريطانية أبقاء تواجدتها العسكري، إذ أن ذلك يعطي لبريطانيا ميزة الرد السريع فيما لو ألقى الصراع الدائر في أوروبا بانعكاساته على المنطقة مرة أخرى وتعرضت مصر لتهديد جديد⁽⁴⁾.

أما المبرر الرابع فكان متصلاً بسعي نابليون لأستئناف العلاقات مع الحكومة العثمانية على وجه السرعة، فبعد التوقيع على معاهدة الصلح الفرنسية – العثمانية في التاسع من تشرين الأول 1801، أوفد مندوب عنه إلى الباب العالي هو الكولونيل

وخرج الفرنسيين من مصر أخذوا يطالبون البريطانيين بالإيفاء بوعودهم وجدير بالذكر أن البريطانيين بذلوا جهوداً جبارة في محاولة للإيفاء بوعودهم، لكن الباب العالي رفض ذلك الأمر رفضاً قاطعاً وخاصة مسألة إعادة حكم مصر للمماليك. عن الجهود البريطانية يراجع: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج1، ص74-134.

(1) نقلاً عن: يحيى، مصر الحديثة...، ص535.

(2) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج1، ص16، 119.

(3) لمزيد من التفاصيل حول سياسة بريطانيا وفرنسا تجاه المماليك يراجع: جوان، ادوار، مصر في القرن التاسع عشر، ترجمة محمد مسعود، ط2، (القاهرة، 1931)، ص206 – 239.

(4) محمد، نجاح، من معطيات المسألة الشرقية العربية، التآمر البريطاني – العثماني والوجود المصري في شبه جزيرة العرب 1811 – 1840، دراسات تاريخية، بيت الحكمة السنة الحادية والعشرين، العددان 71، 72، (بغداد، 2000) ص182.

العثمانية

هوراس سبستيانى H. Sebastiane، الذي وصل الى اسطنبول في الخامس والعشرين من تشرين الثاني 1801⁽¹⁾ حاملاً معه رسالة شخصية من نابليون إلى السلطان عبر فيها الأول للثاني عن ترحيبه الشخصي بعودة العلاقات الفرنسية العثمانية لسابق عهدا ومما جاء فيها ((ها نحن قد عدنا إلى السلم، وإذا كان جلالتك تقر الحكومة الفرنسية على رغبتها، وتشاركها فيها عواطفها وأمانيتها، فسيبدل الستار نهائياً وإلى الأبد على ما كان بيننا في الماضي القريب، ليقوم بين فرنسا والأمبراطورية العثمانية صلح دائم متين الأركان، وتجارة فيها الخير والرخاء والازدهار للأمتين...))⁽²⁾.

قام سبستيانى بإجراء مباحثات مع المسؤولين العثمانيين، موضحاً لهم حرجة الموقف العثماني في مصر ((وهم الذين لا يحتلون فيها سوى القاهرة، أما البريطانيين فلمهم (7000) مقاتل في الجيزة والسويس، و(2500) يحتلون الإسكندرية ودمياط))، محذراً في الوقت نفسه من خطر المماليك واصفاً تعاونهم مع الإنكليز بأنه ((إساءة إلى كرامة الدولة العثمانية))⁽³⁾.

كانت بعثة سبستيانى بمثابة الصاعقة التي نزلت على البريطانيين، فأخذوا يقيدون تحركاته ويقاومون مساعيه وأتصالاته مع المسؤولين العثمانيين⁽⁴⁾، واستطاع سبستيانى ان يلمس مقدار القلق البريطاني حول زيارته، ومما ورد في تقريره النهائي الى نابليون قوله عن زيارته للباب العالي ((حتى ان اللورد الجين [السفير البريطاني عند كلامه مع الرئيس افندي]⁽⁵⁾ عن مصر قال: أن اهلها يأسفون أسفاً شديداً على ذهابهم [أي الفرنسيين])⁽⁶⁾، وبدون أدنى شك فإن ماورد في هذا التقرير أعطى نابليون حافزاً جديداً للاتصال بالعثمانيين.

(1) جوان، المصدر السابق، ص229.

(2) نقلاً عن: خوري، ص185.

(3) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج1، ص27؛ جوان، المصدر السابق، ص229.

(4) للتفاصيل حول بعثة سبستيانى وأتصالاته والأجراءات البريطانية المضادة لها يراجع: خوري، المصدر السابق، ص185 - 189.

(5) لقب يطلق على وزير الخارجية العثمانية.

(6) للمزيد من التفاصيل حول ذلك التقرير يراجع: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج1، ص27 - 28.

العثمانية

وحينما بدأت مفاوضات الصلح في أميان Amien بين اللورد كورنواليس Cornwalis رئيس الوفد البريطاني، وجوزيف بوناپرت Josive Bonapert رئيس الوفد الفرنسي في آذار 1802، رفض الفرنسيون وجود ممثل عثماني يمثل دولته على طاولة المفاوضات، واصرروا على توقيع صلح منفرد معها وفي السابع والعشرين منه وقعت فرنسا وبريطانيا صلحاً ثنائياً بمنأى عن الدولة العثمانية⁽¹⁾ وأعترفت فيه فرنسا بعودة مصر للباب العالي، كما تعهدت بريطانيا بالانسحاب من مصر ومالطة⁽²⁾.

كانت فرنسا تبغي من وراء إهمالها وتذرعها بشتى السبل للحيلولة دون وجود ممثل عثماني إلى أحداث شرخ في العلاقات البريطانية العثمانية، وقد نجحت في ذلك بالفعل، إذ انزعج العثمانيون لقبول البريطانيين توقيع صلح منفرد مع فرنسا، التي استطاعت تحقيق كل ذلك بعد أن قدمت تسهيلات إلى بريطانيا في قضايا أخرى⁽³⁾ ولما كان صلح أميان قد نص على تعهد بريطانيا بالانسحاب من مصر فقد لجأ نابليون إلى ممارسة الضغوط على الحكومة البريطانية لتنفيذ مضمون ذلك البند، حتى صار شعاره في تلك المرحلة ((معاهدة أميان ولا شيء غير معاهدة أميان))⁽⁴⁾.

ويرى البعض إن ذلك الصلح لم يضيف شيئاً للعلاقات البريطانية – العثمانية سوى أنه وسع الفجوة الموجودة أصلاً فيها بسبب التواجد العسكري البريطاني على أراضي عثمانية مع انتفاء أسبابه، الأمر الذي قاد العثمانيون للتوجه إلى فرنسا، حيث تم التوقيع بين الطرفين على معاهدة باريس في الخامس والعشرين من حزيران 1802، على الرغم من الجهود التي بذلتها إنكلترا وروسيا للحيلولة دون حصول مثل هذا التقارب بين الفرنسيين والعثمانيين⁽⁵⁾.

(4) Williamson. A, James , A Short History of British Expansion , The Modern Empire and Commonwealth , Second Edition ,(London. 1934) , P. 32 ;

خوري، المصدر السابق، ص 192 – 193؛ طقوش، المصدر السابق، ص 319.

(2) Cited in: English Historical Document , Vol X1 , pp 895-901.

(3) خوري، المصدر السابق، ص 193 ؛ طقوش، المصدر السابق، ص 320.

(4) نقلاً عن: جرانت أ. ج. وآخرون، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين 1789 – 1950، ترجمة أحمد عزت عبد الكريم وبهاء فهمي، (القاهرة، 1967)، ص 204.

(5) Antoine , A, Memoirs of Napoleon Bonaparte, Edited by R. w. Phipps , Vol 11,(New York , 1991) , p106 ; Show , op , cit, Vol 1 , P. 270;

العثمانية

وقد نصت معاهدة باريس على توطيد السلم وتوثيق الصداقة بين فرنسا والدولة العثمانية وعلى تبادل الدعم والمساعدات في حالة الحرب، وكذلك تعهد فرنسا بضمان سلامة الأراضي العثمانية ضد أي عمل عدائي يستهدفها، وأن تحصل فرنسا على حق العبور لسفنها التجارية عبر المضائق العثمانية، والملاحة في البحر الأسود دون أية عقبات، وتم بموجب المعاهدة أيضاً تجديد جميع المعاهدات والاتفاقيات السابقة والخاصة بالإمتيازات الفرنسية في الدولة العثمانية⁽¹⁾.

ولوضع حدٍ لهذا التقارب الفرنسي – العثماني فقد وجد البريطانيون أن من الحكمة سحب بعض قواتهم من مصر ارضاءً وتطميناً للباب العالي، فتم الأيعاز للجنرال بيرد بسحب قواته من مصر في حزيران 1802⁽²⁾. وإثباتاً لحسن النوايا فقد قررت الحكومة البريطانية سحب الجنرال هنتنسون الذي اتهمه العثمانيون بالاستغراق في العلاقة مع المماليك والعمل لصالحهم⁽³⁾، إلا إن ذلك لم يخفف من قلق نابليون بسبب بقاء القسم الأعظم من الجيش البريطاني على الأراضي المصرية وقد فسّر هذه الخطوة بأنها مدخل للوصول إلى تفاهات بريطانية – عثمانية، وللحيلولة دون حدوث ذلك، أصدر نابليون تعليماته في تشرين الأول 1802 إلى سفيره الجديد في اسطنبول الجنرال برون Brun الذي وصلها في كانون الثاني 1803، بأن يكرس اهتمامه لمسألة جلاء القوات البريطانية عن مصر بأسرع وقت⁽⁴⁾. كما أوفد الجنرال سبستيان في مهمة ثانية إلى الشرق، زار خلالها مصر والشام وأجزاء أخرى من الدولة العثمانية، وعلى الرغم من اتخاذ بعثة سبستيان صفة تجارية في ظاهرها، لكن

طقوش، المصدر السابق، ص320.

ويشير د. فريدون أمجن إلى سبب آخر لتوجه العثمانيين نحو فرنسا، وهو الضغط الروسي على الدولة العثمانية لتحويل حق العبور المؤقت لسفنهم الحربية والذي اقرته معاهدة التحالف الروسية العثمانية لعام 1798، إلى حق دائم، ولما كان العثمانيين ليسوا على وفاق تام مع البريطانيين، لم يكن لهم بدٌّ من التقارب مع فرنسا لوقف الضغط الروسي، أمجن "الدولة العثمانية من معاهدة قينارجة الصغرى حتى انهيارها" ضمن كتاب (الدولة العثمانية تأريخ وحضارة)، المجلد الأول، ص84.

(1) للأطلاع على نص المعاهدة يراجع:

Hurewitz, Diplomacy in the near and Middle East, Vol 1, PP. 71-72.

(2) جوان، المصدر السابق، ص231.

(3) الرافي، المصدر السابق، ج2، ص293.

(4) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج1، ص30.

العثمانية

هدفها كان سياسياً تحدد ببذل جميع المساعي لجلاء البريطانيين عن مصر⁽¹⁾، ففي التعليمات التي صدرت إلى سبستيان في الخامس من أيلول 1802 طُلب إليه فيها بمجرد أن يصل إلى الإسكندرية أن يدون فوراً تقريراً وافياً عما قد يجده من سفن بريطانية في مينائها، مع العدد الفعلي للقوات البريطانية وأماكن تواجدها وتحصيناتها، وكذلك الحال بالنسبة للقوات العثمانية⁽²⁾ وأن يزود حكومته أيضاً بمعلومات دقيقة حول الأهمية الاستراتيجية لبعض المواقع العثمانية⁽³⁾.

التقى سبستيان حينما وصل إلى مصر في تشرين الأول 1802 بالجنرال ستوارت Stewart الذي اسندت إليه قيادة القوات البريطانية خلفاً للجنرال هتشنسون وأبدى له استغراب الحكومة الفرنسية من عدم قيام الحكومة البريطانية بسحب قواتها من الأراضي المصرية، متساءلاً في الوقت ذاته عن الأسباب التي حالت على البريطانيين دون تنفيذ ماتم الاتفاق عليه في اميان⁽⁴⁾ وعلى الرغم من محاولة ستوارت التغاضي عن ذلك بأجوبة مبهمة، لكنه أزاء الحاح سبستيان أوضح بأن ليست لديه أية تعليمات بإخلاء الإسكندرية، وربما أمضى فيها فصل الشتاء⁽⁵⁾.

ارتأى ستوارت أخبار حكومته بما دار بينه وبين سبستيان، فكتب في الثامن عشر من تشرين الأول 1802 بـ ((أن الفرنسيين يدبرون الخطط التي تمكنهم سواء اكان ذلك بالمفاوضة أم بطريق آخر أكثر صراحة وعلانية من استعادة سلطانهم ونفوذهم في مصر))⁽⁶⁾، كما حذر في رسالة بعث بها إلى والي القاهرة العثماني خسرو باشا من المخططات الفرنسية الرامية إلى تعزيز نفوذهم في مصر على حساب المصالح العثمانية، وأرفق ستوارت مع هذه الرسالة بلاغاً من نابليون وقت قيادته لجيش الشرق يذكر فيه للمصريين بـ ((أن اسطنبول كانت تابعة يوماً ما لبلاد العرب، وانه قد حان الوقت للقضاء على الإمبراطورية العثمانية في الشرق))، ورجا

(1) Antoine , op, cit , p 106 ؛

صفوت، الجلاء الإنكليزي عن مصر....، ص78.

(2) Ghorbal , op , cit , p178

(3) Miller , op , cit , p 31.

(4) Ghorbal. op, cit. p 178 -179

(5) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج1، ص34 ؛ الرافي، المصدر السابق، ج2، ص299 - 300.

(6) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر، ج1، ص42.

العثمانية

ستيوارت خسرو باشا أن يتمتع ملياً بهذا البلاغ، حتى يدرك مدى إخلاص الفرنسيين⁽¹⁾.

أحدثت جولة سبستيان في الدولة العثمانية ردود أفعال عثمانية وأوربية معارضة، لاسيما بعد ان قدم في خاتمة مطافه تقريره الشامل إلى حكومته، وقيام صحيفة *Moniteur official* الرسمية بنشر ذلك التقرير، في عددها الصادر في الثلاثين من كانون الثاني 1803⁽²⁾ الأمر الذي أثار تعليقات سفراء الدول الكبرى وممثليها في اسطنبول، وكتب الجنرال برون في العاشر من آذار أن هؤلاء اتخذوا منه دليلاً لأقناع الباب العالي حول سوء نية فرنسا التي كشفها التقرير، أما الحكومة العثمانية فقد نفى وزير خارجيتها علمه حول المهمة الدبلوماسية التي جاء سبستيان من أجلها⁽³⁾ على أن نابليون استطاع تبديد مخاوف العثمانيين برسالة شخصية بعث بها إلى السلطان سليم الثالث بواسطة مترجمه الخاص جوبير يرى فيها نفسه من كل ما أثار غضب الباب العالي ويؤكد حرصه على رضاه و صداقته وإعترامه على عدم القيام بأي عمل يكون فيه أقل دليل على عدم وفائه لهذه الصداقة⁽⁴⁾.

أعربت روسيا أيضاً عن مخاوفها بشأن ماورد في التقرير، وتوجست من النشاط الفرنسي في الشرق عامة والبلقان خاصة، فأقدمت على تعزيز دفاعاتها في الجزر الأيونية، أما النمسا فقد أثارتها النشاطات الفرنسية في شبه جزيرة المورة والساحل الدلماشي على البحر الأدرياتيكي⁽⁵⁾.

لكن اعنف ردود الفعل صدرت عن بريطانيا، التي عدت ماورد في التقرير موجه بالأساس ضد مصالحها في الدولة العثمانية، وذلك على الرغم من تبرير تاليران للسفير البريطاني في باريس اللورد هويتورث Lord Hwethorth، بأن

(1) Ghorbal , op, cit. p179 ;

شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج1، ص44. ولمزيد من التفاصيل حول رحلة سبستيان والمناطق التي زارها يراجع:

Antoine , op. cit , PP. 106- 107 ; Ghorbal , op , cit , PP. 178- 180.

خوري ، المصدر السابق، ص 201- 206.

(2) Marriott , op , cit. p172 ; Miller , op , cit , p32

(3) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج1 ص48.

(4) خوري ، المصدر السابق، ص206.

(5) Marriott, op, cit , p172 -173

العثمانية

حماسة الضابط الشاب الذي كتب التقرير - سبستيانى - دفعته لتفسير وجود القوات البريطانية في الإسكندرية بمثابة تصميم بريطاني على مواصلة الحرب ضد فرنسا⁽¹⁾ بيد ان هذا التبرير لم يكن ليقتنع البريطانيين، فالتقرير تضمن دعوة صريحة للفرنسيين بإعادة احتلالهم لمصر وأنه ((يكفي اليوم لفتح مصر ستة آلاف فرنسي فحسب))⁽²⁾، وعلاوة على ما ورد في التقرير فقد لوح نابليون بما يشابهه الى اللورد هويتورث عندما أشار له بأن مصر ستكون من نصيب فرنسا ((اذا حدث انهيار الأمبراطورية العثمانية ووزعت املاكها بين الدول))⁽³⁾.

وانقلب الشك البريطاني يقيناً عندما أخذ تاليران في شباط 1803، يطالب السفير البريطاني في باريس اللورد هويتورث ويحتج لديه عن تأخر الحكومة البريطانية في تنفيذ التزاماتها الخاصة بالجلء عن مصر، حيث قام الأخير بأبلاغ وزارة الخارجية البريطانية في شباط 1803 بما حصل في ذلك اللقاء بتقرير جاء فيه ((قال لي تاليران أن لديه اسباباً عديدة للشكوى من تحديات البريطانيين المتواصلة، وقد ركز شكواه الأولى على مألطة والإسكندرية اللتين قطعنا على انفسنا بالجلء عنهما، وفي سياق حديثنا عاد للشؤون المصرية... وأضاف أن هذه الحماية البريطانية لا تفي بحاجات الدفاع عن تلك البلاد ولا يمكن ان تبرر اقامتها فيها بواجب حمايتها فهي اعجز من أن تؤمن هذه الحماية... ووجودها يشكل سبباً لأجتياح مصر في أي وقت... وهو يفضل الصبر والانتظار لأنه مؤمن بأن مصر ستدخل يوماً ضمن ممتلكات فرنسا، أما نتيجة لانهيار الدولة العثمانية وتناثر املاكها وأما بفضل اتفاق مع الباب العالي))⁽⁴⁾.

ولما كانت كل من فرنسا وبريطانيا ليست لديهما الاستعداد للإيفاء بالالتزامات المتبادلة التي تم الاتفاق عليها بموجب صلح أميان، فإن مسألة الحرب بين الطرفين لم تكن سوى مسألة وقت⁽⁵⁾، وقد ادرك البريطانيون ضرورة تسوية الأمور مع الحكومة العثمانية التي أخذت تمارس ضغوطها على الحكومة البريطانية لسحب قواتها، ولكي

(1) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص588.

(2) وللإطلاع على النص الكامل للتقرير يراجع: Ghorbal, op, cit ,pp 301- 308

(3) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص588.

(4) نقلاً عن: خوري، المصدر السابق، ص201.

(5) بالمر، المصدر السابق، ص249.

العثمانية

لا تفقد بريطانيا حلفاءها العثمانيين في الحرب المحتملة ضد فرنسا، لذلك أتخذت قراراً بسحب قواتها من الأراضي المصرية في آذار 1803⁽¹⁾ في وقت بدأ فيه القادة العسكريون بوضع خطط الحرب التي اندلعت بعد شهرين فقط⁽²⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه إن تطلعات روسيا تجاه الدولة العثمانية مع بدايات القرن التاسع عشر قد اثارت هي الأخرى قلقاً لدى البريطانيين، إذ ركزت السياسة الخارجية الروسية على دبلوماسية التقارب مع الباب العالي خلافاً لما عهدته فيما مضى من سياسة هجومية، مع ثبات مقاصدها وغاياتها النهائية وهي التوسع على حساب الدولة العثمانية وبعبارة أخرى إن التغيير كان في الوسائل لا الأهداف⁽³⁾ ولم يكن بوسع بريطانيا أن تعمل بصورة مباشرة ضد روسيا بسبب حاجتها إلى الدعم الروسي ضد فرنسا في أوروبا، لكن ذلك لم يقف حائلاً أمام بريطانيا في العمل على إحباط الخطط الروسية في الدولة العثمانية بأساليب أخرى منها تشجيع العثمانيين على إدخال الإصلاحات في مختلف أنحاء الدولة العثمانية⁽⁴⁾.

ورغم ادراك السلطان العثماني سليم الثالث لأطماع الروس، لكنه تجنب الصدام العلني معهم لئلا يؤثر ذلك على علاقته مع حلفائه البريطانيين الذين حاولوا الاستفادة من الدعم الحربي الروسي ضد الفرنسيين، معتقداً بأن صداقته مع بريطانيا

(1) التكريتي، نصير خير الله محمد، التغلغل الأجنبي في مصر، 1863-1879، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية، (جامعة تكريت، 2005)، ص 18؛ شارو ويم بك، المصدر السابق، ص 281.

(2) Crawly, op, cit, p532

(3) مع بدايات حكم القيصر الروسي الأسكندر الأول (1801 – 1825) انقسم الساسة الروس حيال السياسة الواجب اتباعها تجاه الدولة العثمانية الى قسمين: يعتقد الأول منهما بضرورة المحافظة على الدولة العثمانية طالما انها ضعيفة فبإمكان روسيا استغلال هذا الضعف لترسيخ نفوذها فيها ومن ثم ستتمكن روسيا بهذا الأسلوب كما يرى افراد هذا الفريق من تأمين مصالحها في منطقة المضائق والمتوسط عموماً دون ان تستفز الدول الأوروبية الأخرى وتدفعها للقيام بأعمال مضادة. اما الفريق الثاني فقد اعتقد افراده بأن بقاء اسطنبول والأراضي البلقانية تحت سيطرة الدولة العثمانية يضر بالأقتصاد الروسي ويشكل خطراً دائماً على مناطق روسيا الجنوبية، ولهذا فإن هذا الفريق كان يرى ضرورة تفويض السياسة العثمانية في البلقان، وقد كان لرأي الفريق الاول الذين أطلق عليهم القيصر بـ (اللجنة السرية) أو (اصدقائه الشبان) الأرجحية لديه، لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يراجع: التكريتي، هاشم، الصراع الروسي – الفرنسي في البلقان في مطلع القرن التاسع عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد 40، السنة الرابعة عشر، (بغداد 1989) ص 57؛

Pares, Op. Cit., P. 296-297.

(4) Anderson, The Eastern Question, p31

العثمانية

سوف تثمر في النهاية عن درء الأطماع الفرنسية والروسية معاً، فكان عليه ان يلجأ الى سياسة الموازنة في التعامل مع بريطانيا وفرنسا وروسيا في ضوء المصالح المتضاربة لهذه الدول⁽¹⁾.

ثانياً. انفراط التحالف البريطاني - الفرنسي والتقارب البريطاني - الروسي

1807-1803.

في الوقت الذي شهد فيه عام 1803 انهيار صلح أميان واستئناف القتال بين بريطانيا وفرنسا فإن العام ذاته شهد توتراً في العلاقات الفرنسية الروسية، الأمر الذي شجع على حدوث تقارب روسي بريطاني، وقد ضمّن السفير الروسي في اسطنبول ايتالينسكي Utalinsky تقاريره إلى حكومته في سان بطرسبورغ تحذيرات من اتساع نشاط الوكلاء الفرنسيين في البلقان فضلاً عن وصول كميات كبيرة من الأسلحة الفرنسية الى الموره بهدف دعم اليونانيين في ثورتهم ضد السيطرة العثمانية⁽²⁾ فأثارت هذه التحذيرات مخاوف الروس من اجتياح فرنسي للدولة العثمانية مما يشكل عائقاً بوجه الطموحات والتطلعات التاريخية لروسيا في البلقان والمياه الدافئة⁽³⁾، لاسيما وأن فرنسا اهتمت بتعزيز تواجد العسكري في اترانتو (Atranto) وتوراننتو (Toronto) على السواحل الجنوبية لأيطاليا⁽⁴⁾ فبات من المتوقع إن يعتمد الفرنسيون إلى إنزال قواتهم على الساحل اليوناني أو ألبانيا أو الساحل الأدرياتيكي، وبشكل متزامن مع الدعوات التي يطلقها نابليون بتقديم يد العون والمساعدة للشعوب البلقانية إذا ما أرادت التحرر من السيطرة العثمانية⁽⁵⁾.

وفي الوقت الذي كانت فيه العلاقات الفرنسية الروسية تسير من وضع سيء الى أسوأ، تجلت نهايته بسحب السفير الروسي من باريس في كانون الأول 1803 بعد اهانتته من قبل نابليون في حفل دبلوماسي⁽⁶⁾، فقد حفز ذلك القيصر الروسي على تقريب وجهات النظر مع بريطانيا، وطلبت حكومته من سفيرها في لندن في كانون

(1) Shaw , Op. Cit., Vol. 1. P. 270 -271.

(2) التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص59.

(3) العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص85.

(4) خوري ، المصدر السابق، ص206.

(5) التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص59.

(6) العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص85.

العثمانية

الأول 1803 بأن يطلع الحكومة البريطانية على التقارير الروسية التي تتحدث عن عزم فرنسا للقيام بإنزال جيوشها على سواحل البانيا أو الموره، وأن يلفت نظرها إلى خطورة ذلك، ويعلمها بعزم روسيا على استخدام كل ما في حوزتها للحيلولة دون أي توسع فرنسي، كما طلبت منه مفاتحة الحكومة البريطانية برغبة روسيا بالإشتراك مع بريطانيا للعمل سوية لأحباط مشاريع فرنسا التي تمس مصالح كلا الدولتين⁽¹⁾.

أبدت الحكومة البريطانية تأييدها للمقترح الروسي طالما كان موجهاً ضد فرنسا، إلا أن الوصول إلى تفاهم مشترك كان يتطلب أولاً تسوية الخلاف بشأن مالطة التي احتلها البريطانيون منذ أيلول 1800، التي لا زالت روسيا تطالب باستعادة السيطرة عليها⁽²⁾ إذ لم تكن بريطانيا على استعداد للانسحاب من هذه الجزيرة، بسبب أهميتها الاستراتيجية التي ازدادت مع تجدد الحرب ضد فرنسا⁽³⁾، حيث قدم وليم بت في شباط 1803 - الذي لم يكن يشغل منصباً رسمياً آنذاك - نصيحته للحكومة البريطانية بعدم الجلاء عن مالطة حتى وإن تطور الموقف إلى خوض الحرب ضد فرنسا، فحسب اعتقاده ((ظهرت حقيقة ما يبته نابليون للشرق وزال الشك)) وإن أي انسحاب من مالطة بمثابة إضاعة ((أقوى ضمان لنا، وأهم قاعدة يمكننا الارتكاز عليها في مضايقة العدو، ولهذا وجب القول أن حرباً سريعة تكون أقل شراً علينا من تراجع خطر ومخجل))⁽⁴⁾.

وإزاء إدراك الروس والبريطانيين لخطورة الموقف الناجم عن المشروع الفرنسي في الشرق، تم الإتفاق على تسوية مسألة مالطا، إذ بعث القيصر الروسي الأسكندر الأول برسالة إلى وزير الخارجية البريطانية اللورد هوكزبري في شباط

(1) Shaw, op, cit., Vol. I, P. 267 ;

التكريتي، هاشم، الصراع الفرنسي الروسي في البلقان..، ص59.

(2) خوري ، المصدر السابق، ص206- 207.

(3) جاء في كتاب سري تضمن تعليمات ارسل بها اللورد هوكزبري Hoksbery وزير الخارجية البريطانية إلى السفير البريطاني في باريس اللورد هويتورث Hwetorth ما يأتي ((إذا دخلت الحكومة الفرنسية في أي حديث معك حول موضوع جزيرة مالطة فمن الأهمية بمكان أن تتفادى الالتزام بشيء بالنسبة إلى نوايا جلالة الملك النهائية حيال تلك الجزيرة... وأنني أوصيك على كل حال بأن تتفادى قول أي شيء يقيد جلالته بإعادة الجزيرة)) نقلاً عن: جرانت ، المصدر السابق، هامش رقم (5)، ص204.

(4) نقلاً عن: خوري ، المصدر السابق، ص207.

العثمانية

1803 بين فيها موافقة روسيا على بقاء القوات البريطانية في جزيرة مالطة في ظل الظروف القائمة وقتذاك، كما وعد بتعزيز الحماية الروسية في جمهورية الجزر السبع او ما كان يعرف بالجزر الأيونية (1).

أن تعزيز التواجد العسكري الروسي في الجزر الأيونية أنطلق من مبدأ ضرورة الحشد البحري لأعاقلة مشروع نابليون بالوصول الى البلقان وجنوب إيطاليا، بالإضافة الى ان موقع الجزر سيكون له دور مهم في حالة اندلاع حرب روسية - عثمانية، فضلاً عن امكانية اتخاذ هذه الجزر قاعدة انطلاق لتثبيت نفوذ روسيا السياسي في اليونان، ومن الجدير بالإشارة ان هذه الجمهورية التي جعلت فيها السلطة مشتركة ما بين العثمانيين والروس بموجب الاتفاقية الروسية - العثمانية الموقعة في آذار 1800، وقعت تحت هيمنة روسيا ونفوذها التي سعت بأن تكون تبعيتها العثمانية شكلية فقط، وبعيداً عن نفوذ أية دولة اخرى (2).

لكن فرنسا ادركت هي الأخرى أهمية تلك الجزر، إذ سبق لنابليون ان نبه حكومة الإدارة في السادس عشر من آب 1798 بقوله ((أن كورفو وزانتي وسيفا لونيا تهمنا اكثر من إيطاليا... واحتلالها يجعلنا سادة الأدرياتيك والشرق الأدنى... ان احتلال الجزر الأيونية سيضعنا في موضع دعمها [الدولة العثمانية] او حماية حصّة منها لأنفسنا)) (3)، لذا فقد اثارت تحركات روسيا قلق الحكومة الفرنسية لاسيما نابليون حيث ذكر تاليران ((ان نابليون شعر بالألم جراء تغاضي الأمبراطورية العثمانية عن المخاطر المترتبة على تنامي قوة روسيا في الجزر الأيونية... وأبدى النصح للعثمانيين بغلق المضائق العثمانية بوجه القوات الروسية)) (4).

وقد حذر برون السفير الفرنسي في اسطنبول في تقرير بعثة إلى نابليون من إصرار روسيا على أن تمارس لوحدها حق المرور عبر المضائق العثمانية من وإلى الجزر الأيونية دون السماح لسفن الدول الأخرى بذلك، تحت ذريعة قانونية تتحدد بإستنادها الى المعاهدة الروسية العثمانية الموقعة عام 1799، وأنه لاحظ السفن

(1) المصدر نفسه..

(2) التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان....، ص58.

(3) Marriott, op ,cit , p166.

(4) Puryear , v, J , Napoleon and Dardanlles, (university of California press, 1951), p29.

العثمانية

الحربية الروسية لم تنقطع عن التنقل بين البحر الأسود، وجزيرة كورفو طيلة شهري نيسان – مايس 1803، وعلى الرغم من نجاح برون في إيقاف ممارسات نظيره الروسي في اسطنبول ضد السفن الفرنسية، إلا أنه مع ذلك فقد طلب من باريس إرسال عدد من السفن الحربية الفرنسية لترابط في اسطنبول للحماية وتسهيل التجارة الفرنسية في الدولة العثمانية⁽¹⁾.

اصطدمت فرنسا أيضاً برغبة بريطانيا حينما عمد البريطانيون الى توسيع نفوذهم الى تلك الجزر حيث أرسلوا سفينة حربية رابطة بالقرب من اسطنبول مهمتها حراسة السفن التجارية البريطانية المتجهة الى البحر الأسود، و أناطوا بأحد الأساطيل مهمة المراقبة بالقرب من جزيرة تيندوس كأجراء احترازي⁽²⁾.

سعت روسيا لأتخاذ عدد من التدابير الاحترازية المقصود منها مجابهة النشاطات الفرنسية، ومن هذه التدابير، اقدمها على تأسيس عدد من القنصليات في مناطق البلقان لمراقبة التحركات الفرنسية، وتعزيز نفوذها في الجبل الأسود، كما نقلت مزيداً من قواتها إلى الجزر الأيونية عبر المضائق العثمانية حتى وصل عددها إلى (11000) مقاتل في عام 1804⁽³⁾، ولغرض مواجهة وعود نابليون للشعوب البلقانية بالإستقلال فقد أخذت هي الأخرى استغلال كل إمكانياتها الدبلوماسية في اسطنبول لتحسين أوضاع الرعايا المسيحيين في الدولة العثمانية، وعلى هذا الأساس جاءت دعوات السفير الروسي اتيالينسكي للحكومة العثمانية بمنح اليونانيين استقلالاً ذاتياً مع المحافظة على تبعيتهم للدولة العثمانية ودفعهم الضريبة المقررة⁽⁴⁾، وفي إطار ذاته جاء الموقف الروسي من الثورة الصربية في بدايتها عام 1804⁽⁵⁾.

(1) Ibid, p 14-16.

العبيدي، احمد، المصدر السابق، ص83.

(2) Puryear, op , cit , p16

(3) التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص59.

(4) المصدر نفسه، ص 61.

(5) محمود، عبد الواحد وآخرون، الدولة العثمانية بين الميول الانفصالية ومحاولات الحكم المركزي 1808 – 1839، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد السابع، (بغداد، 2001)، ص106.

Lipson. E, Europe in the nineteenth century 1815 – 1914, 6th edition,(London, 1944), p206

العثمانية

لكن الحكومة الروسية أدركت ان الوقوف بوجه النشاط الفرنسي في البلقان لن يكتمل بالعمل المنفرد، بل بتوحيد الجهود مع بريطانيا، لذا قرر الساسة الروس في أواخر عام 1803 جس نبض الحكومة البريطانية حول إمكانية القيام بعمل مشترك لحماية شبه جزيرة البلقان والبحر المتوسط من غزو فرنسي محتمل⁽¹⁾ وفي شباط 1804 وضع تشارتوريسكي Czartoryski⁽²⁾، خطة سياسية أساسها العمل المشترك بين روسيا وبريطانيا، للحيلولة دون تحقيق نابليون لطموحاته في البلقان خاصة والشرق الأدنى بصورة عامة، مع ضرورة الحفاظ على كيانية الدولة العثمانية ضد أي إعتداء تتعرض له من أية جهة كانت، وطالما بقيت هذه الدولة في حالة الضعف التي تعترئها، ويتبدل هذا الموقف في حالة استعادة الدولة العثمانية لقوتها، أو ارتمائها في أحضان فرنسا، الأمر الذي يتطلب من روسيا في النهاية العمل الجاد لتوثيق علاقاتها مع شعوب البلقان فضلاً عن تعزيز علاقاتها مع الدول الأوروبية الأخرى وبخاصة بريطانيا⁽³⁾.

وعلى اساس هذه الخطة فقد طلب تشارتوريسكي من السفير الروسي في لندن في الثامن عشر من آب 1804 ان يقترح على الحكومة البريطانية الأنضمام الى الحكومة الروسية في مساعيها الرامية الى تحسين أحوال المسيحيين من رعايا الدولة العثمانية، وعدة موافقة السلطان العثماني على ذلك شرطاً لتجديد معاهدة التحالف مع الدولة العثمانية⁽⁴⁾، وفي تشرين الثاني 1804 فوض الأسكندر الأول نيقولاى نوفوسيلتسيف Novosiltsev لأجراء مفاوضات مع الحكومة البريطانية حول تشكيل التحالف الثالث ضد فرنسا، وان يثير خلال المباحثات القضايا التي تتعلق بالسياسة المعتمدة تجاه الدولة العثمانية ويستوضح رأيها حول بعض المقترحات ومنها انشاء

(1) Anderson , The Eastern Question. P. 34.

(2) عين آدم تشارتوريسكي منذ خريف 1802 مساعداً لوزير الخارجية اكسندر روما نوفتش خورونتسوف وترأس وزارة الخارجية الروسية بصورة فعلية في كانون الأول 1804 وحتى 1806 بعد مرض أكسندر في عام 1804 ووفاته في عام 1805، التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص57.

(3) Prince Czartoryski on Russian policy towards the ottoman Empire , prince A.A. Czartoryski to Alexander 1, 29 February 1804 m Quoted in: Anderson , The great power and the near east... , pp 23 -25.

(4) التكريتي، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص62.

العثمانية

جمهورية واحدة أو اثنتين يونانية وسلوفينية تحت أشرف كل من روسيا والدولة العثمانية وعلى غرار جمهورية الجزر السبع⁽¹⁾، ولما كان نوفوسيلتسيف قد بذل جهوداً في تلطيف المقترحات الروسية الى الحد الذي جعل وليم بت يداهن محدثه الروسي بقوله ((أن نوايا جلالة الأمبراطور الروسي معتدلة جداً وتتطابق بشكل جيد جداً مع الفائدة المشتركة، وان الحكومة الإنكليزية ستحاول ان تسهل تحقيقها بكل الوسائل))⁽²⁾. لكن الحكومة البريطانية في واقع الأمر كانت تنظر إلى النشاط الروسي في البلقان وتفوقه في اسطنبول بانه يشكل تهديداً مباشراً للمصالح البريطانية، وعدت المقترحات الروسية الخاصة بالدولة العثمانية دليلاً على نية روسيا للإستيلاء على بعض الممتلكات العثمانية في أوربا⁽³⁾ ولهذا فإن كلام بت لم يكن سوى ذر للرماد في العيون لمجانبته الحقيقة، وهدفه الحقيقي كان دفع روسيا إلى تشكيل التحالف الجديد ضد فرنسا، أما بقية المقترحات الروسية فقد أهملت من قبل الحكومة البريطانية، ولم تعلق عليها بجواب رسمي طالما لم تتسلم توضيحات بشأنها⁽⁴⁾.

وعلاوة على حاجة بريطانيا الى التحالف العسكري مع روسيا لإيقاف المد الفرنسي، فقد كانت هناك قضايا أخرى اشترت بوضوح حاجة كلا الطرفين إلى ذلك التقارب، ومنها الوقوف بحزم تجاه محاولة نابليون الضغط على السلطان العثماني للاعتراف به إمبراطوراً، بعد أن أضفى على نفسه ذلك اللقب في آيار 1804⁽⁵⁾، إذ حذر السفير الروسي في اسطنبول الحكومة العثمانية بأن روسيا سوف تلجأ الى غلق سفارتها وقطع علاقاتها الدبلوماسية معها، وفي حالة إذعان السلطان لطلب نابليون، فإن الحكومة الروسية ستتصرف طبقاً لما تمليه عليها مصالحها، حتى وأن تطلب ذلك

(1) Brun, G. The Balance of power during the years 1793-1814, in the New Cambridge modern History, Vol 1 X (Cambridge university press), 1956, P. 266;

التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص 63

(2) نقلاً عن: التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص 63.

(3) Wren. C. Melvin, The Cores of Russian History, Second Edition, (New York, 1963) , P. 333.

(4) Brun , op , cit. p266;

العبيدي، احمد، المصدر السابق، ص 88- 89.

(5) المقرحي، ميلاد، تأريخ اوربا الحديث 1453 – 1488، (منشورات جامعة قار يونس بنغازي، 1996)، ص 335.

العثمانية

إعلاناً للحرب، كما طلب من الحكومة العثمانية وعداً بعدم الاعتراف باللقب الجديد لنابليون حتى تعترف روسيا به⁽¹⁾.

أما الموقف البريطاني فكان هو الآخر متشدداً من مسألة لقب نابليون، إذ حصلت بريطانيا على ضمانات من السلطان سليم الثالث بعدم الاعتراف بذلك اللقب بعد أن لوح البريطانيون بإمكانية قيام الأسطول البريطاني بعملية اجتياح للمضائق العثمانية⁽²⁾.

وبسبب جدية الضغوط الروسية والبريطانية أضطر السلطان سليم الثالث إلى عدم الاعتراف بلقب نابليون، الأمر الذي أثار غضب برون السفير الفرنسي في العاصمة العثمانية، فغادرها في الثامن عشر من كانون الأول 1804، وانعكس ذلك على العلاقات الفرنسية – العثمانية إذ سادها الفتور آنذاك⁽³⁾، ومن الجدير بالذكر أن نابليون لم يقدم على غلق سفارته في اسطنبول، إذ عهد إلى القائم بالأعمال الفرنسي بارندييه Paranie بتمشية أمور السفارة، بعد أن زوده بتعليمات كانت تقضي الاستمرار بمناهضة نشاط البريطانيين والروس في اسطنبول، وبشكل لا يشعر معه الباب العالي بأن فرنسا تعمل على ممارسة الضغوط الدبلوماسية عليه للحد من نشاط خصومها⁽⁴⁾.

لم تكن مغادرة السفير الفرنسي للعاصمة العثمانية أو التعليمات التي صدرت إلى بارندييه معناها أن نابليون قرر ترك الباب مفتوحاً أمام البريطانيين والروس لتوثيق علاقاتهم مع الباب العالي، وإنما أخذ يتذرع بكل وسيلة لقطع الطريق عليهما، فأخذ يرسل السلطان العثماني سليم الثالث مباشرة بقصد التأثير عليه. وكتب إليه في الثالث من كانون الثاني 1805 رسالة بين فيها رغبة فرنسا في توثيق علاقاتها مع الدولة العثمانية صاحبة أكبر امبراطورية في الشرق⁽⁵⁾ ثم بعث إليه برسالة أخرى في أواخر الشهر ذاته ضمنها كل معاني الأبهة والتبجيل وجاء فيها ((إلى صاحب السمو والعظمة والقوة، الأمير الذي لا يقهر، امبراطور المسلمين العظيم، السلطان سليم

(1) Puryear , op , p32 ; Shaw , op , cit , Vol 1 , p271.

(2) العبيدي، احمد، المصدر السابق، ص87.

(3) Wren , Op. Cit., P. 333; Puryear , op , cit , P33.

(4) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر....، ج2، ص342.

(5) السراي، المصدر السابق، ص58.

العثمانية

سمير الشرق والفضيلة، صديقنا الأعز الأكمل، زاده الله علّواً وعظمة... أنت ياسليل العثمانيين إليك بهذه الرسالة، وأنا على اضعف مايكون اليقين من وصولها إليك لأن الرجال الساهرين على كل منفذ من منافذ الوصول إليك سيحولون دونها، ألا فأستيقظ ياسليم... إن أعدائك الحقيقيين هم الروس لأنهم يريدون فرض سيطرتهم على البحر الأسود، وأن هذا الهدف غير ممكن إلا بالاستيلاء على القسطنطينية⁽¹⁾.

وحينما وجد نابليون بأن هذا الأسلوب لم يجد نفعاً، كتب رسالة أخرى شديدة اللهجة في شباط موبخاً السلطان سليم الثالث بقوله: ((هل تخلّيت عن العرش؟ وهل يمكن للسلطان أن يكون أعمى من احتمال تعرض القسطنطينية إلى هجوم روسي وشيك؟ إن هذا يعني نهاية للأسرة العثمانية))⁽²⁾، وتساءل أيضاً: ((هل زال حكمك وأقطع وأنت سليل العثمانيين الأمجاد وإمبراطور إحدى كبريات إمبراطوريات العالم؟ وكيف أجزت لنفسك الرضا بتلقي الأوامر من روسيا؟))⁽³⁾.

لم تجد أساليب الترغيب والترهيب التي انتهجها نابليون في دفع الحكومة العثمانية لمناهضة النشاطات الروسية والبريطانية، فبعد أن توصل البريطانيون والروس الى توقيع معاهدة للتحالف في الحادي عشر من نيسان 1805، تعاهد فيها الطرفان على إرجاع فرنسا الى حدودها الأصلية، وتعهدت بريطانيا بتقديم مساعدات مالية مقابل تقديم روسيا جيوشها لمقاتلة فرنسا⁽⁴⁾ فقد عمدت السياسة البريطانية إلى تكثيف الضغوط على الباب العالي في محاولة لضم الدولة العثمانية إلى التحالف الأوربي المناهض لنابليون، إذ هدد السفير البريطاني شارل اربثنوت Arbuthnot Charles في حزيران 1805 بمغادرة اسطنبول إذا لم تحدد الحكومة العثمانية تحريراً موقفها المناوئ لفرنسا وتجدد معاهدة التحالف الموقعة مع روسيا، وفي حالة رفض السلطان العثماني تجديد تلك المعاهدة، فسوف تلجأ روسيا إلى مهاجمة الدولة العثمانية⁽⁵⁾، وعلى الرغم من جهود تاليران الذي أعطى أوامره إلى القائم بالأعمال بارندييه ببذل أقصى الجهود للحيلولة دون حصول تحالف بريطاني -

(1) نقلاً عن: خوري، المصدر السابق، ص214.

(2) نقلاً عن: العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص86.

(3) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص342.

(4) Wren, Op. Cit , PP. 333-334;

بالمر، المصدر السابق، ج2، ص252 - 253

(5) Puryear , op , cit , p 56

العثمانية

عثماني – روسي، إلا ان الحكومة الروسية تمكنت وبتشجيع الدبلوماسية البريطانية⁽¹⁾ في الثالث والعشرين من أيلول 1805 من عقد معاهدة تحالف جديدة مع الدولة العثمانية، انضمت بموجبها الأخيرة إلى التجمع الأوربي المناهض لفرنسا⁽²⁾ وقد نصت المعاهدة على التزام روسيا والدولة العثمانية بتقديم الدعم العسكري بعضهما البعض في حالة تعرض أحدهما إلى هجوم من قبل دولة أخرى، و حصلت روسيا في البندين الرابع والسابع على تعهد من العثمانيين بالمحافظة على الجزر السبع، والسماح للأسطول الحربي الروسي بإستخدام البسفور والدردينيل لتعزيز الحاميات الروسية هناك، وعدة حماية المضائق العثمانية والبحر الأسود مسؤولية مشتركة بين العثمانيين والروس، وأن يتم غلقها بوجه السفن الحربية العائدة للدول التي لا تقع على هذا البحر⁽³⁾

(1) كان مدار الرفض العثماني لتجديد معاهدة التحالف مع روسيا والموقعة في عام 1798 هو لأصرار الأخيرة على ادخال بنود سرية ملحقه بالمعاهدة المجددة، وكان من ضمن هذه البنود السرية هي أن يكون لروسيا الحق في إرسال قوة عسكرية كبيرة الى الولاياتين الدانوبيتين العثمانيتين ولاشيا ومولدافيا وبند آخر ينص على إعتراف الدولة العثمانية منح روسيا حق التدخل العسكري في صالح رعايا الدولة العثمانية من اصحاب المذهب الأرثوذكسي والمقصود بذلك وضع أولئك تحت حماية روسيا ووصايتها، وكانت حجة روسيا من إصرارها على هذين البندين رغبتها في تحرير موارد الدولة العثمانية من النفوذ الفرنسي! ولما كانت هناك بنود سرية أخرى من ضمنها أن يكون (كما لروسيا حق إتخاذ تدابير إحترازية في إحتلال الولاياتين) لبريطانيا حق إرسال قوه عسكرية لإحتلال الأسكندرية، بحجة الحيلولة دون قيام نابليون بإرسال قوة جديدة لأحتلال مصر مرة أخرى، ولما كانت الحكومة البريطانية غير مستعدة وقتذاك لإرسال قوات الى مصر، ولكن موافقة الباب العالي سلفاً على هذا الإجراء سوف يكون له شأن عظيم إذا حدث في اثناء الحرب إنه صار لا معدى عن اتخاذه، فقد جاء = تحرك السفير البريطاني دبلوماسياً على الشكل التالي: أولاً الضغط على الباب العالي قدر الاستطاعة لقبول تلك البنود اما في حالة رفضه لها وهذا ماتم بالفعل فيتم التوجه نحو الروس لتلطيف مطالبهم بحذف هذين البندين، وهذا أيضاً هو الذي تم بالفعل خاصة وأن الظروف أيضاً قد خدمت اربوثنوت في تلطيف مطالب الروس، إذ استلم السفير الروسي ايتالينسكي مذكرة من حكومته تشير عليه ليس بسحب هذين البندين فقط وإنما سحب كل البنود السرية والتوصل الى تفاهم مع الباب العالي بأي ثمن لتوقع قيام الحرب قريباً بين فرنسا وروسيا. شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص344 – 345.

(2) Howard, Op. Cit., P. 14;

الشناوي، عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج1، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980)، ص200.

(3) The Russo – Turkish Treaty of Alliance 23 September 1805 , Quoted in: Anderson , the great power and near east , pp 25 -27.

العثمانية

والحقيقة أن التحالف العثماني – البريطاني – الروسي لم يكن صليداً إلى حد الصمود إزاء المتغيرات والإنعكاسات التي رافقت الصراع بين جيوش التحالف الأوروبي الثالث وجيوش نابليون في أوروبا، فتحطم الأسطول الفرنسي أمام الأسطول البريطاني في معركة الطرف الأغر في الحادي والعشرين من تشرين الأول 1805⁽¹⁾ اقنع الفرنسيين بإستحالة تحقيق انتصار بحري على بريطانيا في أوروبا مما حدا بنابليون إلى إعادة النظر بخططه لتدمير قوة بريطانيا في الشرق الذي بات ((الهدف الأستراتيجي للإمبراطور))⁽²⁾، لكن نابليون استطاع ان يمحو هزيمة الطرف الأغر بانتصارات انعكست نتائجها ليس فقط على صعيد علاقاته مع الدولة العثمانية، وإنما أدت إلى زعزعة التحالف البريطاني – الروسي – العثماني، إذ تمكنت جيوشه من دخول العاصمة النمساوية فيينا بعد أن ألحقت الهزيمة بالجيش النمساوي في معركة أولم Ulm في السابع عشر من تشرين الأول 1805، أعقب ذلك إلحاق الهزيمة بالجيوش النمساوية والروسية في معركة أسترلitz Austerlitz في الثاني من كانون الأول، حيث اضطرت النمسا إلى التوقيع على صلح برسبورغ Presborg في السادس والعشرين من كانون الأول فأجبرت على الاعتراف بما حققه نابليون من مكاسب في إيطاليا، كما حصل الفرنسيون على دلماشيا والبندقية وأستريا وبذلك أصبحت لفرنسا حدود مشتركة مع الدولة العثمانية⁽³⁾ الأمر الذي عزز موقف فرنسا في الشرق⁽⁴⁾ وقد صرح نابليون إلى المقربين منه بذلك موضحاً لهم بأنه بعد أن

(1) Plump. J. H. England in the Eighteenth Century 1714-1815,(London, 1950), P. 207; Dane , op , cit ,pp 247, 281;

المقروحي، المصدر السابق، ص336.

(2) نقلاً عن: العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص152.

(3) Kinross , The ottoman centuries , The rise and Fall of the Turkish Empire , (New York , 1977) , p429 ; Shaw , Op .Cit , Vol 1 , p272 ; Wren , op , cit , p334.

الحويك، الياس، تاريخ نابليون الأول، ج2، منشورات دار الهلال، (بيروت، 1981)، ص59-70.

(4) كان من المقرر انه بعد تجديد المعاهدة العثمانية الروسية، تبدأ مباحثات بين الجانبين البريطاني – العثماني لتجديد معاهدة التحالف بينهما لعام 1799، وكان سبب هذا الترتيب أو تأخير المباحثات البريطانية العثمانية بعد المباحثات العثمانية الروسية، هو وجود مسائل عالقة تحتاج الى بحث معمق بين البريطانيين والعثمانيين وتتعلق بمسائل التعريفه الكمركية، فضلاً عن هذا السبب فأن السفير البريطاني شارل اربوتنوت لما وصل الى اسطنبول لم يكن يحمل معه أية تعليمات محددة من حكومته حول المواد

العثمانية

انتصر على روسيا والنمسا في اوسترليتز ((لم يعد لديه ما يفعله في أوروبا)) وملوحًا بأسلوب خفي بأن نشاطه يجب أن يتركز من الآن فصاعداً على البلدان الواقعة خارج أوروبا وفي مقدمتها الدولة العثمانية⁽¹⁾ ، وما يؤيد ذلك أن تاليران عندما اقترح على نابليون بأن تعوض النمسا عن الأقاليم التي فقدتها بموجب صلح برسبورغ بإمارتي الدانوب وشمال بلغاريا، وهدفه من ذلك أن يخلق حاجزاً يحول به دون وصول روسيا إلى اسطنبول، ويجعل روسيا في الوقت نفسه تتجه بطموحاتها نحو آسيا الأمر الذي سيؤدي بها إلى التصادم مع بريطانيا، إلا أن نابليون رفض ذلك وفضل التوجه مباشرة بسياسته نحو أسطنبول⁽²⁾ التي كانت لانتصاراته صدى بالغ الأثر فيها، فقد

التي يجب ان تتضمنها المعاهدة المجددة، وعليه ففي الوقت الذي دخل فيه الروس والعثمانيين بمباحثاتهم الخاصة بهم، بقي السفير البريطاني ينتظر وصول تعليمات حكومته التي وصلت بالفعل في الخامس والعشرين من تشرين الأول 1805، فكان وصولها متأخراً إذ أن الموقف الدولي سرعان ما أخذ بالتغير كما أشرنا نتيجة الانتصارات الفرنسية وقامت العقبات العديدة تحول دون إبرام المعاهدة. شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص345.

(1) التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص63.

ومما هو جدير بالذكر أنه علاوة على الأسباب الخاصة بالدولة العثمانية التي دفعت نابليون للتقارب معها، فإن هناك أسباباً أخرى غير مباشرة، وتتعلق تلك الأسباب بالعلاقات الفرنسية - الفارسية، أو =بعبارة أخرى ان التقارب مع فارس وأهمية العلاقات معها انعكست على العلاقات الفرنسية- العثمانية، أي أن الدولة العثمانية كانت مفتاحاً للتقارب الفرنسي مع فارس، التي كان نابليون يركز عليها كثيراً في صراعه ضد الروس والبريطانيين، ولما كان نابليون يدرك أن أمر التقارب مع فارس في عام 1805 مرهون بتقديم مساعدات عسكرية إلى ذلك البلد لتمكينه من الصمود في حربه ضد الروس فقد كان حري بنابليون أن يفكر بأمر الطرق التي يمكن بواسطتها إيصال تلك المساعدات إلى بلاد فارس ، وما هو حري بالملاحظة أن الميرزا رضا قلي نوائي (وزير الأرتباطات الخارجية الفارسي) سأل اسكندر روميو مبعوث نابليون إلى إيران في عام 1805 حول أي طريق سوف تسلكه فرنسا الطريق البحري أم الطريق البري في إيصال مساعداتها إلى بلاد فارس، السراي، المصدر السابق، ص46. ولما كان هناك طريقين لأرسال تلك المساعدات الأول بحري عبر البحر الأسود وإمكانية إستعمال هذا الطريق هو ضرب من المستحيل، لأن معاهدة الثالث والعشرين من أيلول 1805 العثمانية الروسية جعلت إدارة هذا البحر مشتركة بين الروس والعثمانيين، وليس من المعقول أن يسمح الروس بإيصال أية مساعدات عسكرية فرنسية عبر هذا الطريق، إذن لم يبق سوى الطريق البري المار عبر الدولة العثمانية، وهذا وإلى حد ما ما أظفي على الدولة العثمانية أهمية كبرى في نظر نابليون وكل ما تقدم استثنينا منه طموح نابليون في تشكيل حلف ثلاثي فرنسي - فارسي - عثماني موجه بالضد من روسيا وبريطانيا لأننا سنقف على هذا الأمر لاحقاً.

(2) Marriott , op , cit , p174 ; Miller , op , cit , p32.

العثمانية

أخذ روفين القائم بالأعمال الفرنسي⁽¹⁾ يصف لرجال الديوان العثماني ما أحدثته تلك الانتصارات قائلاً ((أن شمس أوسترليتز قد بددت سحب الطرف الأغر وشتتها))⁽²⁾ أضف إلى ذلك ما كتبه تاليران إلى وزير الخارجية العثمانية غداة صلح برسبورغ، بأن تنازل النمسا عن الأراضي التي ضمت إلى مملكة إيطاليا من شأنه أن يجعل - لحسن الحظ - إمبراطور الفرنسيين قريباً من أملاك الباب العالي، ويؤدي ذلك إلى ((تحقيق رغبة الإمبراطور في توطيد صلات المحبة مع السلطان العثماني، ودعم العلاقات بين البلدين))⁽³⁾، فكان لكل ذلك أثره على السلطان العثماني الذي أدرك بأن تحالفه مع الدول المناهضة لفرنسا، لا يعدو أن يكون حلفاً ميثاقاً، وإنه بأختياره لذلك الحلف فقد اختار الطرف الخاسر، ولتعويض هذه الخسارة فلا معدى من التقارب مع الإمبراطور الفرنسي⁽⁴⁾، وما إن وصل روي Rouy مبعوثاً من نابليون إلى السلطان سليم الثالث، يحمل له رسالة شخصية في طيها تفاصيل صلح برسبورغ، حتى بادر السلطان سليم الثالث وأصدر فرماناً خاصاً في شباط 1806، اعترف بموجبه لنابليون بلقب باديشاه (الإمبراطور)⁽⁵⁾.

وبعد مراسلات بين القائم بالأعمال الفرنسي والسلطان العثماني، استهلها السلطان برسالته المؤرخه في الثامن والعشرين من شباط 1806 ومما جاء فيها بأنه ((لا يزال صديق فرنسا القديم والمتعصب لها شخصياً))⁽⁶⁾ وأوضح له القائم برسالته الجوابية بأن الإمبراطور بما انه ((هو الصديق الحميم للعثمانيين فإنه سوف يكون سعيداً إذا ماتم إرسال سفيركم...))⁽⁷⁾، وبدا السلطان وكأنه يولي بوجهه عن البريطانيين والروس، والميل بمشاعره نحو الفرنسيين، وبرهان ذلك إرساله سفارة

(1) حل محل بارندييه الذي سحبته حكومته في أواخر تموز 1805.

(2) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص346.

(3) Creasy. E. S., History of Ottoman Turks, from the beginning of Empire to the present time, Vol. II, (London, 1956), P. 365.

(4) Shaw , op , cit , Vol 1 , p 272.

(5) Puryear , op , cit , p67 ;

جودت، تاريخ جودت، جلد ثامن، (اسطنبول، 1309)، ص46.

(6) Quoted in : puryear , op , cit , p72

(4) Ibid.

العثمانية

فوق العاده إلى فرنسا، محملة بالهدايا الثمينة إلى نابليون⁽¹⁾، ومرحباً من خلالها بنابليون عاداً إياه ((أقدم وأخلص حليف وأكثرهم ضرورة لتركيا))⁽²⁾، ثم تعيين محب أفندي المناصر للفرنسيين على رأس هذه السفارة، مزوداً إياه بالتعليمات الخاصة بعقد تحالف عثماني - فرنسي⁽³⁾، أما نابليون فمن جانبه فقد طلب من تاليران في آذار 1806 بأن يكثف إتصالاته بالسلطان العثماني قاصداً وده، وللحيلولة دون وقوعه من جديد في شباك البريطانيين أو حبال الروس⁽⁴⁾.

أما روسيا التي أخذت تراقب التقارب العثماني الفرنسي بكل قلق وحذر فقد أمرت سفيرها أيتالينسكي في آذار أيضاً بتقديم إنذار إلى الحكومة العثمانية، فحواه أنها ستحتل الامارتين الدانوبييتين ولاشيا ومولدافيا في حال استغراق الدولة العثمانية بتقاربها مع فرنسا⁽⁵⁾ ذلك أن ((القيصر الروسي لا يستطيع أن ينظر بلا مبالاة إلى المصير المؤلم لهذين الإقليمين المجاورين لأمبراطوريته واللذين ضمننت المعاهدات المعقودة بين البلدين رفاههما)) على حد قول ايتالينسكي للسلطان سليم الثالث⁽⁶⁾.

(1) جودت، المصدر السابق، جلد 8، ص 46.

(2) نقلاً عن : التكريتي، هاشم، الصراع الفرنسي في البلقان...، ص 63.

(3) جودت، المصدر السابق، جلد 8، ص 47.

(4) خوري، المصدر السابق، ص 217.

(5) العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص 96.

(6) نقلاً عن: التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص 64.

وحرى بنا القول أن الحكومة الروسية وأنسجماً مع سياستها الجديدة تجاه الدولة العثمانية، وقطعاً للطريق أمام أية محاولة فرنسية لاستغلال نضال شعوب البلقان، أخذت تعمل على أعاقه أية انتفاضة معادية للسيطرة العثمانية في الأقاليم البلقانية، لكن مع بقاء الجهد الدبلوماسي الروسي في اسطنبول للضغط على الحكومة العثمانية لتحسين اوضاع مسيحي البلقان، لأعتقد الساسة الروس بأن نجاح مثل هذه الجهود من شأنه ان يساعد على توسيع النفوذ الروسي في البلقان دون حصول تعقيدات في علاقات روسيا مع الباب العالي، ويعالج في الوقت نفسه تدمير الشعوب البلقانية، ويقضي بالنهاية على أية محاولة للتدخل من قبل الدول الأخرى لاسيما فرنسا، ولأجل كل ذلك فقد أخذت الحكومة الروسية تعمل من اجل التوصل مع الحكومة العثمانية إلى عقد اتفاقية ثنائية تقرر فيها حقوق وإمتيازات ولاشيا ومولدافيا وفي الرابع والعشرين من ايلول 1802 تم التوصل الى اتفاقية عززت مكانة القيصر الروسي في الولاياتين، إذ منحه الحق في التدخل في اسطنبول نيابة عنهم، ومنحت الولاياتين أمتيازات اضافية لما تضمنته المراسيم التي أصدرها السلطان خلال السنوات 1775 - 1791 ومن هذه الأمتيازات ان الأميرين المعينين فيهما لا يُعزلان إلا بعد مضي سبعة سنوات على ولايتهما، وإذا أريد عزلهما قبل ذلك لجرم ارتكبه احدهما او كلاهما فإن ذلك لا يتم إلا وفق ما تحدده لجنة متابعة مشتركة عثمانية - روسية. كما الغيت الضرائب

العثمانية

وفي خطوة استباقية قررت الحكومة الروسية توجيه أسطولها الحربي المرابط في البحر المتوسط منذ خريف 1805 للسيطرة على كوتور (Cotor) أهم منفذ لإمارة الجبل الاسود على بحر الأدرياتيك في آذار 1806، في حين قامت مجموعة من السفن الحربية الروسية بمحاصرة الساحل الدلماشي الذي يربط به الفرنسيون⁽¹⁾.

ولما كانت العلاقة بين فرنسا والدولة العثمانية قد توثقت إلى الحد الذي طلب فيه تاليران من الباب العالي إلغاء معاهدة التحالف العثمانية الروسية الموقعة في أيلول 1805، إذ تبيح للأخيرة مروراً حراً عبر المضائق⁽²⁾ فقد استغلت الحكومة العثمانية الإنذار الروسي وتحركت باتجاه سحب حق روسيا بذلك المرور، وطلب واصف أفندي وزير الخارجية العثمانية بمذكرة مؤرخة في الرابع عشر من نيسان 1806 إلى السفير الروسي ان يوقف مرور البوارج الحربية الروسية عبر المضائق إلى المتوسط بحجة أن مواصلة ذلك المرور يلحق ضرراً بمصالح الدولة العثمانية، إذ أنه يقضي على حيادها في الصراع القائم بين روسيا وبريطانيا من جهة وفرنسا من جهة أخرى⁽³⁾، كما ذهب الباب العالي بعيداً في موقفه العدائي من روسيا لدرجة انه ألغى في حزيران 1806 جميع الإمتيازات الممنوحة للتجار الروس⁽⁴⁾ فما كان من السفير الروسي إلا وأبدى أسفه لتصرفات الحكومة العثمانية، وأعلن رفض حكومته لجميع مطالبها وإجراءاتها التي تمس صميم المصالح الروسية، وعدّ ذلك أمراً غير مقبول معتقداً أنها محاولات للتخلص من إحدى أهم بنود معاهدة التحالف الروسي - العثماني مما يجعل روسيا تحتفظ بحقها في اللجوء الى استخدام القوة للدفاع عن تلك المصالح⁽⁵⁾، وهب السفير البريطاني شارل أربو ثنوت لأسناد زميله الروسي بأن

التي فرضت بعد عام 1783 على الولاياتين، ووسعت الأمتيازات من مشاركة البويار المحليين في إدارة الأمارتين فأصبح حاكمي الولاياتين عميلين لروسيا وتابعين لسياستها.

Anderson , The Eastern Question , P. 33; Miller , Op. Cit. P. 31 ; Crawly ,Op. Cit., P. 537; Puryear , Op. Cit., P. 11.

(1) التكريتي، هاشم، الصراع الفرنسي الروسي في البلقان...، ص64.

(2) جودت، المصدر السابق، جلد 8، ص48.

(3) خوري ، المصدر السابق، ص 217.

(4) الشناوي، المصدر السابق، ص205.

(5) العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص97.

العثمانية

حذر العثمانيين من اتخاذ أية إجراءات تثير غضب روسيا، وهدد السفير بأن الحرب بين روسيا والدولة العثمانية، سوف تتبعها لا محالة غارة للأسطول البريطاني المرابط في البحر المتوسط على املاك الدولة العثمانية المطلّة عليه⁽¹⁾ وجد نابليون في توتر العلاقات الروسية العثمانية فرصة أخرى مناسبة لتنفيذ مشروعه في الشرق، فكتب إلى تاليران في مطلع حزيران 1806 ((إن الهدف الشامل لسياستي هو أن أنشيء حلفاً ثلاثياً يضمني مع الباب العالي وفارس وموجه بشكل مباشر أو غير مباشر ضد روسيا.... وأنا ارجب بتعزيز قوة إمبراطورية العثمانيين))⁽²⁾، ثم سارع الى تعيين الجنرال سبستيان سفيراً لفرنسا في اسطنبول في الشهر ذاته خلفاً للجنرال برون، وعهد إليه نابليون بأن يقنع السلطان العثماني بضرورة إتخاذ القرار الحاسم بالوقوف إلى جانب فرنسا ((ضد العدو المشترك)) روسيا وبريطانيا، من خلال التوصل إلى معاهدة تحالف فرنسية - عثمانية⁽³⁾.

ومما سهل مهمة سبستيان في اسطنبول التي وصلها في العاشر من آب 1806⁽⁴⁾ أن سفارته جاءت في وقت كانت فيه الثورة الصربية قد أخذت مأخذها في زيادة شكوك الدولة العثمانية بنيات روسيا، تلك التي أقدمت على مقابلة وفد الثوار الصرب بالترحاب و ((قدمت لهم مساعدات مالية ووعدت بإسنادهم دبلوماسياً))، كما قدمت لهم النصائح بعدم القاء السلاح من وجه الدولة العثمانية، وبناء على هذا الأسناد فقد حقق الثوار الصرب نجاحات كبيرة خلال الأعوام 1805 - 1806 بحيث لم تعد الإنتفاضة مقتصرة على باشوية بلغراد بل تعدتها وشملت المناطق المتاخمة لها⁽⁵⁾.

إذا كانت سياسة روسيا تجاه الثوار الصرب بهذا الشكل فمن الجدير بالذكر أن نابليون كان قد أوعز إلى تاليران في الحادي عشر من حزيران 1806 بأن يتصل بالسفير العثماني في باريس ويؤكد له ((إذا حاول الصرب الاتصال بإمبراطور الفرنسيين، فإنه لن يتأخر لحظة في إطلاع الباب العالي بالأمر، وإنه لن يستمع إلى

(1) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر....، ج2، ص348.

(2)Anderson , The eastern question. p 37 ; Marriott , op ,cit. p175.

(3)Jonquiere , op ,cit , p 326 ;

جودت، المصدر السابق، جلد 8، ص49.

(4) الشناوي، المصدر السابق، ص205 ؛ أمجن، المصدر السابق، ص85.

(5) التكريتي، هاشم، المسألة الشرقية...، ص71

العثمانية

الثوار إلا بعد إن يلقوا سلاحهم، وعلى الباب العالي أن يقارن بين موقف روسيا واستعداد فرنسا ليتبين أي الدولتين هي الصديقة الصادقة (((1).

ومما عظم من مهانة روسيا في أنظار مسؤولي الباب العالي، ما عُرِف في اسطنبول في السادس عشر من آب 1806 من أخبار حول إبرام روسيا على يد مبعوثها اوبريل Oubril صلحاً منفرداً مع فرنسا في باريس في العشرين من تموز 1806 (2)، الذي كان من شروطه ان تتخلى روسيا لنابليون عن كوتور وأن يقتصر وجود القوات الروسية على الجزر الأيونية بـ (4000) مقاتل فقط، ووافق نابليون من جانبه على إيقاف الأعمال العدائية ضد سكان الجبل الأسود، إذا ظلوا رعايا تابعين للدولة العثمانية (3)، وعلى الرغم من عدم مصادقة القيصر الروسي على بنود هذه المعاهدة بسبب الضغط البريطاني عليه، إلا إن رضوخ روسيا لهذه الشروط كان كافياً للدلالة على اعترافها بتفوق الإمبراطور الفرنسي بل كافياً لأن (((يعلن سبستيان في أظهر زرايته بها، وأتخاذ توقيع ممثلها على هذه المعاهدة دليلاً على

(1) خوري ، المصدر السابق، ص219.

(2) في الثامن عشر من كانون الثاني 1806 توفي وليم بت الأصغر، وخلفه في رئاسة الوزارة البريطانية جورج كرنفيل (شباط 1806 – آذار 1807) وكان هذا أقل من سلفه ميلاً للحرب مع فرنسا، ولهذا كانت باكورة اعمال وزارته هو الأتصال بالأسكندر الأول ومباحثته في وقف الحرب ومصالحة فرنسا، ولهذا أوفد رئيس الوزراء البريطاني أحد كبار أعوانه وهو يارموت (yarmot) إلى =باريس ليشارك نظيره الروسي الكونت اوبريل في مفاوضات تاليران ثم الجنرال كلارك بعد ذلك عن الجانب الفرنسي، وفي الوقت الذي توصل فيه الروس والفرنسيين في مباحثاتهم المنفردة الى اتفاق ثنائي في العشرين من تموز 1806 إلا ان البريطانيين لم يتوصلوا مع الفرنسيين الى اتفاق مماثل وكان محور اختلافهم حول صقلية التي أصر الفرنسيون على التمسك بها في مقابل مالطة التي تمسك بها البريطانيون، ولما لم يتوصل البريطانيون والفرنسيون الى اتفاق فليس من المعقول ان يسمحوا لحلفائهم الروس ان يسيروا قدماً في علاقاتهم مع الفرنسيين، فأخذوا يحرضون الروس ضد الفرنسيين وكانت مهمتهم سهلة في هذا المجال إذ ان الروس ما ان وقع ممثلهم على المعاهدة حتى وجدت حكومته أنها لا تلبى مطامحها، بل انها على العكس تعطي افضليات واسعة للفرنسيين ولهذا قررت التنصل عنها ولم يصادق عليها القيصر الروسي.

Puryear , op , cit , pp95 - 98 ;

خوري، المصدر السابق، ص221-222.

(3) التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص66.

العثمانية

مبلغ مهانتها وصار يحض الباب العالي على التحرر من نفوذ روسيا وسلطانها عليه⁽¹⁾.

تصرف الجنرال سبستيانى تصرفاً دبلوماسياً ناجحاً حينما قام بزيارة إلى أمارتي الدانوب في آب 1806، إذ تمكن بعد عودته من إقناع السلطان سليم الثالث بأن أبيسلانتي Abeslanty حاكم ولاشيا وموروزي Morozy حاكم ملدافيا هما عميلان لروسيا، فبادر السلطان في الرابع والعشرين من آب بعزلهما متحدياً بذلك معاهدة 1802 المنظمة لشؤون هاتين الولايتين واستبدلهما بأمرين موالين لفرنسا الأمر الذي اثار حفيظة السفيرين الروسي والبريطاني على حد سواء، فقدما احتجاجاً للسلطان العثماني حول ذلك⁽²⁾.

لم يكتف السفيران بذلك بل وجه السفير الروسي ايتالينسكي الى الحكومة العثمانية إنذاراً في الثامن من أيلول 1806 طالب فيه الحكومة العثمانية بوجوب إعادة النظر في قرارها، والاستمرار في الاعتراف بحق روسيا بالعبور عبر المضائق، فضلاً عن تجديد معاهدة التحالف العثمانية الروسية⁽³⁾، أما السفير البريطاني فقد اندفع إلى الأكثر من ذلك بأن أرسل إلى حكومته في الخامس عشر من أيلول 1806 مستصرخاً إياها الدعم وقائلاً ((إذا لم تتحرك بريطانيا بأساطيلها فإن الفرنسيين سيقومون بتعزيز الاستحكامات العسكرية في المضائق ويكون هذا العمل موجهاً ضد بريطانيا))⁽⁴⁾.

وأزاء ازدياد الضغوط والتهديدات البريطانية والروسية واحتمالية إذعان العثمانيين لذلك، تقدم سبستيانى بمذكرة شديدة اللهجة الى الحكومة العثمانية في السادس عشر من أيلول 1806، طالب فيها بإغلاق المضائق العثمانية بوجه السفن الحربية الروسية، وأوضح ان عدم الاستجابة لهذا المطلب يعد عملاً عدائياً موجهاً ضد فرنسا، كما وحذر بأن كل تحالف جديد أو استمرار العمل بتحالف قديم بين الدولة

(1) نقلاً عن: خوري، المصدر السابق، ص 223؛ شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج 2، ص 348.

(2) Kinross, op, cit, P429; Creasy, History of the Ottoman..., P. 365; حسون، علي، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، ط 3، (بيروت، 1994)، ص 155؛ بكديلي، المصدر السابق، ص 85.

(3) Puryear, op, cit, p103; Creasy, History of the Ottoman..., P. 365.

(4) نقلاً عن: الشناوي، المصدر السابق، ص 205.

العثمانية

العثمانية وبين بريطانيا وروسيا، لن يكون خرقاً صريحاً لحياذ الدولة العثمانية فحسب، وإنما يعد اسهاماً إيجابياً وواضحاً من الدولة العثمانية في الحرب التي شنتها بريطانيا وروسيا ضد فرنسا، وأكد السفير الفرنسي في مذكرته إن الإمبراطور سيجد نفسه مضطراً فيما إذا أهملت الدولة العثمانية مطالبه إلى اتخاذ ما يراه متفقاً مع ما تقتضيه مصالحه والمحافظة على هيئته، وإن القوات الفرنسية الكثيفة المرابطة في دلماشيا وهي قوات مقصود بها اساساً الدفاع عن الدولة العثمانية ضد أطماع بريطانيا وروسيا ستوجه إلى أغراض تتعارض تعارضاً جذرياً مع الغرض الأول الذي من أجله أرسلت إلى دلماشيا⁽¹⁾. ويبدو إن هذا السيل من عبارات التهديد والوعيد، قد دفعت بالحكومة العثمانية إلى إعادة النظر في موقفها من روسيا وبريطانيا، إذ أعلن وزير الخارجية العثمانية في الرابع والعشرين من أيلول 1806 عن عزم بلاده القيام بغلق المضائق العثمانية بوجه السفن الحربية الروسية، ورفضها لتجديد معاهدة التحالف البريطانية العثمانية أو العثمانية الروسية⁽²⁾.

لقد أثارَت المعلومات التي تضمنتها التقارير البريطانية عن التحركات الفرنسية في العاصمة العثمانية مخاوف السفير البريطاني اربوثنوت، التي تشير إلى احتمالية قرب التوصل إلى معاهدة تحالف فرنسي - عثماني، فطلب من قيادة الأسطول البريطاني في البحر المتوسط إرسال عدد من السفن الحربية لترابط في المضائق العثمانية تحسباً لأية حالة مفاجئة، و طلب السفير إرسال سفينة لنقل أفراد عائلته، وفي الوقت ذاته قدم تحذيراً إلى الحكومة العثمانية انه في حالة اندلاع حرب روسية عثمانية، فإن القوات البريطانية ستعمل على تقديم الدعم للمجهود الحربي الروسي، و انه سيعلق أعمال السفارة ويغادر اسطنبول، وعلى الرغم من احتجاج الحكومة العثمانية على تحذيرات السفير البريطاني التي وصفها السفير العثماني في لندن صدقي أفندي بأنها ((غير مبررة ولا مسوغ لها)) إلا إن الحكومة البريطانية أيدت إجراءات سفيرها وعدتها خطوة بالاتجاه الصحيح⁽³⁾.

(1) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص349.

(2) Puryear , op ,cit , p105;

خوري ، المصدر السابق، ص223.

(3) Puryear, op ,cit. p106 ; Kinross , op , cit , p429 ;

العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص103 – 104.

العثمانية

وأنظم السفير الروسي في اسطنبول الى زميله البريطاني في ممارسة المزيد من الضغط على الحكومة العثمانية، فجدد احتجاجه على تغيير أميرى ولاشيا ومولدافيا، مؤكداً على إصرار بلاده على ممارسة حقوقها بالعبور عبر المضائق، التي تقرها المعاهدة المعقودة قبل بضعة أشهر، و هدد هو الآخر بتعليق أعماله ومغادرة اسطنبول⁽¹⁾.

تزامن هذا الضغط البريطاني والروسي على الحكومة العثمانية مع وصول أخبار بعث بها السفير البريطاني في فينا روبرت اداير R. Adair، منبأة بتوقع قيام تحالف جديد ضد فرنسا، يضم كل من السويد والدنمارك وبروسيا ومن المحتمل النمسا إلى جانب بريطانيا وروسيا⁽²⁾، وبسبب هذه المستجدات مع ما سبقها من أسباب تخص الضغط البريطاني والروسي فقد أصبح السلطان العثماني ((يفضل رؤية الحرب تستعر أوارها بالبوسنة – على حدود دلماشيا التي يتواجد بها الفرنسيون – على نشوبها تحت أسوار قصره في اسطنبول)) على حد قوله شخصياً⁽³⁾، فراجع عن قراره القاضي بعزل أميرى ولاشيا ومولدافيا وأعادهما إلى منصبيهما في الثالث عشر والخامس عشر من تشرين الأول 1806⁽⁴⁾، وفي الثامن عشر من الشهر ذاته كتب السفير الروسي لقيصره عن ذلك التراجع⁽⁵⁾.

لكن هذا النجاح الجزئي للبريطانيين والروس لم يدم طويلاً، فالنجدة التي سبق أن طلبها السفير البريطاني في الخامس عشر من أيلول قد وصلت على هيئة أسطول بقيادة السير توماس لويس T. Louis الى جزيرة تيندوس في منتصف تشرين الأول وأجتازت إحدى سفنه مضيق الدردنيل، وألقت مراسيها أمام اسطنبول، فأستغل السفير الفرنسي سببتياني هذه الخطوة ليدلل للعثمانيين عن نوايا البريطانيين، ثم تحويل الباب العالي الى تأييد فرنسا مجدداً، مستغلاً أثر الانتصارات العسكرية التي حققتها جيوش نابليون على الجيوش البروسية في معركتي ينا Yana واورشتاد Orshtad وتمكنها من دخول برلين في السابع عشر من تشرين الأول 1806⁽⁶⁾، إذ ما ان ابلغ سببتياني

(1) المصدر نفسه، ص104.

(2) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص349.

(3) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص350.

(4) Kinross , Op . Cit , p429 ; Shaw , Op. Cit, p273 .

(5) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص351.

(6) Shaw , Op . Cit , p 273 ; Wren. Op .Cit , p 335 – 336 ;

العثمانية

نتائج هذه الانتصارات للحكومة العثمانية حتى كشف له وزير الخارجية العثمانية غالب افندي بأن السلطان سليم كان ينتظر مثل تلك الظروف للتحالف مع فرنسا⁽¹⁾. حاول نابليون ان يستفيد من تلك الظروف لتنشيط سياسته تجاه الباب العالي، فبادر بالكتابة الى السلطان سليم الثالث، معبراً له عن مودته وحرصه على مجد الإمبراطورية العثمانية فر((لدي الأرادة لأنقاذها، وأنا أضع انتصاراتي تحت تصرفنا المشترك))⁽²⁾ و وجه سفيره سبستاني بأن يستعجل السلطان ليعلن الحرب على روسيا لاستعادة منطقة القرم منها⁽³⁾.

كثف سبستاني اتصالاته مع المسؤولين العثمانيين، وعند لقائه بوزير الخارجية العثمانية أحتج لديه على مرور السفينة الحربية البريطانية عبر المضائق، وأستطاع ان يقنعه بأن يطلب مجدداً من الحكومة الروسية وقف مرور سفنها الحربية ايضاً⁽⁴⁾ وأوضح له بأن الباب العالي إذا كان يخشى بأن يفضي حرمان الروس من المرور عبر المضائق الى إعلانهم الحرب ضده، فإن الحكومة العثمانية بإمكانها أن تعزو ذلك إلى ضغط فرنسا عليها⁽⁵⁾ فما كان من وزير الخارجية العثماني إلا وأبلغ السفير الفرنسي بأن حكومته ستمنع السفن التابعة لجميع الدول -وليس روسيا فحسب- من عبور المضائق⁽⁶⁾، وبالفعل فقد أقدمت الحكومة العثمانية في أواخر تشرين الأول 1806 على إلغاء معاهدة التحالف البريطانية العثمانية لعام 1799، ومعاهدة التحالف الروسية العثمانية المجددة في عام 1805⁽⁷⁾ وقررت ايضاً الدخول في مفاوضات مع فرنسا من أجل التوصل إلى معاهدة تحالف، والعمل المشترك على إصلاح القلاع والتحصينات العثمانية في البسفور والدرديل، وتشكيل جيشين كبيرين يربط أحدهما

الشناوي، المصدر السابق، ص205.

وللتفاصيل حول تلك المعارك يراجع: بالمر، المصدر السابق، ج2، ص250 – 256؛ فشر، تاريخ اوربا الحديث...، ص80 – 82؛ المقرحي، المصدر السابق، ص337 – 338.

(1) Puryear , Op .Cit , p 113.

(2) نقلاً عن: التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص67.

(3) خوري، المصدر السابق، ص223.

(4) العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص106.

(5) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص351.

(6) Puryear , Op . Cit , p114

(7) الشناوي، المصدر السابق، ص206؛ بكديلي، المصدر السابق، ص86.

العثمانية

في صوفيا لأخضاع الصرب، والآخر في إسماعيل على احد فروع نهر الطونة في بساربيا، للوقوف بوجه الروس إذا، حاولوا عبور نهر الدنيستر⁽¹⁾. كان رد الفعل الروسي سريعاً وحاسماً، حيث أصدرت الحكومة الروسية أوامرها في الثامن والعشرين من تشرين الأول 1806 الى الجنرال ميكلسون Mecleson قائد القوات الروسية على الدنيستر بإحتلال ملدافيا⁽²⁾ معللة عملها هذا بضرورة قطع الطريق أمام هجوم فرنسي محتمل على الإماراتين، فضلاً عن حماية حقوقهما وامتيازاتهما⁽³⁾ وأنهم لم يقدموا على ذلك إلا لحماية أملاك الصديق السلطان من الخطر الفرنسي، وعليه فإنهم سيسحبون قواتهم حالما تنجز الدولة العثمانية إجراءات تجديد المعاهدة⁽⁴⁾ لكن على الرغم من تسلم الحكومة الروسية في الرابع من تشرين الثاني 1806 كتاب سفيرها في أسطنبول المؤرخ في الثامن عشر من تشرين الأول 1806، الذي اراد فيه أخبارها عن تراجع السلطان سليم الثالث عن قرار عزل الأميرين، إلا أن ذلك لم يثن الحكومة الروسية عن الاستمرار في عملياتها العسكرية، بل أنها عدت ذلك الإجراء العثماني ((موجزاً إلى حد الأقتضاب ولا يسوغ تراجعها))، وإذا كان مطلوباً منها ان تتراجع وتوقف عملياتها العسكرية فهذا يأتي على اثر تعهد تحريري من الحكومة العثمانية تؤكد فيه، تراجعها عن تعطيل مرور السفن الحربية الروسية عبر المضائق ومبادرتها بتجديد معاهدة التحالف مع بريطانيا⁽⁵⁾، كما ارسل وزير الخارجية الروسية الى سفيره في اسطنبول في الحادي عشر من تشرين الثاني 1806 مذكرة برر فيها التحرك العسكري الروسي قائلاً ((إن ادعاء الباب العالي حق منع سفن جلالة الإمبراطور الحربية من المرور عبر المضائق، مضافاً الى الصعاب والعراقيل التي وضعها في أكثر من مناسبة في طريقنا يدل دلالة واضحة على استسلام الحكومة التركية استسلاماً أعمى لإرادة فرنسا...))⁽⁶⁾.

(1) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2 ص351.

(2) Shaw , Op .Cit , p273; Creasy, History of the Ottoman..., P. 366.

(3) التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان..، ص67.

(4) Shaw , Op .Cit .

(5) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص351.

(6) خوري ، المصدر السابق، ص223.

العثمانية

وتجاه ذلك طلبت الحكومة العثمانية في الحادي عشر من كانون الأول 1806 من السفير الروسي مغادرة اسطنبول في غضون ثلاثة أيام، وبالفعل امتثل الأخير للطلب وغادر العاصمة على ظهر السفينة البريطانية كانوبوس Canopus بناء على دعوة السفير البريطاني⁽¹⁾، ثم ما لبثت الدولة العثمانية أن أعلنت الحرب على روسيا في السابع والعشرين من الشهر ذاته، وفي السابع من كانون الثاني 1807 أعلن السلطان العثماني غلق المضائق العثمانية بوجه سفن الملاحة الأجنبية طيلة مدة حربه مع روسيا⁽²⁾.

ومما يجدر ذكره، إن الهجوم الروسي على مولدافيا كان في تشرين الأول 1806، بينما جاء الرد العثماني على الروس بإعلان الحرب في السابع والعشرين من كانون الأول 1806، والسؤال الذي يطرح نفسه ما الذي آخر الحكومة العثمانية كل تلك المدة عن إعلان الحرب وهي على يقين من الحصول على دعم ومساندة فرنسا؟ ثم لماذا لم تتخذ موقفاً مماثلاً ضد بريطانيا التي كانت تؤيد روسيا؟

الحقيقة ان السفير البريطاني اربوثنوت كان على إتصال مستمر مع وزير الخارجية العثمانية غالب أفندي منذ قيام روسيا بإحتلال مولدافيا وحتى إعلان الحرب، إذ كان يأمل أن تسوى الأمور بإنسحاب الروس من هذه الإمارة، تفادياً لوقوع حرب روسية عثمانية لا تتسجم مع المصالح البريطانية فمن جانب فيها تبديد للجهد العسكري الروسي الذي تحرص بريطانيا على توجيهه ضد نابليون فقط، ومن جانب آخر اذا ماتمكن الروس نتيجة ذلك الجهد الحربي من الحاق الهزيمة بالعثمانيين سوف يحصلون على مكاسب تتعارض حتماً مع المصالح البريطانية⁽³⁾، ولعل هذا ما يفسر تأخر الرد العثماني في إعلان الحرب.

أما موقف الحكومة العثمانية من بريطانيا فيمكن ان يعزى الى وجود فئة من الوزراء العثمانيين المناصرين لبريطانيا، وبخاصة وزير الخارجية غالب أفندي، الذي

(1) Creasy, History of the Ottoman..., P. 366;

خوري، المصدر السابق، ص223.

(2) Puryear, Op, Cit., P. 123 ; Kinross, Op, Cit., P. 430;

حسون، الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية...، ص155 – 156.

(3) Puryear, Op, Cit., P. 123.

سرهنك، اسماعيل، حقايق الأخبار عن دول البحار، ج1، المطبعة الأميرية ببولاك، (مصر، 1894)، ص652.

العثمانية

كان يكن كرهاً شديداً للسفير الفرنسي سبستيانى حتى انه كان يصفه بـ ((وزير السلطان))، وان هذه الفئة كانت تخشى هجمات الأسطول البريطاني على اسطنبول ومنطقة المضائق، بعد الأخذ بالحسبان ان سفناً بريطانية أخذت تتحشد قرب مضيق الدردنيل⁽¹⁾. و يمكن أن يفسر موقف الحكومة العثمانية من بريطانيا بأنه محاولة للتفريق بين بريطانيا وروسيا، فبدلاً من مواجهة الدولتين في آن واحد، تكون هناك مواجهة لروسيا وحدها، مستغلة انشغال الأخيرة في حربها ضد نابليون في أوروبا، وضد بلاد فارس في آسيا⁽²⁾.

وأخر ما يمكن ان يضاف من تفسيرات للموقف العثماني، أن الحكومة العثمانية وعلى الرغم مما حدث من تأزم في علاقاتها مع بريطانيا، لكن ليس ثمة شك في رغبتها في الإبقاء على علاقاتها القائمة مع بريطانيا، ودلالة ذلك استجابة الحكومة العثمانية للطلب البريطاني بعزل محمد علي باشا⁽³⁾ عن ولاية مصر، وتوليته بدلاً عنها ولاية سلانيك، بعد ان لمست منه بريطانيا ميله للفرنسيين⁽⁴⁾ وإذا كان محمد علي قد بقي في منصبه بموجب فرمان الصادر في السابع من تشرين الثاني 1806، لكن

(1) العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص 110 – 111.

(2) كانت روسيا في حالة حرب مع فارس منذ عام 1804 على أثر محاولة الروس السيطرة على بعض الأقاليم الفارسية، وقد أستمريت تلك الحرب حتى عام 1813 .

Ivanov, M .C. Histori Irana, (Moscow , 1952), p 131 – 135 ;

أحمد، كمال مظهر، من تأريخ الحروب الإيرانية الروسية، بغداد 1984، ص 28 – 62.

(3) ولد في إحدى جزر بحر ايجة في عام 1769، ودخل الى مصر ضمن الكتيبة الألبانية التي جاءت لمحاربة الفرنسيين في عام 1798، أصبح قائد هذه الكتيبة في عام 1801، وبعد خروج البريطانيين من مصر في عام 1803، استطاع بعدد من المحالفات الناجحة، وضرب الأحزاب المملوكية بعضها ببعض ان يسيطر على مقاليد السلطة في عام 1805 للمزيد من التفاصيل يراجع:

Armajani, yahya, Middle East past and present, (New Jersey, 1970), PP. 211 - 212;

ابراهيم، شحاته عيسى، القاهرة، (دار الهلال، القاهرة، د. ت)، ص 222 – 223.

(4) الصياد، سامي صالح محمد، الموقف البريطاني من سياسة محمد علي باشا في اليونان وبلاد الشام، 1821- 1841، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية، جامعة تكريت، 2001، ص 23.

العثمانية

هذا لم يأت بسبب رضا الحكومة العثمانية أو بريطانيا عليه، وإنما بسبب تمسك الأهالي به⁽¹⁾

(1) ورد في كتاب التماس الأهالي والعلماء الى الباب العالي ((أن الكافة من الخاصة وعامة من الرعاية راضية بولايته وأحكامه وعدله))، غرايبة، المصدر السابق، ص76 ؛ علي، علي شاكر، تجربة محمد علي باشا (1805 – 1840)، مجلة أفاق عربية، العدد التاسع، ايلول، (بغداد، 1993)، ص21.

الفصل الرابع

تأرجح السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية 1807-1809

أولاً. انحسار السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية آذار 1807 - أيلول 1807:

1. الإجراءات البريطانية العسكرية في المضائق العثمانية:

استجابة لما ورد في مذكرة السفير البريطاني في اسطنبول، المؤرخة في الخامس عشر من أيلول 1806، التي سبقت الإشارة إليها، فقد أرسل وزير الحربية وندهام Windham في الحادي والعشرين من تشرين الثاني 1806 الى الجنرال فوكس Fox القائد العام للقوات البريطانية في جزيرة صقلية مذكرة ابلغه فيها بـ ((أن بعض التصرفات التي صدرت عن الباب العالي أخيراً جعلت اتخاذ إجراءات سريعة وحاسمة تجاه الحكومة العثمانية أمراً ضرورياً ولا غنى عنه، ولهذا فقد كُلفت بإبلاغكم إن أوامر صدرت إلى الأدميرال كولنجود Admiral LordCollingwood في وزارة البحرية، لإرسال قوة كافية من سفن حضرة صاحب الجلالة تحت قيادة ضباط ذوي مقدرة وتجارب، وإعطائهم تعليمات بأن يتقدموا دون اضاءة لحظة واحدة من الوقت الى مضائق اسطنبول، حيث يتخذون موضعاً يتيح للأسطول ممارسة أعمال عدائية ضد اسطنبول في حالة فشل المساعي التي كُلف مستر اربوثنوت القيام بها لدى الحكومة العثمانية))⁽¹⁾.

قادت التطورات التي شهدتها الدولة العثمانية مطلع عام 1807 الى اقناع الحكومة البريطانية بالتحذيرات التي اسداها السفير اربوثنوت، فبعد غلق الدولة العثمانية لمضائقها امام السفن الأجنبية طيلة مدة حربها مع روسيا، فقد طلب غالب أفندي وزير الخارجية العثمانية في الثالث عشر من كانون الثاني 1807 من السفير البريطاني أبعاد الأسطول البريطاني المرابط بالقرب من مدخل الدردنيل بقيادة توماس لويس وجعل مرساه عند جزيرة تيندوس⁽²⁾.

(1) نقلاً عن: الشناوي، المصدر السابق، ص 208.

(2) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر....، ج 2، ص 351.

فسرّت الحكومة البريطانية الخطوات العثمانية بأنها مكملّة لسلسلة حلقات الحصار القاري الذي فرضه نابليون سواء اكان ذلك بالتحالف⁽¹⁾، ام بواسطة مراسيمه التي اطلقها من برلين في تشرين الثاني 1806⁽²⁾ او من ميلان في كانون الثاني 1807 لمحاصرة التجارة البريطانية⁽³⁾ و عليه فبتلك الإجراءات العثمانية فقد اغلقت جميع منافذ التجارة البريطانية من سواحل البلطيق إلى سواحل اسطنبول⁽⁴⁾. لذا قررت الحكومة البريطانية كسر الطوق الذي فرضه نابليون، فعلاوة على إصدارها لمراسيمها المضادة في كانون الثاني 1807⁽⁵⁾، فقد أصدرت أوامرها إلى الأدميرال جون دوكوورث Admiral sir John Dukworth أحد كبار ضباط البحرية في الثالث عشر من كانون الثاني 1807 بالتوجه على رأس اسطول حربي الى منطقة المضائق للقيام بمناورة بحرية في شواطئ البسفور قبالة العاصمة اسطنبول، بهدف ايصال رسالة تحذير للحكومة العثمانية عن نية جدية في قيام الأسطول الحربي البريطاني بعمل عسكري، و طلبت الحكومة البريطانية من الأدميرال تسليم الحكومة العثمانية مذكرة ضمنيتها مطالب اساسية للحيلولة دون القيام بعملية عسكرية، ومنها قطع العلاقات مع فرنسا، ومغادرة السفير الفرنسي لإسطنبول وأن يتم تسليم الأسطول العثماني في منطقة المضائق للبريطانيين،

(1) Puryear , op , cit , p125 .

(2) بموجب هذه المراسيم فُرضت حالة الحصار على الجزائر البريطانية بتحريم كل انواع المعاملات التجارية بينها وبين الموانئ التي تخضع لحكم نابليون اولنفوذه او المتحالفة معه . فأصبحت السفن التي تدخل بالرغم من ذلك عرضة للمصادرة.

Brace .M. Richard , The Making of Modren world , (New york , 1960) , P. 451 -452;

جرانت وآخرون، المصدر السابق، ص225 .

(3) تقضي مراسيم ميلان بمصادرة وتجريد أي سفينة تتاجر مع بريطانيا من جنسيتها وأعتبرها حليفة لبريطانيا .

R.B.Mowat , Europe and the Modren world 1492 – 1918 , (oxford , 1929) , p577.

(4) العبيدي، المصدر السابق، ص112 .

(5) الشويلي، المصدر السابق، ص34 .

وقد اتهمت بريطانيا فرنسا في هذه المراسيم بخروج الأخيره عن تقاليد الحرب، وأعلنت كذلك انه ما دام الأتجار مع اوربا محرماً على بريطانيا فليكن محرماً على الدول المحايدة كذلك . جرانت المصدر السابق، ص225.

وإيقاف العمل بالإستحكامات العثمانية في الدردنيل لقاء الحماية البريطانية، ويتخلّى الباب العالي عن ولايتي ولا شيا وملدافيا لروسيا، فضلاً عن إعادة النظر في العلاقات البريطانية - العثمانية التي يجب ان تبني على ثوابت استراتيجية تخدم مصالح الطرفين⁽¹⁾ وطلبت الحكومة البريطانية من دوكوورث أن يرفق بمطاليبه ((تهديداً بتدمير فوري للمدينة))⁽²⁾ وأمهلت المذكرة الحكومة العثمانية مدة أربع وعشرين ساعة للرد على تلك المطالب⁽³⁾.

تضمنت الخطة البريطانية في حالة رفض الحكومة العثمانية للمطالب البريطانية أن يقوم جون دوكوورث بدراسة الموقف أولاً وتقدير طبيعة الأجراء العسكري أما بقصف اسطنبول بشكل مستمر او بتدمير السفن العثمانية المتواجدة في منطقة المضائق أيهما أمكن⁽⁴⁾ وثانياً يقوم دوكوورث بتبليغ هذا الرفض الى الجنرال فوكس في صقلية، ليسارع الأخير الى ارسال جزء من قواته الى الإسكندرية لاحتلالها وإتخاذها نقطة انطلاق للعمليات العسكرية البريطانية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط ضد فرنسا والدولة العثمانية⁽⁵⁾.

وعلى الرغم من أن تلك الخطة قد وضعت بالتنسيق مع قيادة الأسطول الحربي الروسي، إذ تعهد الروس من جانبهم بإرسال أربع سفن حربية متواجدة في الجزر الأيونية للانضمام الى الأسطول البريطاني عند الشروع بمهاجمة المضائق، إلا أن الحكومة البريطانية أمرت الأدميرال دوكوورث بالتوجه الى منطقة المضائق دون انتظار وصول السفن الروسية كسباً للوقت⁽⁶⁾.

وفي الوقت الذي كان فيه جون دوكوورث يتحرك باتجاه المضائق العثمانية، فقد بذل السفير البريطاني اربوثنوت خلال شهر كانون الثاني 1807 جهوداً مكثفة ومساعي حثيثة لدى الحكومة العثمانية، فتمكن من تعطيل جهود العثمانيين من تحصين المضائق، بذريعة إمكانية تسوية الخلاف الروسي العثماني عن طريق

(1) Puryear , op , cit , p126-127 ; Jonquiere , op , cit , p 327;

سرهنك، المصدر السابق، ص654؛ طقوش، المصدر السابق، ص322.

(2) العبيدي، احمد، المصدر السابق، ص113.

(3) سرهنك، المصدر السابق، ص654 .

(4) Puryear , Op. Cit., p127 .

(5) Ghorbal , Op. Cit., P. 241 ;

الشناوي، المصدر السابق، ص208.

(6) Puryear , Op. Cit., p127.

الصلح⁽¹⁾ هذا من ناحية ومن ناحية ثانية حاول اقناع الدولة العثمانية بعدد من المقترحات منها تجديد الحلف البريطاني العثماني الذي الغته الحكومة العثمانية من جانب واحد، وإذا ما حصلت الموافقة على ذلك فإن بريطانيا راغبة بإضافة بنداً جديداً ينص على السماح للسفن البريطانية بالمرور في منطقة المضائق، وحاول إقناعهم أيضاً بالتخلي عن ولايتي ولاشيا ومولدافيا لصالح روسيا مقابل تعهد الحكومة البريطانية بإيقاف الحرب الروسية العثمانية، وبعبارة أخرى سوف تضطر بريطانيا إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع الدولة العثمانية وستعزز أسطولها المرباط قرب جزيرة تيندوس بأسطول آخر ليقوما بالتنسيق مع الأسطول الروسي بمهاجمة اسطنبول⁽²⁾.

ويبدو أن السلطان سليم الثالث قد عدّ الأذعان للضغوط البريطانية مسألة مذلة له ولدولته، فرد على تلك المقترحات بأن قلد السفير الفرنسي سبستيانى والقائم بالأعمال روفين أوسمة رفيعة في السادس والعشرين من كانون الثاني 1807 تقديراً لجهودهم في الإشراف على عمليات تحصين المضائق⁽³⁾. الأمر الذي أثار استياء وغضب السفير البريطاني الذي غادر اسطنبول مع جميع أفراد الجالية البريطانية على ظهر السفينة الحربية انديمون Endymion ليلة التاسع والعشرين منه، ووصل إلى جزيرة تيندوس في الحادي والثلاثين منه⁽⁴⁾.

وما إن أبلغ السفير البريطاني أربوثنوت أخبار فشل مساعيه لدى الباب العالي إلى الأدميرال دو كورث الذي وصل أيضاً إلى جزيرة تيندوس، حتى قرر الأخير التحرك باتجاه المضائق في العاشر من شباط 1807 على رأس أسطول مؤلف من إحدى عشرة سفينة حربية⁽⁵⁾ وتمكن من عبور الدردنيل وبحر مرمرة بعد تدميره لقوة بحرية عثمانية مؤلفة من ست سفن بقيادة القبودان حاجي صالح باشا⁽⁶⁾.

(1) سرهنك، المصدر السابق، ص 653.

(2) Kinross, Op . Cit , P. 429-430; Ghorbal, Op .Cit , p241-242;

العبيدي، احمد، المصدر السابق، ص 114.

(3) Puryear , Op. Cit., p134.

(4) Anderson , The Eastern Question , P. 38; Ghorbal , Op . Cit, p243;

الشناوي، المصدر السابق، ص 210.

(5) سرهنك، المصدر السابق، ص 653، بينما يشير يلماز اوزتونا بأن الأسطول البريطاني كان يتألف من ستة عشر سفينة، اوزتونا، المصدر السابق، ج 1، ص 656.

(6) سرهنك، المصدر السابق.

ورسى بالقرب من العاصمة اسطنبول في التاسع عشر من الشهر ذاته دون مقاومة تذكر من العثمانيين⁽¹⁾.

قدم الأدميرال دوكورث مذكرة حكومته التي يروم التفاوض حولها الى الحكومة العثمانية، إلا انه وجد أن العثمانيين يرفضون التفاوض، بل أشاروا عليه بأن أهالي اسطنبول ساخطون على البريطانيين لدرجة انه ((ليس هناك مكان آمن لعقد مؤتمر للتفاوض))⁽²⁾، وفي غضون ذلك فقد أصدر السلطان سليم الثالث عدداً من القرارات منها اعدام فيضي افندي مسؤول حامية الدردنيل، وتحميله مسؤولية ما حصل من خرق بريطاني، و جرى تغيير في قيادة الأسطول العثماني بتعيين علي باشا الجزائري خلفاً لحاجي صالح باشا الذي تم عزله⁽³⁾. ونتيجة لأستياء اهالي اسطنبول من البريطانيين فقد تطوع منهم في يوم واحد ما يقارب (7500) وزعوا على السفن والحاميات المحيطة بالمضيق والعاصمة⁽⁴⁾.

لقد لاحظ دوكورث بأن أعمال التحصينات العثمانية قائمة بوتيرة عالية تحت اشراف السفير الفرنسي سبستيان شخياً، إذ قام العثمانيون وبمساعدة ضباط فرنسيين من نصب نحو (300) مدفعاً على طول مضيق الدردنيل⁽⁵⁾ لذا ساورته الشكوك بأن العثمانيين الذين أخذوا يماطلون ويسوفون بالرد ما فعلوا ذلك إلا لوجود خطة عثمانية بإشراف فرنسي للإيقاع بالأسطول البريطاني ومحاصرته في بحر مرمرة، فقرر الانسحاب، ويبدو ان دوكورث كان مصيباً في تقديره للموقف

(1) Ghorbal ,op , cit , p 244; Jonquire , op , cit , p328 .

وتعود اسباب عدم المقاومة الى اولاً:- عدم وجود وقت كافٍ لتحصين مضيق الدردنيل بكيفية تمنع عبور الأسطول البريطاني، فريد بك، المصدر السابق، ص 191 . وثانياً: ان توقيت عبور الأسطول البريطاني كان مناسباً اذ تصادف يوم عبور الأسطول البريطاني للمضيق مع اول ايام عيد الأضحى، وهذا يعني ان اغلب جنود الحاميات كانوا في صلاة العيد . وثالثاً أمر السيد اربوثنوت بعد خروجه من اسطنبول ترجمانه بالتوجه الى جنق قلعة بحجة انه يريد استئناف المباحثات مع العثمانيين وبالفعل ارسلت الحكومة العثمانية من ينوب عنها لكن غرض السفير من هذه المباحثات للتمويه على العثمانيين وإيقاف العمل بالاستعدادات . سرهنك، المصدر السابق، ص 653 .

(2)Ghorbal ,op , cit, p 245.

؛ الشناوي، المصدر السابق، ص 210 .

العبيدي، المصدر السابق، ص 116

(3) جودت، تاريخ جودت، جلد 8، ص 96 .

(4) سرهنك، المصدر السابق، ص 654.

(5) العبيدي، المصدر السابق، ص 116 . علماً ان سرهنك قد ذكر ان عدد المدفعية 1200 مدفع وهو امراً مبالغاً فيه لكنه يدل على ضخامة الاستعدادات العثمانية. سرهنك، المصدر السابق، ص 654 .

1809

العسكري، فحال شروعه بالانسحاب من بحر مرمرة اخذت المدفعية العثمانية تقصف سفن الأسطول عند قلعه غاليبولي Gallipoli، ولم يتمكن دوكوورث من الخروج من ذلك (المضيق الناري) على حد وصفه إلا في الثالث من آذار 1807، بعد ان خسر سفينتين من اسطوله و(600) من مقاتليه وعاد للرسو مرة أخرى قرب جزيرة تيندوس⁽¹⁾.

وعندما وصل الأسطول البريطاني بالقرب من جزيرة تيندوس، أنظم اليه الأسطول الروسي بقيادة سينيافين Senyavin في الثامن من آذار، واقترح القائد الروسي ان يعاود الأسطولان الكرة على المضائق بهجوم مشترك، لكن دوكوورث رفض هذا الاقتراح، معتقداً بعدم جدوى مثل ذلك الهجوم بعد ان وصلتته اخبار عن موافقة السلطان سليم الثالث للسفن الحربية الفرنسية بالدخول الى الدردنيل والمرابطة من أجل حماية اسطنبول⁽²⁾، فضلاً عن ارسال اسطول بحري عثماني مؤلف من ثماني عشرة سفينة حربية بقيادة علي باشا للمرابطة عند قلعة غاليبولي بهدف تعزيز دفاعات ذلك المضيق⁽³⁾، وقد مضى دوكوورث في تنفيذ الخطة البريطانية المرسومة سلفاً، فأخبر الجنرال فوكس بفشل مفاوضاته مع الباب العالي، وأخذ الأخير يستعد لتنفيذ الصفحة الأخرى من تلك الخطة بالتوجه الى مدينة الإسكندرية واحتلالها، في محاولة لتعويض الفشل على ضفاف البسفور بنجاح على ضفاف النيل⁽⁴⁾.

(1) Miller , Op. Cit., p34; Shaw , Op. Cit., Vol. I , P. 273; Kinross, Op. Cit., p430 ; Marriott, Op. Cit., p176 ;

طقوش، المصدر السابق، ص 223 .

(2) في العاشر من آذار وصلت رسالة نابليون الى سفيره في اسطنبول تحمل تعليماته له بأن يوضح للسلطان بأن السفن الفرنسية يمكن ان تتولى مهمة الدفاع عن المضائق، ويبدوا بأن السلطان قد سحره كلام نابليون إذ اقترح بأنه يفضل ان يرسل الفرنسيون أيضاً سريتين من المدفعية، العبيدي، المصدر السابق، 117-118 .

(3) سرهنك، المصدر السابق، ص 658 .

(4) Ghorbal , Op. Cit., p245 .

2. الحملة البريطانية على الإسكندرية:

قطعاً لم يكن الهدف الرئيس من الحملة البريطانية على الإسكندرية اتخاذها قاعدة انطلاق لاحتلال مصر بأكملها كما فعل الفرنسيون عام 1798، وإنما كانت جزءاً من مشروع سياسي للضغط على الحكومة العثمانية، للابتعاد عن فرنسا، وفصم عرى التحالف بينهما، والانضمام إلى بريطانيا وروسيا⁽¹⁾ وما يؤيد ذلك ما ورد في المذكرة السرية التي بعثتها وزارة الحربية البريطانية إلى الجنرال فوكس المؤرخة في الخامس والعشرين من نيسان 1807، بأن الهدف من القيام بعمل عسكري في الإسكندرية هو محاولة لـ ((إكراه الباب العالي على التخلص من نفوذ فرنسا وحمله على إعادة علاقاته مع بريطانيا العظمى وروسيا))⁽²⁾.

ومن الجدير بالذكر أن الحكومة البريطانية قد أدركت خطأ تقديرها للموقفين السياسي والعسكري حينما وافقت على الجلاء من مصر تنفيذاً لبنود صلح أميان المنعقد في السابع والعشرين من آذار 1802، معولة على احتفاظها بجزيرة مالطا، بعد أن أخذ نابليون يصر على انسحاب البريطانيين من هذه الجزيرة مما زاد من قلق الحكومة البريطانية تجاه تطلعات فرنسا في البحر المتوسط والدولة العثمانية، إذ شعر البريطانيون أن الاحتفاظ بمالطا لوحدها لا يكفي لوقف التوسع الفرنسي باتجاه الشرق⁽³⁾ وإن انسحابهم من مصر ((لم يكن سوى تضحية قدموها دون مقابل))⁽⁴⁾.

وانعكست مخاوف المسؤولين البريطانيين من المد الفرنسي المحتمل نحو مصر على كتاباتهم، ونجد ذلك على سبيل المثال لا الحصر فيما كتبه تابرينا Taberna الوكيل البريطاني في مصر إلى الكسندر بول A.bull في مالطة في الثامن والعشرين من شباط 1804 وهو يتحدث عن خطر الفرنسيين بقوله ((إذا

(1) Rifaat Bey. M. The Awakening of Modern Egypt, (London, 1961), P14; Ghorbal, Op. Cit., p244 ;

رزق، يونان لبيب وآخرون، تاريخ العلاقات المغربية المصرية منذ مطلع العصور الحديثة حتى العام 1914 (الدار البيضاء، 1980)، ص223؛ السروجي، المصدر السابق، ص356.

(2) الشناوي، المصدر السابق، ص211.

(3) رفاعي، عبد العزيز، انتصار، مصر في رشيد 1807، (دار القلم، القاهرة، 1962)، ص27.

(4) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص585.

شاء سوء الحظ ان يفلت هؤلاء من رقابة الأسطول البريطاني فأنهم لن يلقوا أية مقاومة في مصر⁽¹⁾.

و كان لتقارير شارل مكالون دورها في دفع حكومة الإدارة الفرنسية لتوجيه حملتها الى مصر في العام 1798، وكان لتقارير نظيره الميجور مسيت Misset التأثير ذاته⁽²⁾ وهو الذي ظل لا يرى طيلة السنوات الأربع (1803 – 1807) في أي تغيير يحدث ((في ميدان هذه الفوضى الضاربة أطنابها في مصر سوى مبرر لأن يطلب من حكومته اما ارسال جند بريطانيين او فرقاطة للتجول في مياه الإسكندرية)). بقصد اثارة فزع مسؤوليه حول غزو فرنسي محتمل لمصر، فقد عمد مسيت الى التأكيد لهم بأن والي مصر محمد علي قد ((اشترى الوكلاء الفرنسيون))، الأمر الذي حفز أعضاء الحكومة البريطانية إلى التأكيد على أهمية القيام بعمل عسكري لمنع ذلك الغزو⁽³⁾.

لم يقف الأمر عند حدود هذه الأسباب، وإنما تتضح من نصوص تعليمات وزارة الحربية الصادرة في تشرين الثاني 1806، إلى الجنرال فوكس، التي سبقت الإشارة إليها، مبررات أخرى للحملة البريطانية، تتمثل في رغبة الحكومة البريطانية دعم فئة من اصدقائها المماليك بزعامة محمد بك الألفي⁽⁴⁾ ليكون هؤلاء مرتكزاً تستطيع بريطانيا من خلاله تعزيز نفوذها في المنطقة او العمل على تقويض النفوذ الفرنسي فيها⁽⁵⁾، حيث ورد في تلك التعليمات ((وليس غرض حكومة جلالة

(1) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر....، ج2، ص585.

(2) السروجي، المصدر السابق، ص357؛ الشناوي، المصدر السابق، ص213.

(3) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص585.

(4) Rifaat, Bey, Op. Cit., p23.

كان محمد بك الألفي محط اهتمام البريطانيين حتى انهم اخذوه معهم الى لندن لحظة انسحابهم من مصر في آذار 1803 وبقي هناك حتى شباط 1804. سعيد، أمين، تاريخ مصر السياسي من الحملة الفرنسية سنة 1798 الى انهيار الملكية، القاهرة، (د.ت)، ص48. وللتفاصيل حول سفرة الألفي يراجع: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج1، ص144 – 150. ويخطئ د. سليمان الغنام عندما يشير الى ان الألفي سافر الى لندن مرتين الأولى في العام 1802 والثانية في عام 1804، بل كانت سفرة واحدة غطت كل تلك المدة، الغنام، سليمان، سياسة محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا 1811- 1840، ط2، (بيروت، 2004)، ص27.

(5) شببكية، مكي، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر الميلادي، بيروت، 1965، ص262. ومن الجدير بالذكر أن محمد بك الألفي، توفي قبل مجيء الحملة بأربعين يوماً دون علم حلفاءه البريطانيين.

الملك من تقرير هذا الأجراء فتح مصر، وإنما الإستيلاء على الإسكندرية فحسب لمنع الفرنسيين من وضع اقدمهم مرة أخرى في هذه البلاد، ولتمكين قوات جلالته الموجودة بالإسكندرية من إعطاء تأييدهم وحمايتهم لما قد يوجد من أحزاب في هذه البلاد قد تكون ذات رغبة صادقة في أن تكون لها علاقة ودية في كل الأوقات مع بريطانيا العظمى، ولذلك فإنه لا مناص عند اختيار قائد لهذه الحملة من بذل كل عناية ليس للتحقق من أنه صاحب مواهب عسكرية فحسب، بل وللتحقق كذلك من تمتعه بكل تلك المزايا التي تؤهله للقيام على خير وجه بما يعهد اليه من مهام مدنية وسياسية على جانب عظيم من الأهمية الأمر الذي تستلزمه حتماً طبيعة الخدمة المكلف بها ((⁽¹⁾.

وطبقاً لهذه التعليمات فقد اصدر القائد العام للقوات البريطانية في صقلية بتشكيل حملة تتألف من (5100) مقاتل وأناط قيادتها الى الجنرال ماكينزي فريزر Makenzie Fraser ، و زوده بأوامر صريحة تنص على أن هدف الحملة هو إحتلال الإسكندرية دون غيرها من البلاد المصرية، وعلى أثر ذلك ابحرت الحملة من مسينا في السادس من آذار 1807⁽²⁾.

ومما يجدر ذكره، أن الأوساط السياسية في اسطنبول والقاهرة ومنذ شهر كانون الثاني 1807 علمت أن البريطانيين يعتزمون ارسال حملة الى مصر، فقد كتب القنصل البريطاني في مصر (مسيت) إلى اربوثنوت من الإسكندرية في الثاني والعشرين من كانون الثاني بأنه علم بوصول فرمانين من السلطان سليم الثالث إلى محمد علي تضمن الأول منهما ضرورة التعاون مع القنصلية الفرنسية في القاهرة والتنسيق معها، أما الثاني فأمره فيه بأن يشرع بإقامة الاستحكامات التي تعزز من قدرة البلد الدفاعية⁽³⁾.

أما بالنسبة لمحمد علي فلم يكن وضعه العسكري على ما يرام، بسبب الصراع القائم حينذاك بينه وبين المماليك الذين يسيطرون على الصعيد، مما حتم

Holt, P. Egypt and the fertile crescent 1516-1922 Apolitical History,(New York, 1966), p178.

(1)Ghorbal, Op. Cit., p246 ;

شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص587.

(2)Rifaat Bey, Op. Cit., p23 ;

رفاعي، المصدر السابق، ص33.

(3) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص600.

عليه أن يسعى للتوصل إلى اتفاق معهم يسد من خلاله الطريق أمام أي تحالف قد ينشأ بين البريطانيين والمماليك، فينتج عن ذلك أن يقاتل في جبهتين في الشمال والجنوب، لذا أوفد ثلاثة من مشايخ الأزهر للمفاوضة مع المماليك، أما المماليك فقد ارتأوا عقد الصلح والتريث لحين التعرف على نوايا بريطانيا، فإذا تأكد لهم تفوق البريطانيين في اتمام استيلائهم على الإسكندرية، فسوف يعمدون إلى التنسيق مع الجانب البريطاني ويزحفون باتجاه القاهرة وقد تمخض عن المفاوضات التوصل إلى صلح نص على احتفاظ المماليك بالحكم في الصعيد شرط قيامهم بدفع الضرائب لحكومة القاهرة⁽¹⁾.

وفي إطار حملة الجنرال فريزر، ففي الثالث عشر من آذار 1807 وصلت السفينة الحربية البريطانية ويزارد Wizard إلى شواطئ الإسكندرية في مهمة استطلاعية للتعرف على الحالة في الثغر، ودون أن يعلم البريطانيون السلطات العثمانية في الإسكندرية بأسباب حضورها، وطلب قائدتها مقابلة القنصل البريطاني وأبلغه بقرب وصول الحملة⁽²⁾، وفي السادس عشر من آذار وصلت إلى شواطئ الإسكندرية الفرقاطة الحربية Tiger، حيث قام ضابطان من طاقمها بمقابلة أمين أغا الحاكم العثماني في الإسكندرية وبحضور القنصل البريطاني، وطلبوا منه ابداء التعاون لدخول المدينة بذريعة حمايتها من هجوم فرنسي وشيك مقابل رشوة مالية كبيرة⁽³⁾، وما أن اكتمل وصول قطع الأسطول البريطاني، المؤلف من خمس وعشرين سفينة حربية في السابع عشر من آذار حتى وجدت القوات البريطانية الطريق ممهداً للزحف باتجاه الإسكندرية في اليوم التالي، حيث توجه قسم منها لتأمين جهة أبي قير شرقي المدينة، بينما توجهت القوة الرئيسية باتجاه المدينة وبعد مفاوضات صورية بين قائد الحملة وأمين أغا دامت ليومين، انتهت باعلان الأخير

(1) Rifaat Bey, Op. Cit., p23 -24 ;

الرافعي، عبد الرحمن، عصر محمد علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951، ص53؛ الرفاعي، المصدر السابق، ص47 - 50. وعلى اثر ذلك الاتفاق فقد قَبِل محمد علي عائداً الى القاهرة ودخلها ليلة 12/11 نيسان أي بعد اسبوع من استيلاء البريطانيين على الإسكندرية. شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص632، وليس كما يشير الغنام إلى أن محمد علي بقي في الصعيد إلى ما بعد معركة الحماد التي سنقف عليها لاحقاً. الغنام، المصدر السابق، ص29.

(2) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص612.

(3) رفاعي، المصدر السابق، ص37-38.

بأستسلام حامية الإسكندرية المؤلفة من 300 جندي وتسليم المدينة للبريطانيين في العشرين منه⁽¹⁾.

وقد تضمنت شروط التسليم سبع مواد، نصت المادة الأولى منها على عدم التعرض للسكان وأعراضهم ودينهم وأموالهم، وأجبرت المادة الثانية أمين اغا وقائد الأسطول العثماني في الإسكندرية صالح أغا على التخلي عن فرقاطتين استولى عليهما البريطانيون عنوة، وألزمت المادة الثالثة جميع موظفي الحكومة العثمانية من مدنيين وعسكريين بمغادرة الإسكندرية مع كامل أسلحتهم وتجهيزاتهم إلى احد الموانئ العثمانية شريطة عدم التعرض الى القوات البريطانية، في حين سمحت لحاكم المدينة وقائد الأسطول العثماني بالمغادرة الى الجهة التي يرومونها، وخولت المادة الرابعة القوات البريطانية الاستيلاء على جميع السفن والمتعلقات العثمانية في الإسكندرية، واستثنت منها السفن التجارية الخاصة بالرعايا العثمانيين، وأطلقت المادة الخامسة عفواً عاماً عن سكان الإسكندرية، وأقرت المادة السادسة بعدم تفتيش المنازل من قبل القوات البريطانية فيما أوجبت المادة السابعة العثمانيين بتسليم قلعتي كريكات وكفاريلى للبريطانيين⁽²⁾.

وحيثما علمت الحكومة العثمانية بإستيلاء الأسطول البريطاني على الإسكندرية عدت ذلك عملاً عدائياً، لكنها كانت عاجزة عن القيام بفعل حقيقي يمكنها من استعادة هذه المدينة، بسبب حصار الأسطول الروسي لمضيق الدردنيل، فأكتفت بالطلب من يوسف باشا والي صيدا بإرسال الإمدادات لقواتها هناك عن طريق صور⁽³⁾.

بعد تسليم الإسكندرية فقد أثر الجنرال فريزر الإلتزام بتعليمات حكومته التي أكدت عدم توسيع نطاق العمليات العسكرية أكثر من ذلك، لكن هذا الامر تقاطع مع رغبة القنصل البريطاني مسيت الذي اعتقد بضرورة السيطرة على مصر بأكملها، ولذا لم يكد يمر يومان على احتلال الإسكندرية حتى بعث مسيت في الثاني

(2) Dowell, Henry, The founder of modern Egypt A study of Muhammad

Ali, (Cambridge, 1931), p23 ; Ghorbal, Op. Cit., p24; Holt, Op. Cit., p178;

يانج، جورج، تاريخ مصر في عهد المماليك الى نهاية حكم اسماعيل باشا، تعريب علي أحمد شكري، (المطبعة الرحمانية، دت)، ص 69- 70 ؛ شبيكة، المصدر السابق ص، 236.

(2) للأطلاع على نصوص شروط تسليم الإسكندرية يراجع: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص605؛ رفاعي، المصدر السابق، ص39.

(3) سر هنك، المصدر السابق، ص656.

والعشرين من آذار كتاباً إلى المماليك يدعوهم فيه إلى تنسيق العمليات العسكرية بين الطرفين طالباً إليهم ((أن يبعثوا برسول يأتونونه ليملي عليه مطالبهم))⁽¹⁾.

ثم كتب إلى الجنرال فريزر في الثالث والعشرين من آذار محذراً من خطورة الموقف التمويني للحملة بسبب قلة المواد الغذائية في الإسكندرية فان معالجة ذلك من وجهة نظره تتم عبر توسيع العمليات والسيطرة على مناطق الرحمانية ورشيد ودمياط ((فعندما سلمت الإسكندرية إلى الجيش الذي تحت قيادتكم كانت كميات القمح الموجودة لا تكاد تكفي سكانها لمدة أسبوعين، ولما كانت الرياح المعاكسة قد ألزمت النقلات على البقاء في خليج أبي قير، فقد تعذر على القومسير العام - المشرف على تموين الجيش - ان يحصل على إمدادات من الأسطول، وأضطر لذلك الى اخذ جزء من القمح المخصص اصلاً لاستهلاك المدينة، وكان بشيء من الصعوبة ان حصل من اللحم على مايكفي الجند لمدة يوم واحد فحسب، وبناءً عليه فلن تنقضى ايام قليلة حتى يجد الإسكندريون انفسهم وقد حرموا من غذائهم، وسوف لا يجد الجيش مناصاً من الاعتماد في غذائه على القديد وهو غذاء غير صحي، وعلى ذلك وبسبب هذه الظروف أجد لازماً علي أن ألح عليك في ضرورة احتلال مدينة رشيد فوراً، وكذلك موقع الرحمانية، فمن الأولى يصدر القمح والأرز الى هذا الميناء، ثم باستيلائك على الرحمانية تصبح لك السيطرة على اقليم البحيرة الذي يمون الإسكندرية بالشعير والأغنام...))⁽²⁾، كما أكد مسيت للجنرال فريزر بأن المماليك لن يتحركوا لمساعدة القوات البريطانية من الصعيد إذا لم يشاهدوا توسعاً في النشاط العسكري البريطاني⁽³⁾، ولجأ مسيت إلى أسلوب تحريض بعض أعيان الإسكندرية لمقابلة الجنرال فريزر، لأجل إقناع الأخير بالقلق

(1)Ghorbal, Op. Cit., p248 ;

رفاعي، المصدر السابق، ص40.

(3) Ghorbal, Op. Cit., p248 ;

شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص634.

(3) رفاعي، المصدر السابق، ص56.

الذي أخذ يساورهم جلاء نقص المواد الغذائية⁽¹⁾، وفي غضون ذلك وصل أسطول دوكوورث إلى الإسكندرية، الأمر الذي عزز موقف مسيت أمام الجنرال فريزر⁽²⁾. وإزاء هذه الضغوط كتب فريزر الى وزارة الحربية البريطانية في السابع والعشرين من آذار انه سوف يقوم بتوسيع العمليات العسكرية ثم أسند الى الجنرال واكوب Wachope مهمة الاستيلاء على رشيد بقوة قوامها (1400 جندياً)⁽³⁾، وفي التاسع والعشرين منه اتمت القوات البريطانية استيلائها على مدينة رشيد، بعد ان انسحب منها حاكمها العثماني علي السلانكلي ودخلتها القوات البريطانية دون قتال⁽⁴⁾.

وقد برر حاكم مدينة رشيد انسحابه منها بعدم امتلاكه للقوة العسكرية الكافية للوقوف بوجه البريطانيين، إذ لم يتجاوز عدد قواته عن (450 – 550) جندياً عدا النقص الكبير في الأسلحة والذخيرة التي تمكنه من ادامة زخم المواجهة العسكرية⁽⁵⁾، لكنه لما شاهد انشغال القوات البريطانية في المدينة، وعدم قيامها بتعقبه شن هجوماً معاكساً فاجأ فيه القوات البريطانية التي انتشرت في الشوارع والحارات الضيقة بنوع من القتال لم تعهده من قبل، وكبدها خسائر جسيمة بلغت نحو (120) قتيلاً و(250) جريحاً و(120) أسيراً، فضلاً عن مقتل قائد الحملة الجنرال واكوب، وجرح نائبه الجنرال ميد Meed الذي اوعز بالانسحاب من مدينة رشيد⁽⁶⁾.

وفي السادس من نيسان نقل فريزر الى وزارة الحربية البريطانية خبر تلك الكارثة في كتاب القى فيه تبعة ماحدث على عاتق القنصل مسيت، ولما كانت هزيمة رشيد ((ضربة قاسية جدا وغير متوقعة)) على حد قول الجنرال فريزر ومن

(1) Ghorbal, Op. Cit., p249;

الشناوي، المصدر السابق، ص213.

(2) ظل دوكوورث في الأسكندرية حتى يوم 29 آذار حيث ترك قسم من اسطوله تحت قيادة الأدميرال توماس لويس وتوجه الى صقلية، شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص635.

(3) Dodwell, Op. Cit., p24.

(4) جوان ادوار، المصدر السابق، ص353.

(5) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص642.

(6) Dodwell, Op. Cit., p24- 25 ; Ghorbal, Op. Cit., p249

جوان، المصدر السابق، ص353 – 355.

المحتمل أن تؤثر على مسألة بقاء القوات البريطانية في الإسكندرية نفسها⁽¹⁾، فلم يكن من المنتظر ان يرضى الأخير وسائر قادة الجيش بما حل بسمعة الجيش البريطاني، لذا قرر في السابع من نيسان 1807 ارسال حملة جديدة الى رشيد مؤلفه من (2500) مقاتل عهد بقيادتها الى الجنرال ستيوارت Stewart، وأرتأى ايضاً بأن يشرف شخصياً من على ظهر السفينة الحربية كانوب Canop في خليج ابي قير على سير العمليات العسكرية⁽²⁾.

كانت خطة الجنرال فريزر تقضي بفرض الحصار على مدينة رشيد، وإجبار حاكمها على التسليم دون إقتحام، فضلاً عن استغلال عامل الوقت لحين الوصول المفترض لقوة المماليك، إذ طلب الجنرال فريزر منهم في الأول من نيسان ضرورة المشاركة الى جانب الجيش البريطاني في العمليات العسكرية القادمة، لكن المماليك فضلاً عن وقوعهم تحت تأثير هزيمة البريطانيين، فقد كانوا حذرين من الاستجابة للطلب البريطاني حتى يتأكد لهم استيلاء القوات البريطانية على المدينة وهزيمة محمد علي⁽³⁾.

ان مدة الحصار الذي فرضه الجنرال ستيوارت على مدينة رشيد التي استمرت اثني عشر يوماً قد ساعدت محمد علي على القيام بالاستعدادات الضرورية للمواجهة، وكانت خطة محمد علي ترمي، الى ارسال المزيد من القوات الى رشيد، فأرسل فرقتين احدهما وتضم (4000) جندياً من المشاة بقيادة طبوز اوغلي باشا والثانية من الفرسان وتضم (1500) فارساً بقيادة حسن باشا، وأصطدمت هاتان الفرقتان بالقوات البريطانية في قرية الحماد بالقرب من مدينة رشيد بمعركة فاصلة في الحادي والعشرين من نيسان، حقق خلالها جيش محمد علي انتصاراً حاسماً تكبد فيها البريطانيون خسائر فادحة بلغت نحو (1400) بين قتيل وجريح بالإضافة الى أعداد من الأسرى بينهم (38) ضابطاً⁽⁴⁾.

(1) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص647.

(2) Ghorbal, Op. Cit., p 250.

رفاعي، المصدر السابق، ص69.

(3) للتفاصيل حول موقف المماليك يراجع: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص684 - 692.

(4) الرفاعي، عصر محمد علي...، ص64 - 71؛ شبكية، المصدر السابق، ص270 - 272؛ جوان، المصدر السابق، ص352 - 361.

وبعد انتهاء المعركة كتب فريزر الى الجنرال فوكس في الرابع والعشرين من نيسان أنه ((بسبب هذا الفشل الى جانب الفشل الذي سبقه قد صارت تتزايد حرجة موقفنا يوماً بعد يوم، ومرد ذلك الى النقص العظيم الذي حدث في قواتنا، ثم الى مايكاد يكون مقطوعاً به تماماً من وقف كل الإمدادات والمؤن اللازمة لجنودنا ولأهل الإسكندرية، على يد العدو الذي نزل بأعداد كبيرة من القاهرة الى هذه الجهات...)) و انه ليس لديه من النقود وهي الوسيلة الوحيدة للحصول على الإمدادات ، وهو يشك حتى عند وصول هذه النجدة إليه أن في استطاعته بسبب ماعليه أن يواجه من صعوبات أخرى منوعة الاحتفاظ بالإسكندرية(1).

ما أن تسلم الجنرال فوكس في الثالث عشر من أيار رسالة الجنرال فريزر إلا وأستجاب دون انتظار أية تعليمات من حكومته بإرسال النجدة من صقلية، فتم الإيعاز للفرقاطة هايند Hind بالتوجه الى الإسكندرية، حيث وصلت في الرابع والعشرين منه، و أرسل الميجر شربروك Sherbrooke على رأس قوة قوامها (1425) جندياً لتعزيز القوات هناك، فوصل المدينة في التاسع والعشرين منه، وبعد هذه الاجراءات كتب فوكس الى حكومته خطاباً أخبرها فيه بسوء الموقف العسكري البريطاني في مصر، والحق بذلك الخطاب صور من تقارير فريزر التي كتبها في السادس والرابع والعشرين من نيسان ووصلت الى الجنرال فوكس في الثالث عشر من أيار(2).

كانت لندن وقتذاك قد شهدت تغيراً وزارياً، حيث سقطت وزارة وليم كرنفيل في أواخر آذار، وتشكلت وزارة جديدة برئاسة الدوق بورتلاند Portland تولى فيها كاسلريه Casellreh وزارة الحربية، وكان الأخير يرى بأن وجود جيش الجنرال فريزر منعزلاً في الأسكندرية لا يفيد سوى فائدة ضئيلة في المجهود الحربي في البحر المتوسط. ومن الواجب أن يشترك هذا الجيش بدور إيجابي في العمليات التي تقتضيها استراتيجية المحافظة على المواقع العسكرية البريطانية في البحر المتوسط وأهمها صقلية. ثم مواجهة جيش نابليون المرابط في الجزيرة الإيطالية، ورسم رؤية سياسية أستندت على تفتيت التحالف الفرنسي العثماني

(1) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر... ج2، ص728.

(2) المصدر نفسه ، ج2، ص 733 ، 810.

والسعي لحمل الحكومة العثمانية على توقيع معاهدة صلح مع روسيا، وأن تلتزم بالحياد إذا ما تعذر إقناعها بالانضمام الى بريطانيا وروسيا⁽¹⁾.

لذا ارتأى كاسلرية الإيعاز للجنرال فوكس في الخامس والعشرين من نيسان إرسال حملة جديدة من القوات المتواجدة في صقلية والإسكندرية الى الدردنيل، معللاً هذا الإجراء بأنه خطة استباقية قبل أن يتمكن العثمانيون من إعادة تنظيم قواتهم بعد انسحاب أسطول دوكوورث. لكنه عاد وتريث في ذلك بسبب ما تحدثت عنه تقارير أربوثنوت ودوكوورث أواخر نيسان من قيام العثمانيين وبإشراف ضباط فرنسيين بإنشاء الاستحكامات والتحصينات في منطقة المضائق بصورة يتعذر معها على الجيش البريطاني أختراقها بسهولة، فكتب كاسلرية للجنرال فوكس في الثالث عشر من أيار مذكرة سرية استهلها بتوضيح مفاده أنه قد وصلته منذ تعليماته الأخيرة إليه في الخامس والعشرين من نيسان تقارير أربوثنوت ودوكوورث وتحتوي تفاصيل مهمة وقال: ((أنه من الواضح أن الأتراك العثمانيين قد قاموا بتعزيز الاستحكامات الدفاعية على سواحل منطقة المضائق... وقد قاموا بهذه التعزيزات العسكرية تحت إشراف الخبراء الفرنسيين، و أن العثمانيين أستطاعوا حشد قوات كبيرة للدفاع عن أسطنبول مما يجعل أية عملية حربية أخرى عديمة الجدوى إلا إذا أستطاعت بريطانيا حشد قوات تفوقها عدداً وعدة وبشرط إن لا يؤثر حشدها على سلامة جزيرة صقلية))⁽²⁾.

واعتقد كاسلرية أن القوات المدافعة عن المضائق تفوق في حجمها القوات البريطانية المتواجدة في البحر المتوسط، حتى لو أنظمت إليها القوات الروسية المراقبة في جزيرة كورفو، لذا فقد قررت الحكومة البريطانية صرف النظر عن إرسال حملة أخرى الى منطقة المضائق، وارتأت ممارسة الضغط الاقتصادي بتشديد الحصار على موانئ الدولة العثمانية، في محاولة للتأثير على الاقتصاد العثماني وصولاً لرضوخ العثمانيين للمطالب البريطانية⁽³⁾.

لجأت الحكومة البريطانية الى وسيلة أخرى لممارسة ضغوطها السياسية على أسطنبول، إذ أصدر وزير الخارجية جورج كاننج George Canning في السادس عشر من أيار تعليماته الى أرثر باجت A. paget بالتوجه الى اسطنبول

(1) الشناوي، المصدر السابق، ص214.

(2) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص812.

(3) الشناوي، المصدر السابق، ص214.

والدخول في مباحثات غايتها النهائية اقناع الباب العالي بالصلح مع بريطانيا وروسيا، ونبذ ذلك النفوذ الفرنسي المتفوق (1).

ولما كان الأنسحاب البريطاني من الإسكندرية أحد وسائل المساومة التي يمكن من خلالها الضغط على الباب العالي، ف((النكوص على اعقابنا الآن يطيح بالمفاوضات ويقضي عليها)) على حد تعبير باجت نفسه، لذا شدد كاسلريه على ضرورة إحكام القبضه على هذه المدينة فكتب الى الجنرال فريزر ((أنني أبلغكم أوامر جلالته لإبلاغ الجنرال فريزر بأن يقصر نشاطه بكل دقه ممكنة على إحتلال الإسكندرية العسكري... وتجنب أي مسلك قد يفضي الى زيادة المطالبه بإرسال الجند، وتجنب أي اجراء قد يعطل تنفيذ رغبة الحكومة البريطانية في سحب جيشها من مصر في أي وقت تشاء، سواء أ جاء هذا كتنازل منها للباب العالي أم من أجل تادية خدمات عسكرية أخرى أكثر ضرورة(2)).

بيد أن التقارير التي سبق وأن بعث بها الجنرال فريزر في السادس والرابع والعشرين من نيسان، وأرسل بهما الجنرال فوكس في الثالث عشر من آيار، وصلتا الى لندن في أوائل حزيران، وفي طيها أنباء الهزائم البريطانية في مصر، قد أحدثت تحولاً جذرياً في موقف الحكومة البريطانية تجاه حملتها في الإسكندرية(3)، فاضافة على ماحوته هذه التقارير فقد تضمنت رسالة الجنرال فوكس ما يكشف ((أن الاحتفاظ بالإسكندرية في وجه الصعوبات التي يبدو أنها قائمة الآن، وإرسال جيش الى هذه البلاد يمكننا من الإستمرار في إمتلاكها بصورة تبعث على الإحترام وعلى درجة من القوة تكفي لاحتلال كل المواقع الضرورية لتأمين سلامتنا... يبدو لي أنه لا يمكن تحقيقه إلا إذا كان لدينا جيش من خمسة عشر الف رجل بينهم الف من الفرسان... ولكنني لا أكاد ارى ضرورة تلجأني الى بيان مقدار الضعف الكبير الذي سوف يلحقه بالجيش هنا [في صقليه] ارسال النجداث الى الإسكندرية(4)).

إن اتخاذ قرار بإرسال التعزيزات الاضافية الى مصر قد وضع الحكومة البريطانية في حرج شديد، إذ لم يكن من اليسير تأمين ذلك العدد الكبير من الجنود

(1) رفاعي، المصدر السابق، ص103-104.

(2) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر....، ج2، ص 818-827.

(3) Ghorbal, Op. Cit., p255 ;

رفاعي، المصدر السابق، ص105.

(4) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر....، ج2، ص 821 - 822.

للإحتفاظ بالإسكندرية في وقت حتمت فيه الأوضاع السياسية والعسكرية في أوربا الإحتفاظ بصقلية، لذا وجد البريطانيون أنه من الحكمة سحب قواتهم من مصر لـ ((تحقيق أغراض وغايات أعظم أهمية... من التردّي في مثل هذه البؤر)) على حدّ تعبير كاسلرية⁽¹⁾ فبعث الأخير الى الجنرال فوكس بأوامر قاطعة في الرابع عشر من حزيران جاء فيها ((تقولون ان النجداث التي بعثتم بها الى فريزر انما هي بالقدر الذي قد يمكنه من الإحتفاظ بالإسكندرية حتى تستبين رغبات جلالة الملك، لكنه حتى يتسنى احتلال جميع المواقع الضرورية لتأمين موقفنا في هذه البلاد لا مناص في رأيكم من استخدام جيش لا يقل عن (15000) مقاتل بينهم (1000) فارس لتحقيق هذه الغايات في الظروف الراهنة، ولكنه بالرجوع الى القوات البريطانية التي لدينا الآن في البحر الأبيض يتضح... أنه لا معدى عن الإختيار بين اخلاء مصر أو التخلي عن صقلية، ومن المستحيل الإحتفاظ بمصر وصقلية معاً في وقت واحد... وحيث ان هذا هو الوضع الحقيقي للمسألة... فإنني أبلغكم إرادة جلالة الملك وهي أن يتخذوا الإجراءات اللازمة لسحب الجنود البريطانيين من مصر والتنبيه عليهم بالعودة الى قواعدهم السابقة في صقلية))⁽²⁾.

(1) Ghorbal, Op. Cit., p256;.

شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص 815.
(2) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص 823. ومن الجدير بالذكر إن تعليمات كاسلرية وصلت الى صقلية في الحادي عشر من تموز، وقبل ذلك بيوم واحد تصادف ان وصل آرثر باجت اليها ايضاً متوجهاً لمفاوضة الباب العالي وفي اليوم ذاته حل الجنرال جون مور J.Muor محل الجنرال فوكس في القيادة العليا في صقلية، وكان جون مور من المؤيدين لعملية سحب القوات من الإسكندرية، وإيصال اوامر وزارة الحربية الى الجنرال فريزر بأسرع وقت ولما كان هذا الأمر يؤثر على مهمة آرثر باجت اذ يحرمه من ورقة ضغط على الباب العالي، لهذا فقد حاول آرثر باجت اقناع الجنرال مور بالتريث قليلاً انتظاراً لما تسفر عنه جهوده مع الباب العالي، إلا ان الجنرال جون مور وجد لزاماً عليه احترام التعليمات وكتب الى فريزر بأن ينهي احتلاله للإسكندرية، أما آرثر باجت فلم ييأس من جراء ذلك وأخذ يفاوض الجنرال مور ويكتب الى وزير الخارجية جورج كاننج وكاسلريه وقد تم التوصل الى رأي مفاده ترك الاوامر التي صدرت الى الجنرال فريزر تأخذ مجراها على ان الانسحاب لن يتم إلا بعد ان يستنفذ آرثر باجت محاولته مع الباب العالي، ومن المهم القول ان آرثر باجت لم تفضي محاولته لأية نتيجة مع الباب العالي، ثم اخذ يكتب الى فريزر بأكمل ان الانسحاب، كما سيأتي في محله.

Ghorbal, Op. Cit., P. 257-258 ;

مثلت الحملتين البريطانيتين بقيادة دوكوورث وماكنزي فريزر حقبة من تاريخ السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية، أسماها المؤرخون بـ ((سياسة تخويف اسطنبول))⁽¹⁾ وبغية تقييم تلك الحقبة فلا نجد كلاماً يعلو على كلام الخبراء العسكريين المعاصرين لتلك الحملات ومن بينهم مايلز Miles الذي نشر تقريره لأول مره بين عامي 1837 – 1838 وجاء فيه ((إن وجه الغرابة في حملة دوكوورث إلى منطقة المضائق انها لم تكن مصحوبة بقوات برية، وإن الجيش البريطاني الذي أرسل إلى الإسكندرية لاحتلالها كان يجب توجيهه اصلاً وأساساً مع الأسطول البريطاني إلى منطقة المضائق وأسطنبول بدلاً من الإسكندرية، وإن هذا هو وجه الخطأ الذي وقع فيه المخططون لحملة دوكوورث، فإن وجود جيش مع الأسطول كان يسدي اجل الخدمات للحملة البريطانية، لأن الجيش كان في استطاعته احتلال بعض النقط أو المراكز الاستراتيجية في منطقة المضائق بحيث تؤمن هذه المراكز انسحاب الأسطول، و أن وجود جيش بريطاني كان يفضي مزيداً من الأهمية والتأثير حين ظهر الأسطول في مياه البسفور تجاه اسطنبول وبخاصة إن المفاوضات التي كان مزماً إجراؤها كانت مفاوضات مسلحة))⁽²⁾.

اما الجنرال جون مور فقد انتقد حكومته بإرسالها حملة الجنرال فريزر لأن ((مهاجمة الأتراك في مقاطعتهم البعيدة، ليست الوسيلة التي يمكن بها التأثير عليهم كثيراً))⁽³⁾. وبعيداً عن هذه الرؤى المختلفة، فكل ما يمكن قوله ان سياسة التخويف التي انتهجتها الحكومة البريطانية تجاه الباب العالي لم تؤت ثمارها، بل على العكس فإنها عمقت الفجوة بين الطرفين، وعززت أواصر التقارب الفرنسي العثماني، مما

رفاعي، المصدر السابق، ص 106-107؛ شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر... ج2، ص 825 – 831. فدخل الجنرال فريزر بمفاوضات مع محمد علي انتهت بتوقيع اتفاقية تسليم الإسكندرية في الرابع عشر من ايلول 1807.

Dodwell, Op. Cit., p26;

يانج، المصدر السابق، ص 70.

وقد نصت بنود الاتفاقية على جلاء القوات البريطانية في مدة اقصاها عشرة ايام وان تترك المعازل العسكرية كما هي، وان يسلم المصريون للبريطانيين اسراهم، سعيد، تاريخ مصر السياسي...، ص 49؛ الغنام، المصدر السابق، ص 29.

(1) الشناوي، المصدر السابق، ص 209؛ شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج 2، ص 596، 810، 812.

(2) نقلاً عن: الشناوي، المصدر السابق، ص 215.

(3) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج 2، ص 870.

حفز بريطانيا على إعادة النظر في تلك السياسة في ضوء المتغيرات الجديدة التي بدأ يشهدها الموقف الدولي⁽¹⁾.

ثانياً. الاندفاع البريطاني تجاه الدولة العثمانية أيلول 1807 - كانون الثاني 1809.

أدرك البريطانيون ضرورة التخلي عن الأساليب العسكرية للضغط على العثمانيين وإبدالها بإستراتيجية جديدة قائمة على أساس التفاهم السياسي، بسبب التطورات التي بات يشهدها الموقف الدولي، فضلاً عن الفشل الذي منيت به القوات البريطانية في مصر.

1. تزايد النفوذ الفرنسي وأثره على السياسة البريطانية:

كان التطور الذي شهدته العلاقات الفرنسية - الفارسية في مقدمة المتغيرات التي رمت بضلالها على العلاقات البريطانية- العثمانية، فمن المعلوم ان بلاد فارس كانت تخوض حرباً ضد روسيا منذ عام 1804، وقد عولت فارس على المساعدة البريطانية التي نصت عليها المعاهدة المعقودة بين البلدين في عام 1801، لكن في الواقع لم تعد بريطانيا متحمسة وقتذاك لتقديم مثل تلك المساعدات، لاسيما بعد زوال المبررات السياسية التي أدت إلى عقد مثل تلك المعاهدة المتمثلة في نظرها بوفاة زمان شاه⁽²⁾ حاكم افغانستان، الذي شكل وجوده آنذاك تهديداً خطيراً للهند، وإغتيال القيصر بافل الأول الذي أطاح بالمشروع الفرنسي الروسي لغزو الهند⁽³⁾، بالإضافة إلى جلاء القوات الفرنسية عن مصر في عام 1801، فضلاً عن أن بريطانيا لم يكن من مصلحتها إعلان معاداتها لروسيا في ذلك الوقت لأهميتها في مواجهة مخططات فرنسا في أوروبا⁽⁴⁾.

(1) رفاعي، المصدر السابق، ص107؛ السروجي، المصدر السابق، ص357.

(2) ثالث ملوك افغانستان من السلالة الدورانية، شكل تهديداً خطيراً على الممتلكات البريطانية في الهند في شمال الهند، حققت غاراته بعض النجاح في البنجاب في الفترة 1796 - 1797، وقدرت قواته ما بين 20000 - 30000 من الفرسان و 20000 من المشاة و 30 مدفع، ونتيجة لزيادة خطره في خريف عام 1798 وإحتمالية شنه هجوماً من قاعدته الرئيسية في بشاور فقد شعرت حكومة الهند بأن لا حل لمواجهته إلا بالتقارب مع شاه فارس. العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي....، ص113.

(3) البديري، سياسة بريطانيا تجاه إيران...، ص17. ومن المناسب القول انه في عام 1830 كتب المؤرخ البريطاني ميور (لو عاش بافل لفقدنا الهند). نقلاً عن: صالح، خليل إبراهيم، المصدر السابق، ص19.

(4) Sykes , Op .Cit , p302 ;

وفي الوقت الذي ازداد فيه استياء فتح علي شاه⁽¹⁾ نتيجة الخسائر التي منيت بها قواته وتوالى فيها سقوط المدن الفارسية الواحدة تلو الأخرى بيد الروس، ولدرجة اقتنع معها الشاة بضرورة السعي لعقد صلح مع روسيا⁽²⁾ وُصف الموقف البريطاني باللامبالاة تجاه كل ذلك⁽³⁾.

وكان من الطبيعي ان يستغل الفرنسيون هذه الفرصة لتثبيت اقدامهم في فارس، لاسيما وأن فتح علي شاه كان يبحث عن صديق آخر غير بريطانيا التي يئس من الحصول على دعمها، وفي وقت كان فيه نابليون يتطلع نحو الهند⁽⁴⁾ لذا استبعد فتح علي شاه فكرة الصلح مع روسيا، بعد أن لَوَّح له الفرنسيون بإمكانية تقديم المساعدة على استعادة اراضيهِ من روسيا مقابل مساهمة فارسية في حملة فرنسية ضد الهند، مع قطع كامل لعلاقات بلاد فارس مع بريطانيا⁽⁵⁾، على ان اهتمام نابليون بالهند لم يكن القصد منه الهند بالذات، وما لفرنسا فيها من مصالح بل كانت غايته الرئيسة تعكير الجو الشرقي على بريطانيا، وخلق حالة توتر في تلك البقاع النائية، لأشغال السياسة البريطانيين، فينصرفون لمعالجتها ومقاومة ما فيها وما قد ينجم عنها من تطورات لا تتلاءم ومصالحهم فيصفو لفرنسا الجو في البحر المتوسط والشرق الأدنى، فتستعيد في ارجائه ما فقدته من نفوذ وامانيتها به تجارتها من خسارة⁽⁶⁾، وانعكست اهمية هذا التوجه على بلاد فارس التي كان نابليون يدرك جيداً اضافة الى اهميتها الإستراتيجية كطريق للهند، امكانياتها الهائلة بالحق اكبر الأضرار الاقتصادية بالمصالح البريطانية، عن طريق طرد التجار البريطانيين، وقطع أي شكل من أشكال المعاملات التجارية مع الهند⁽⁷⁾.

صالح خليل إبراهيم، المصدر السابق، ص25.

(1) هو الثاني من شاهات بلاد فارس من العائلة القاجارية، وابن اخو الشاه المؤسس للحكم القاجاري أغا محمد شاه، اسمه بابا خان، وصار يعرف بعد اعتلاءه للحكم بفتح علي شاه، حكم فارس للمدة 1797 - 1834. الدجيلي، حسن مجيد، ايران والعراق خلال خمسة قرون، (دار الأضواء، بيروت 1999)، ص100.

(2) أحمد، كمال مظهر، دراسات في تاريخ ايران....، ص36.

(3) البديري، خضير مظلوم، العلاقات الفرنسية الأيرانية 1804 - 1809، مجلة القادسية، المجلد الأول، العدد الثالث، ايلول / تشرين الأول، (القادسية، 2001)، ص112.

(4) البديري، سياسة بريطانيا تجاه ايران....، ص18.

(5) السراي، المصدر السابق، ص63.

(6) خوري، المصدر السابق، 198.

(7) كيلى، المصدر السابق، ص122 ؛ البديري، العلاقات الفرنسية الأيرانية....، ص111-112.

ترجم نابليون خطته تجاه بلاد فارس، بإرساله مبعوثين إليها أحدهما الكسندر روميو A. Romieu القنصل الفرنسي في كورفو، الذي وصل طهران في أوائل تشرين الأول 1805 حيث التقى الشاه ووزرائه مستوضحاً عن الأوضاع السياسية والعسكرية لبلادهم، وسبل مساعدة فرنسا لها، ومدى استعداد طهران في مقابل هذا على التحالف وتقديم التسهيلات للحملة الفرنسية المزمع إرسالها للهند، كما استطاع في غضون ذلك أن يوضح كل مدار بينه وبين المسؤولين هناك في تقرير أرسله إلى حكومته⁽¹⁾ وإذا اردنا أن نستثني كونه غير مفوض من حكومته بصلاحيات عقد معاهدة تحالف مع فارس⁽²⁾ فإن تردد الشاه في أمر عقد معاهدة تحالف مع فرنسا خشية إثارة بريطانيا⁽³⁾ التي لم يقف الشاه حتى تلك اللحظة على موقفها النهائي منه⁽⁴⁾، ثم وفاة روميو العاجلة في الخامس عشر من تشرين الأول 1805، قد حالت دون اتمام مهمته⁽⁵⁾. على أن اكمال المهمة جاء على يد المبعوث الثاني أميدي جوبير A. Joubert السكرتير المترجم في البلاط الفرنسي، الذي وصل طهران في الخامس من حزيران 1806، وقد اقترح جوبير بعد لقائه بالشاه قيام تحالف فرنسي - فارسي ضد روسيا، وقطع للعلاقات مع بريطانيا، وإعلان الحرب عليها، على أن تتعهد فرنسا بتقديم المساعدات العسكرية لفارس لاستعادة أراضيها من روسيا، وفي الوقت ذاته سلم الشاه بعض المقترحات إلى جوبير، ثم

(1) Savory. R. M. British and French Diplomacy in Persia 1800 – 1810 , Iran Journal of the British Institute of Persian studies ,(London,1972) ,Vol X , p32; Sykes , Op . Cit , Vol II, 304 ;

بينما، على أكبر، تاريخ سياسي ودبلوماسي إيران، جلد أول، (تهران، 1342)، ص 109 – 112 ؛ البديري، العلاقات الفرنسية الإيرانية...، ص 112-113.

(2) صالح، خليل إبراهيم، المصدر السابق، ص 25.

(3) احمد، كمال مظهر، دراسات في تاريخ إيران...، ص 35.

(4) في الوقت الذي وصل فيه روميو إلى طهران كان محمد نبي خان قد وصل إلى بومباي في تشرين الأول 1805 كسفير هناك وكانت الغاية من إرساله طلب المساعدة البريطانية، وقد بقي محمد نبي خان في الهند قرابة السنتين لم يلاحظ خلالهما سوى ((عدم الاهتمام السائد في كلكتا تجاه فارس)). للتفاصيل حول تلك السفارة يراجع: العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص 145 – 148.

(5) للمزيد من التفاصيل حول بعثة روميو يراجع: أميني، ايرج، نابليون وإيران، ترجمة اردشير لطيفليان، (تهران، 1378)، ص 103 – 119؛ السراي، المصدر السابق، ص 39-50.

اذن له بالعودة في اواخر عام 1806، مستصحباً معه محمد رضا خان كسفير له في باريس، ومفوضاً عنه لعقد معاهدة تحالف مع نابليون⁽¹⁾.

لا يمكن وصف الموقف البريطاني من النشاط الفرنسي في طهران إلا بالتجاهل المقصود⁽²⁾ وإلا فإن المسؤولين البريطانيين المتواجدين في الدولة العثمانية تابعوا تحركات المبعوثين الفرنسيين خطوة بخطوة، وكان اول من اكتشف امر تلك البعثات هو باركر Parker القنصل البريطاني في حلب، بعد وصول روميو اليها، وقد أعلم باركر هارفورد جونز المقيم البريطاني في بغداد، الذي قام بدوره بإعلام حكومته بنوايا فرنسا، بعد أن حصل على معلومات تؤكد نوايا المبعوثين الفرنسيين تجاه فارس عن طريق الجاسوس الأرمني الأصل دوانس بيتارن D. pitarn الذي كان يعمل لحساب بريطانيا في مقر ولي العهد عباس ميرزا في تبريز، فأكد بيتارن لهارفورد جونز بأن ((هناك مبعوثين فرنسيين سيصلان قريباً الى طهران، احدهما عن طريق القسطنطينية والآخر عن طريق بغداد))⁽³⁾، و أن الممثل البريطاني لدى بلاط الشاه ذكر في رسالة إلى السفير البريطاني لدى الباب العالي بأن ((ممثلاً عن الإمبراطور نابليون وصل أبواب طهران ليخبر الشاه إن الإمبراطور نابليون برّ بوعده الذي قطعه على نفسه للشاه بصدد غزو روسيا وبأنه قريباً سيعيد لإيران جميع ممتلكاتها في جورجيا إلا انه يرغب في أن يتعهد الشاه أولاً بطرد جميع الأنكليز من ممتلكاته، وأن يقبل سفيراً فرنسياً))⁽⁴⁾، وفي أواخر آيار 1806 وصلت رسالة أخرى من بيتارن إلى هارفورد جونز اكد له فيها بأن ((فرنسا أضحى لها ممثلان في إيران وأن فرنسا وإيران أصبحتا حليفيتين... فضلاً عن كل ذلك فإن شاه إيران كان قد سمح وحسب تصريحه لجوبير للجيش الفرنسي بالمرور عبر الأراضي الإيرانية نحو الهند...))⁽⁵⁾.

لم يقف الأمر عند حدود المراقبة وتبادل الرسائل بين المسؤولين المحليين، وإنما كان هارفورد جونز دائم الاتصال بحكومته في الهند لاطلاعها على آخر

(1) Savory , op , cit , p32

(2) السراي، المصدر السابق، ص63.

(3) بينا، المصدر السابق، ص109.

(4) البديري، سياسة بريطانيا تجاه ايران...، ص18.

(5) بينا، المصدر السابق، ص110.

تطورات العلاقات الفرنسية – الفارسية، وقد توالى تقاريره عليها، ومن بينها تقرير مفصل مضمناً إياه خلاصة المعلومات التي حصل عليها من بلاد فارس وخلص منه بقناعة مفادها بأن الفرنسيين سيستغلون بنجاح حالة العداء القائم بين روسيا وفرنسا لتحقيق نفوذ واسع لمصلحة فرنسا ومجمل الموقف العام ((يشير الى احتمال قيام اتفاق رسمي بين فرنسا وفارس))، لكن حكومة الهند عدت ما ورد في التقرير امراً مبالغاً فيه(1).

وأوضح جونز في مذكرة أخرى ((ان حصول فرنسا على موقع في فارس سوف يشكل خطراً على الوضع البريطاني في الشرق الأدنى ولا بد من بذل الجهود للحيلولة دون ذلك)) (2) بل الأكثر من كل ذلك ان التعليمات التي صدرت من الشاه الى ميرزا محمد رضا خان مبعوثه الى نابليون التي اكدت استعداد حكومة فارس للتعاون مع فرنسا في حالة قيام حملة عسكرية فرنسية لغزو الهند الى حد ارسال جيش فارسي يزحف عن طريق قندهار وكابل (3)، كان جونز قد تمكن من الحصول على نسخة منها، فتأكد له من تلك التعليمات خطورة الموقف في بلاد فارس، ولهذا فقد ارسل تقريراً الى مسؤوليه في الهند يبين فيه حرجة الموقف هناك مؤكداً لهم ((ان ميرزا رضا خان يحمل رسالة صداقة من الشاه الى نابليون تؤكد قيام تحالف بين الدولتين، ولهذا فقد عملتُ جاهداً لكي احصل على صورة لتلك التعليمات لكي تطلعوا عليها وتدركوا خطورة الموقف البريطاني في فارس، الذي سيكون له الأثر الكبير في زعزعة النفوذ البريطاني هناك)) (4).

لكن الحكومة البريطانية وعلى عكس ما تطلبه الموقف لم تبد أي تصرف يكبح جماح النشاط الفرنسي في بلاد فارس (5)، وكأنها في ذلك كانت بحاجة الى صفة قوية توقضها من سباتها الطويل تجاه هذه البلاد وهذا ما تم فعلاً عندما وصل

(1) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص 147.

(2) البديري، سياسة بريطانيا تجاه ايران...، ص 19.

(3) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص 155؛ البديري، العلاقات الفرنسية الإيرانية...، ص 114.

(4) بينا، المصدر السابق، ص 111؛ السراي، المصدر السابق، ص 55.

(5) يتفق كل من علي أكبر بينا و العابد في جعل اسباب عدم الأهتمام البريطاني ببلاد فارس تتعدى ما ذكرناه سابقاً، إلى استقالة الحاكم العام للهند اللورد ولزلي ذو السياسة القائمة على التوسع، ومجيء اللورد منتو (تشرين الأول 1805 – تموز 1807) ذو السياسة القائمة على التحفظ في العلاقات الخارجية، بينا، المصدر السابق، ص 105؛ العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص 149.

جوبير ومبعوث الشاه محمد رضا خان الى وارشو في بروسيا الشرقية في شباط 1807 لمقابلة الإمبراطور نابليون، فلما كان كلا الطرفين متناغمين مع بعضهما منذ مدة طويلة، فقد اسفرت المباحثات بين الجانبين عن توقيع اتفاقية فنكشتاين Finkenstein في الرابع من أيار 1807⁽¹⁾ التي من ضمن ما اشارت اليه تعهد بلاد فارس بقطع علاقاتها الدبلوماسية والتجارية كافة مع بريطانيا وإعلان الحرب عليها، وبمساعدة فرنسا اذا قررت غزو الهند⁽²⁾ عند ذلك اخذت بريطانيا تنتظر بعين القلق والحذر للتحرك الفرنسي في بلاد فارس⁽³⁾.

كانت معاهدة فنكشتاين مؤشراً مهماً للبريطانيين بإمكانية زوال أرجحيتهم في المنطقة ومن ثم تهديد ممتلكاتهم في الهند، و كانت كفيلة لإقناع بريطانيا أن تعيد ترتيب أوراقها الدبلوماسية تجاه طهران مستغلة أية فرصة تسمح بذلك⁽⁴⁾، وإذا كانت هذه المعاهدة والتقارب الفرنسي - الفارسي قد حصلا بدون أدنى شك بسبب سبات بريطانيا الطويل وإهمالها لعلاقاتها مع فارس، فكيف والحالة هذه في علاقتها مع الدولة العثمانية التي لا يمكن وصفها بالسبات او عدم الأهمال، بل بالسلبية بسبب حملتيها العسكريتين على المضائق والإسكندرية ؟ لاسيما وان سباتها تجاه بلاد فارس، وسلبيتها تجاه الباب العالي ادتا الى ذات النتيجة، وهي تحالف كل من فارس والدولة العثمانية مع فرنسا، خاصة وانه في الوقت الذي كان فيه نابليون في مطلع عام 1807 يرسل شاه فارس لأجل التحالف، فإنه راسل ايضاً السلطان سليم الثالث حاثاً إياه على الإسراع، في إرسال مندوبه المفوض بأسرع وقت، لاسيما وان سفير فارس على وشك الوصول إلى وارشو⁽⁵⁾.

وتتجلى الحقيقة بشكل اوضح عند القول بأن معاهدة فنكشتاين لم تكن سوى جزء من صفقة فرنسية كبرى جوهرها خلق حالة من التحالف بين فرنسا وبلاد فارس والدولة العثمانية، فبتأمين فرنسا لذلك التحالف تكون قد أمنت طريقها البري تجاه

(1) Savory , op ,cit , p32 ;

العقاد، التيارات السياسية...، ص90.

(2) للأطلاع على نص المعاهدة يراجع: Hurewitz , Diplomacy in The Near and Middle East ., PP.77-78 ;

بينما، المصدر السابق، ص118-120 ؛ اميني، المصدر السابق، ص325-330.

(3) صالح، خليل ابراهيم، المصدر السابق، ص27.

(4) البديري، سياسة بريطانيا تجاه ايران....، ص19-20.

(5) السراي، المصدر السابق، ص60.

الهند⁽¹⁾، وعند مقارنة هذا التوجه مع الهدف العام للسياسة البريطانية الذي اعيد التأكيد عليه بشدة في تلك المرحلة وفحواه ((ان كلاً من فارس والدولة العثمانية، يمكن اعتبارهما قوى حازمة للهند البريطانية، وتحطيم أي منها من قبل قوة أوربية، سيعرض الهند الى الخطر... وعليه فإن على انكلترا ان تسلك سياسة من شأنها ان تساعد وتدعم تلك الدول...))⁽²⁾ وفي ضوء هذا الرأي يمكن القول بان معاهدة فنكشتاين جاءت كثغرة في هذا الحاجز، وأدرك البريطانيون خطورة الموقف اكثر من السابق، فأيقنوا بأن الهند باتت مهددة وبشكل مباشر وعلني وانها هدف من اهداف نابليون⁽³⁾، فكيف والحالة هذه ونابليون كان يحاول احداث ثغرة اخرى في ذلك الحاجز من خلال تحالفه مع الدولة العثمانية ؟ ففي الوقت الذي كان فيه مبعوث الشاه ميرزا محمد رضا متواجداً في وارشو لعقد معاهدة تحالف مع فرنسا، فقد كان إلى جانبه مبعوث السلطان العثماني وحيد افندي متواجداً ايضاً في وارشو وللغرض نفسه⁽⁴⁾.

بطبيعة الحال، فإن بريطانيا اذا كانت تفكر في الحيلولة دون حدوث تقارب فرنسي - عثماني فذلك كان يتطلب استبدال نهجها العسكري بأسلوب سياسي تجاه الباب العالي، لاسيما وأن الأخير كانت مباحثات مبعوثه وحيد افندي مع الفرنسيين في وارشو جارية على قدم وساق، وان ما حال دون توقيع معاهدة مشابهة لمعاهدة فنكشتاين، هي الأحداث الداخلية التي شهدتها اسطنبول في أواخر آيار 1807 المتمثلة بثورة الإنكشارية⁽⁵⁾ ضد إصلاحات السلطان سليم الثالث ثم خلعه في

(1) ساد هذا الاتجاه لدى حكومة الهند منذ تموز 1807، بعد الجهود الكبيرة التي بذلها السير جون مالكولم المقيم البريطاني في ميسور مع الحاكم العام لأقنائه بوجوب الانفتاح على المنطقة، لاسيما بعد التوتر الذي شهدته العلاقات البريطانية - العثمانية، وملخصاً آراءه بتقرير ارسل به الى ادمستون سكرتير الحاكم العام. وللتفاصيل حول ذلك يراجع: العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص226.

(2) صالح، زكي، المصدر السابق، ص96.

(3) السراي، المصدر السابق، ص60.

(4)Marriott, Op .Cit , p177 ;

جودت، المصدر السابق، جلد ثامن، ص84-85.

(5)Shaw , Op .cit , Vol 1 , p273.

جودت، المصدر السابق، ص85.

وعن تشكيل الإنكشارية وتطورهم التاريخي يراجع: اوزجان، عبد القادر ((النظم العسكرية العثمانية)) "ضمن كتاب الدولة العثمانية تاريخ وحضارة"، المجلد الأول، ص384-391؛ نورس، علاء، مدى

الخامس والعشرين من أيار 1807⁽¹⁾، ثم مجيء السلطان مصطفى الرابع (1807 – 1808) الذي لم يكن في مستهل حكمه سوى ((آلة⁽²⁾) أو دمية بيد أولئك الذين وضعوه على العرش))⁽³⁾ و كان نابليون الصديق الحميم للسلطان سليم الثالث⁽⁴⁾، ولما كان الفرنسيون هم المشرفون على الإصلاحات العسكرية العثمانية التي حرمت الأنكشارية من امتيازاتهم⁽⁵⁾ و كان الانكشارية أيضاً ينظرون الى الفرنسيين على أنهم هم السبب في الحرب ضد روسيا وبريطانيا، فقد اتخذوا عدد من الإجراءات المناهضة للفرنسيين، منها انه حينما وصلت القوة الفرنسية المكونة من خمسمائة جندي من سلاح المدفعية لإدارة بطاريات المدافع الساحلية، للدفاع عن المضائق العثمانية إلى اسطنبول طلب قادة الأنكشارية منهم العودة من حيث جاءوا وبسرعة ثم قاموا بطرد جميع الضباط الفرنسيين الذين كانوا يشرفون على المؤسسة العسكرية العثمانية وأودع البعض منهم في السجون⁽⁶⁾، وعندما وصلت أخبار خلع

مسؤولية الأنكشارية في تدهور الدولة العثمانية، مجلة كلية الآداب، العدد 30، (بغداد، 1981) ؛ جب، هاملتون، وآخرون، المجتمع الإسلامي والغرب، ج1، ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف، (القاهرة، 1971)، ص82 – 97.

(1) Karpat. H. Kemal , The , Transformation of the ottoman state , 1789 – 1908 , in international of journal Middle east studies , Vol3, July (Cambridge , 1973), p253

وكانت ضمن اصلاحات السلطان سليم الثالث في الميدان العسكري تشكيله فرقاً عسكرية اطلق عليها (النظام الجديد) وقد اثبتت هذه الفرق كفاءتها الى الحد الذي دفع بالسلطان سليم ان يصدر مرسوماً في عام 1805 يقضي باختيار المع الشباب وأقواهم في فرق الأنكشارية للخدمة في النظام الجديد، مما اضحى يهدد وجود اوجاق الأنكشارية برمته، للتفاصيل يراجع:

Lewis , G, Turkey , Second edition , (New York , 1960) , P. 31-32 ;

مصطفى، المصدر السابق، ص184- 185، وللتفاصيل حول ثورة الأنكشارية يراجع:

Shaw , Op .Cit , Vol 1 , p273-274 ;

ابراهيم، افندي، المصباح الساري ونزهة القاري، (بيروت، 1855)، 242 – 250.

(2) Shaw , Op .Cit , Vol 1 , p274.

(3) نقلاً عن: المحامي، المصدر السابق، ص195.

(4) ابراهيم افندي، المصدر السابق، ص241.

(5) للتفاصيل حول الدور الفرنسي في الإصلاحات العثمانية يراجع: زيادة، خالد، اكتشاف التقدم الأوربي، دراسة في المؤثرات الأوربية على العثمانيين في القرن الثامن عشر، (دار الطليعة، بيروت، 1981)، ص54- 57.

(6) Quoted in: Puryear , Op. Cit , P. 157-159.

السلطان سليم وألاجراءات المضادة للفرنسيين إلى نابليون استاء كثيراً⁽¹⁾ وقال بخصوص ذلك ((إن هذا الخبر يمثل لي حدساً الهياً لافتاً للنظر عن عدم إمكانية استمرار الإمبراطورية العثمانية بعد الآن))⁽²⁾.

كانت بريطانيا العيون الثالثة التي تراقب الأحداث عن كثب لتلقي بثقلها الدبلوماسي تجاه اسطنبول، مستغلة هذه الفجوة في العلاقات الفرنسية العثمانية. وكانت هناك تطورات أخرى تتعلق بالموقف الفرنسي الذي اخذ ينشط ايضاً في بغداد، حيث وصل النفوذ الفرنسي ذروته في ولاية سليمان باشا الصغير (1807 - 1810)، ولا غرابة في خدمة هذا الوالي للمصالح الفرنسية طالما وإن جهود السفير الفرنسي سبستيان في اسطنبول كانت السبب في توليه لمنصبه⁽³⁾ وإذا كانت هناك اشارة أخرى يمكن ان نستشفها من هذا التعيين فأنها لا تتعدى المكانة السامية التي حظى بها سبستيان لدى السلطان سليم الثالث، ولأجل ذلك فقد احدث تعيين سليمان باشا لولاية بغداد قلقاً كبيراً لدى المسؤولين البريطانيين في الهند⁽⁴⁾.

وهناك تطورات أخرى شهدتها مسقط تمثلت بمحاولة نابليون ربط الأخيرة بسياسته الشرقية، لزعة النفوذ البريطاني هناك، وضمان الطريق البحري الى الهند وعليه فقد ارسلت الحكومة الفرنسية تعليماتها الى ديكان Degan حاكم مستعمرة ايل دي فرانس، بأن يحاول استعادة النفوذ الفرنسي في الشرق⁽⁵⁾ وتزامن هذا الخط للسياسة الفرنسية مع حدوث بعض المشاكل التي عانى منها امام عمان الجديد سعيد بن سلطان (1806 - 1856)، وفي مقدمتها ان حكومة الهند البريطانية قد نفرت بشدة من طريقة مجيئه للحكم⁽⁶⁾، ولهذا لم تعترف به لمدة قاربت

(1) إبراهيم افندي، المصدر السابق، ص250.

(2) نقلاً عن: العبيدي، احمد، المصدر السابق، ص120.

(1) نوار، داود باشا...، ص193؛ نورس، حكم الماليك في العراق...، ص72. وقد جاء في التماس السفير الفرنسي لدى الباب العالي ((ان احوال بغداد في حالة من الأختلال وقوة سليمان باشا في غاية الكمال، فيكون من مصلحة الدولة توجيه الولاية إليه))، الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج1، من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر، (قم، 2004)، ص214.

(4) نورس، علاء، الدبلوماسية البريطانية في العراق 1808 - 1823، مجلة المؤرخ العربي، العدد 18، 1981، ص63 - 64؛ العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص226-227.

(5) أبو ياسين، المصدر السابق، ص67.

(6) كان وصول الحاكم على اثر اغتياله لأبن عمه بدر بن سيف في تموز 1806، للتفاصيل يراجع: العابد، دور القواسم في الخليج العربي...، ص173-174.

1809

السنة رغبة منها في التأكد من استقرار الأمور في يده⁽¹⁾، و ان مرض سيتون Seton المقيم البريطاني في مسقط ومغادرته اياها منذ اوائل عام 1806 دون ان يشغل منصبه مسؤول آخر، جعل حكومة بومباي تفتقر الى معلومات دقيقة حول عمان⁽²⁾، ومن جهة اخرى، فعلى الرغم من حصول سعيد بن سلطان على هدنة مع الوهابيين اواخر عام 1806، إلا انه لم يحصل على مثلها مع القواسم، و شهد مطلع عام 1807، تخلي الوهابيين عن هدنتهم وممارسة الضغط عليه⁽³⁾ ولهذا فقد كان بحاجة ماسة لحليف خارجي، ولما كانت علاقته مع بريطانيا ليست على مايرام لأسباب اخرى فضلاً عن ما تقدم⁽⁴⁾، ولأتفاق وجهة نظره مع الفرنسيين فقد تم التوصل الى معاهدة بين الطرفين في السادس عشر من حزيران 1807⁽⁵⁾، ضمنت فرنسا من خلالها وقوف عمان الى جانبها في حملتها على الهند⁽⁶⁾.

تطورات اخرى حتمت على بريطانيا ان تنحرف بسياستها العسكرية الى توجه دبلوماسي تجاه الباب العالي، وتتعلق تلك التطورات بالموقف الروسي، فلما كانت بريطانيا قد ربطت سياستها ربطاً وثيقاً بسياسة روسيا حتى أن فشل أي من هاتين السياستين كان معناه بالضرورة فشل الأخرى⁽⁷⁾، ولما كانت بريطانيا عند تحالفها مع روسيا تعتقد بانها تحالفت مع دولة قوية تستطيع معها كبح جماح نابليون، لكن ذلك الاعتقاد سرعان ما بدده نابليون بعد تحطيمه للقدره العسكرية الروسية ابتداء من معركة ايلو Eylaw في شباط 1807 التي خسر فيها الروس جزءاً من قواتهم العسكرية، وانتهاء في معركة فريد لاند في الرابع عشر من حزيران 1807 التي أجهز فيها نابليون على ما تبقى من قوة روسيا العسكرية⁽⁸⁾،

(1) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص187؛ أبو ياسين، المصدر السابق، ص63.
(2) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص188، بينما يشير أبو ياسين بأن غلق المقيمة البريطانية في مسقط لا يعود إلى مرض سيتون وإنما لأنه كان في مهمة في مخا في اليمن ومنها عاد إلى بومباي وبقي هناك، وأصبح وسيط الشركة المحلي وهو الذي يتولى تصريف الأمور هناك، أبو ياسين، المصدر السابق، ص62-63.

(3) للتفاصيل يراجع: العابد، دور القواسم في الخليج العربي...، ص174 - 176.

(4) للتفاصيل حول الأسباب الأخرى يراجع: العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص188-195.

(5) ابو ياسين، المصدر السابق، ص68.

(6) السراي، المصدر السابق، ص60.

(7) لبيب، المصدر السابق، ص61.

(8) للتفاصيل يراجع:

فتركت تلك الهزائم آثاراً بعيدة المدى على الموقف الروسي تجاه بريطانيا وفرنسا على حد سواء.

فقد نقت روسيا على بريطانيا لأنها لم تتحمل معها أعباء الحرب بما فيه الكفاية، و أنها رفضت إقراض روسيا مبلغ ستة ملايين جنيه، علاوة على ذلك فأنها لم تعمل على تخفيف ضغط الجيوش الفرنسية عليها بفتح جبهة أخرى⁽¹⁾، وما كان يوازي ذلك في أهميته أن الأسكندر لم يكن راغباً في التقهقر داخل روسيا إذ أنه لم يكن واثقاً من مصادره وإمكاناته الداخلية، فلو أن نابليون توغل في داخل روسيا لكان من المحتمل أن يواجه القيصر ثورة شعبية، إذ أن الشعب كان لا يزال يتذكر ثورة بوكاشوف⁽²⁾ ولهذا فقد استبعد القيصر أهدافه الحربية التي كان يحملها منذ عام 1804، وأصبح أكثر ميلاً للتفاوض والمصالحة مع نابليون⁽³⁾.

وفي ضوء ذلك ما ان تهادن الطرفان في الخامس والعشرين من حزيران 1807⁽⁴⁾، حتى اعقب ذلك لقاء في السابع والعشرين منه جمع بين الإسكندر ونابليون على ظهر طوافة في نهر نيمن Nimen، وفيما يتعلق بالدولة العثمانية، فعلى الرغم من أن الأثنين ناقشا مسألة تقسيم الدولة العثمانية إلا أن نابليون فضل عدم الخوض في التفاصيل لاسيما بعد أن ضمن محالفة القيصر⁽⁵⁾ وأكتفيا بتأكيد وجوب القيام بوساطتين الأولى روسية لتحقيق صلح فرنسي - بريطاني والثانية فرنسية لتحقيق صلح عثماني- روسي على أن يساعد كل طرف الآخر في حالة رفض إحدى أو كلتا الدولتين (بريطانيا أو الدولة العثمانية) لوساطتيهما، ولكي يدفع

Pares , Bernard , A History of Russia, (New York , 1948), PP. 291-292 ;
المقروحي، المصدر السابق، ص337؛ جرانت ، المصدر السابق، ص219.

(1)الجوراني، عبد الزهرة مكطوف، دور روسيا القيصرية في الأطاحة بنابليون، مجلة الفتح، الجامعة المستنصرية، المجلد الثاني، العدد 3، (بغداد، 1998)، ص96.

(2)هي اقوى ثورة فلاحية معادية للقيصرية والأقطاع في تاريخ روسيا، بدأت في خريف عام 1773 بقيادة يميليان ايفانوفتش بوكاشوف، وشملت هذه الإنتفاضة مساحات واسعة من الأراضي الروسية، ولم تتمكن القيصرية من القضاء عليها إلا بعد توقيع صلح مع الدولة العثمانية في عام 1774، لتتفرغ لقمع هذه الثورة، واستمرت هذه الثورة حتى القي القبض على زعيمها بوكاشوف وتم اعدامه في كانون الثاني 1775، عن الثورة وتداعياتها في روسيا يراجع: فيدوسوف، المصدر السابق، ص244- 249.

(3)بالممر، المصدر السابق، ج2، ص255؛ الجوراني، المصدر السابق، ص96.

(4)Armistices between France and Russia 25 June 1807, Quoted in: The Consolidated Treaty Series , vol59. PP.201-205

(5)Anderson , The Eastern Question ..., p. 40

نابليون الحكومة العثمانية لقبول وساطته فقد استطاع أن يقنع القيصر الروسي بان يتخلى عن المقاطعتين العثمانيتين، ولاشيا ومولدافيا خلال فترة المباحثات العثمانية - الروسية الخاصة بالتوصل إلى معاهدة صلح عثمانية روسية⁽¹⁾.

وفي السابع من تموز 1807 دُون ما تم الاتفاق عليه بشكل رسمي بتوقيع اتفاقية تُلست، وفيما يخص الدولة العثمانية، فقد ألزمت المعاهدة روسيا بالتخلي عن المقاطعتين العثمانيتين في حالة موافقة العثمانيين على إنهاء حربهم مع روسيا على أن لا يدخلوا إلى المقاطعتين حتى يتم صلح نهائي بين الطرفين، ويأتي كل ذلك على اثر وساطة نابليون بينهما، وفي حالة عدم قبول العثمانيين لوساطة نابليون أو مضي ثلاثة اشهر من المفاوضات دون التوصل إلى صلح نهائي يضع حداً للحرب بين الطرفين، فأن فرنسا وروسيا تقومان باقتسام الأملاك العثمانية في أوربا⁽²⁾.

مما لا شك فيه بأن تلك المعاهدة كانت نصراً كبيراً لنابليون، إذ ضمن ايضاً من ورائها اعتراف روسيا بكل فتوحاته وتركت له الجزر الأيونية وميناء كاترو، فتحققت له بذلك سيطرة كاملة على منطقة البحر الأدرياتيكي، و ضمن ايضاً وفي حالة موافقة الدولة العثمانية على توقيع صلح مع روسيا، إبعاد الأخيرة عن منطقة البلقان والمضائق العثمانية⁽³⁾، ولما كان نابليون جُلّ ما ينشده من التقارب مع روسيا هو تحطيم بريطانيا فقد ضم الملحق السري بالمعاهدة ما ينص على انضمام روسيا لحصاره القاري الذي اقامه ضد بريطانيا، ولم تقف حدود استفادته من روسيا عند هذا الحد، بل ارغمت روسيا كلاً من الدنمارك والسويد والبرتغال على إغلاق موانئها في وجه البضائع البريطانية⁽⁴⁾ والى هذا الحد من المكاسب الفرنسية بدا لنابليون وكأنه لم يعد بحاجة إلى حلف مع الدولة العثمانية بالصد من روسيا⁽⁵⁾.

(1) puryear , Op . Cit , -190 – 191.

(2) Treaties of Peace and of Offensive and defensive Alliance between France and Russia 7 July 1807 , cited in: The Consolidated Treaty Series , Vol 59 , PP.233-242

(3) Shaw , Op .Cit , vol 1 , p275

(4) الجوراني، المصدر السابق، ص98.

(5) Shaw , Op .Cit , vol 1 , p275

(2) كان من ابرز مناوئي السلطان مصطفى الرابع شخصيتين هما ؛ نائب الصدر الأعظم موسى باشا وشيخ الإسلام عطا الله افندي ، فنفي الأول إلى البوسنة بينما عزل الثاني ، سرهنك ، المصدر السابق ، ص659 .

وربما يمكن القول أن لهذا التقارب الفرنسي - الروسي يمكن أن يُعزى عدم قدرة نابليون على فعل أي شيء عندما وصلت أخبار الموقف السياسي الجديد في اسطنبول، فبعد أن تمكن السلطان مصطفى الرابع من تعزيز مركزه السياسي في الداخل بالقضاء على منائيه بعد أسابيع من تسلمه العرش⁽¹⁾ حتى أفصح عن سياسته الخارجية القائمة على خطى عمه سليم الثالث بمواصلة الحرب ضد روسيا وبريطانيا، وأصدر أوامره بمقاطعة التجارة البريطانية في أنحاء الدولة العثمانية كافة، و أكد على ضرورة استئناف المفاوضات مع الفرنسيين لغرض التوصل إلى حلف معهم يمكن عن طريقه استعادة منطقة القرم ومقاطعتي الدانوب، إلا أن هذه الحقائق التي حملها إلى نابليون تقرير سبستيان المؤرخ في الثامن من حزيران 1807، تسلمه نابليون بعد شهر من أحداث اسطنبول، أي بعد أن أتم نابليون مفاوضاته مع روسيا ووقع معها حلفاً في تلست⁽²⁾.

لقد جاءت معاهدة تلست لتضع مؤشراً على نهاية التحالف البريطاني - الروسي تجاه الدولة العثمانية، ولتفتح صفحة أخرى في العلاقات الفرنسية الروسية، غير انها في الوقت ذاته أسست نهاية للتقارب الفرنسي - العثماني، وإبتدأ فصل جديد في العلاقات البريطانية - العثمانية كما سيتضح لاحقاً.

(3) Puryear ,Op. Cit. PP.180 -181 ;

2. نجاح السياسة البريطانية وعقد معاهدة الدردنيل عام 1809:

حاول نابليون بُعيد عقد معاهدة تِلست ان يجمع في سياسته تجاه الدولة العثمانية وروسيا، بين المنطق والاحتيايل، فالمنطق برأيه هو تحالفه الجديد مع روسيا، الذي عده اهم وسائله لتحطيم بريطانيا في اوربا، وعبر عن تلك الأهمية بقوله ((اننا نرغب في ان يكون لنا حلف دائم مع روسيا فقط ضد جميع الأعداء))⁽¹⁾، أما الاحتيايل عنده فيما انه بحاجة الى الدولة العثمانية لإبقاء حلقات الحصار القاري محكمة ضد بريطانيا، فإنه رأى من الضروري الإبقاء على علاقاته مع الحكومة العثمانية وقد عبر للعثمانيين عن ذلك بقوله ((انني مازلت صديق تركيا))⁽²⁾، وفي ذات الوقت حرصه على كتمان سياسته تجاه روسيا على العثمانيين، بل انه حثهم على وجوب عقد الهدنة مع الروس⁽³⁾.

اما العثمانيون وعلى الرغم من امتعاضهم من نابليون لمجرد مصالحته مع الروس دون استشارتهم او إشراكهم في الأمر، إلا انهم رحبوا بالتوصل الى معاهدة سلام مع روسيا، طالما ان فرنسا ستستمر في مساعدتها للدولة العثمانية، بدفع روسيا للتخلي عن مقاطعتي الدانوب والقرم، ووقف مساعدات الأخيرة للثوار الصرب⁽⁴⁾، لذا بدأت المفاوضات بين الروس والعثمانيين وبوساطة فرنسية وتم التوصل الى اتفاقية هدنة في الرابع والعشرين من آب 1807⁽⁵⁾، نصت على وقف القتال واستئناف المباحثات للتوصل الى معاهدة سلم نهائية، وأن تنسحب القوات الروسية و العثمانية من مقاطعتي الدانوب خلال شهر واحد، ونصت على حق روسيا في عبور سفنها الحربية عبر المضائق العثمانية⁽⁶⁾.

ومما يجدر ذكره إن اتفاقية الهدنة لم يصادق عليها القيصر الروسي، متحججاً في ذلك بأن ممثله الجنرال مندروف Meyndroff قائد القوات الروسية في الدانوب لم يكن مخولاً بالتوقيع عليها، لكن الواقع ان القيصر اعتقد بأن الاتفاقية

(1) نقلاً عن: العبيدي، المصدر السابق، ص123.

(2) Puryear , Op .Cit , p179.

(3) Ibid , p201.

(4) Shaw , Op .Cit , Vol 1. 275

(5) ابو زيدون، وديع، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس الى السقوط، (عمان، 2003)، ص222.

(6) Shaw , Op .Cit , Vol 1 , p275

تصب في مصلحة الدولة العثمانية⁽¹⁾، والأرجح ان موقف القيصر كان يعود الى وعد شفهي قطعه له نابليون بعدم معارضته لأستمرار الاحتلال الروسي للمقاطعتين ولاشيا ومولدافيا في محاولة من الأخير لممارسة مزيد من الضغط على الحكومة العثمانية وإبعادها عن بريطانيا، التي أخذت تحاول استئناف علاقاتها مع الدولة العثمانية⁽²⁾، ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان نائب القنصل الفرنسي في منطقة الدردنيل ميشيان Mechain ارسل تقريراً إلى سبستيان في الخامس والعشرين من تموز 1807، أكد فيه ان البريطانيين أرسلوا اسطولاً مؤلفاً من سبع سفن حربية الى الدردنيل لمساعدة آرثر باجت، الذي سبق وإن أرسلته الحكومة البريطانية الى اسطنبول للتباحث مع العثمانيين حول إمكانية ليس فقط عقد حلف عثماني بريطاني بل وانضمام روسيا لهذا الحلف الذي سيكون موجهاً ضد فرنسا، مقابل قيام بريطانيا بإثبات حسن نواياها بسحب قواتها من الإسكندرية⁽³⁾.

لكن لم تمض سوى بضعة ايام على بدء المفاوضات البريطانية العثمانية، حتى وصلت اوامر الحكومة الروسية في الثالث والعشرين من آب 1807 الى سينافين بالانفصال عن الأسطول البريطاني، في دلالة واضحة على تضارب مصالح كل من الدولتين، غير أن آرثر باجت استمر في مفاوضاته الثنائية مع العثمانيين لكن المفاوضات اتسمت بالمماطلة والتسويق من قبل الحكومة العثمانية، مستندة في ذلك إلى أن إعلانا للحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية لم يقع رسمياً، وليس هناك حاجة لعقد معاهدة تحالف بين البلدين. وإن مجرد انسحاب بريطانيا عن الإسكندرية كفيل بعودة العلاقات الطبيعية بين البلدين⁽⁴⁾.

وأثناء تواجده في اسطنبول تلقى باجت معلومات افادت بقيام الجيش الفرنسي بالتحرك صوب جنوب ايطاليا في عملية هدفها القضاء على الوجود العسكري البريطاني في صقلية، لاسيما و ان جزيرتي كورفو Corvo وكاترو Cattaro قد حصل التنازل عنهما بموجب معاهدة تلت من روسيا الى فرنسا، فأصبحت صقلية

(1) العبيدي، المصدر السابق، ص128.

(2) Shaw , Op .Cit , Vol 1. p275.

(3) Temprly.H.The Crimea. England and Near East ,(London , 1964) , p46.

اما سرهنك، فيجعل عدد السفن الحربية البريطانية التي وصلت الدردنيل هو اربعة سفن. سرهنك، المصدر السابق، ص662 - 663.

(4) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص829

قاب قوسين او ادنى من اجتياح فرنسي لها، الأمر الذي اوصل باجت الى حالة من اليأس دفعته للإيعاز الى الجنرال فريزر في الثلاثين من آب 1807 بوجوب الانسحاب فوراً من الإسكندرية، والاستفادة من الجيش المنسحب لتعزيز الدفاعات البريطانية في صقلية، والى تلك الخطوة عدّ باجت ان مهمته قد انتهت في اسطنبول⁽¹⁾.

في غضون ذلك كانت العلاقات الفرنسية العثمانية تمر في ظروف حرجية، فصمت نابليون وعدم ممارسته الضغط على الروس بالانسحاب من مقاطعتي الدانوب، والتوصل الى معاهدة سلم قد أثار قلق الحكومة العثمانية التي اخبرت سبستيانى ان فرنسا كانت السبب في اعلانها الحرب ضد روسيا، و سألّه غالب افندي وزير الخارجية العثماني، بأن حكومته التي قاومت الضغوط والتهديدات البريطانية، ولا زالت ترفض عروض آرثر باجت فـ ((ماذا كان ثمن الأخلاص العثماني لفرنسا))⁽²⁾.

اصبح موقف سبستيانى صعباً للغاية، وقد اعترف لتاليران بانه لم يواجه منذ وصوله الى اسطنبول ظروفاً حرجية كالتى يواجهها في تلك اللحظة⁽³⁾. فيما كانت بريطانيا تراقب الأحداث، في محاولة منها للاستفادة من أية انعكاسات سواء ما كان قد دار في تلمست التي فهم منها البريطانيون تخلي حلفائهم الروس عنهم مقابل الفرنسيين، وتخلي الأخيرين عن العثمانيين مقابل الروس، أم ما سوف يدور في مؤتمر ايرفورت Earfort⁽⁴⁾ الذي عرف عنه البريطانيون بأنه لقاء سوف يضم حلفاء تلمست للتشاور في كيفية تقسيم الدولة العثمانية، لذا قررت الحكومة البريطانية

(1) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج2، ص830.

(2) Puryear , Op.Cit, p236 -237

(3) العبيدي، المصدر السابق، ص127

(4) قبيل مؤتمر ايرفورت دارت طيلة المدة من اواخر شباط وحتى منتصف آذار 1808 مباحثات في بطرسبورغ بين السفير الفرنسي فيها كوليانكورت Cualaincuort ووزير الخارجية الروسية روميا نتسوف Rumiantsov وقد تركزت حول مسألتين رئيسيتين الأولى كيفية تأليف حملة فرنسية روسية تستهدف الهند البريطانية على ان يكون مركز تحشد القوات المشتركة اسطنبول والمضائق العثمانية، والثانية كيفية تقسيم الدولة العثمانية بين الحليفين، الا ان المباحثات لم تسفر عن نتيجة، وتم الاتفاق = على ان لقاء بين الأسكندر ونابليون اصبح امراً حتمياً لأجل الاتفاق، وحددت منطقة اللقاء في ايرفورت في المانيا.

للتفاصيل حول تلك المباحثات يراجع:

Puryear , op.cit , PP.281-304.

1809

بذل مساعيها الدبلوماسية الحثيثة من أجل الاستفادة من أصداء ماسوف يتمخض عن ذلك المؤتمر، لتحقيق تقارب بريطاني عثماني يمهد لعقد معاهدة سلم مع العثمانيين، وعدم السماح لفرنسا وروسيا بإجراء أي تغيير على الخارطة العثمانية، فضلاً عن الوقوف بحزم تجاه أية محاولة من هاتين الدولتين للسيطرة على منطقة المضائق إذا ما أريد الحفاظ على التوازن الدولي(1).

كانت الظروف السياسية في اسطنبول مهياة لإقدام بريطانيا على هكذا خطوة، بسبب خيبة الأمل العثمانية، بموقف فرنسا من مسألة الضغط على روسيا لإبرام اتفاقية سلم روسية - عثمانية، إذ فشل الاجتماع الذي ضم كل من السفير الروسي في باريس تولستوي Tolestwe والسفير العثماني فيها محب افندي وبواسطة وزير الخارجية الفرنسية شامبني Champany في الثالث والعشرين من كانون الثاني 1808 لتعنت تولستوي بذريعة عدم مصادقة القيصر الروسي على اتفاق الهدنة الذي سبقت الإشارة إليه، ودون أن يمارس الفرنسيون أي ضغط عليه(2) الأمر الذي أثار امتعاض السلطان مصطفى الرابع ملقياً باللائمة على فرنسا، وأعلن عن رفضه التنازل عن مقاطعتي ولاشيا ومولدافيا لصالح روسيا واصفاً الرضوخ لذلك اذلالاً لدولته(3).

ولأجل الاستفادة من هذه الظروف، ففي السادس والعشرين من حزيران 1808 اجتمعت الحكومة البريطانية وقررت إرسال روبرت اداير R. Adair مفوضاً عنها للحكومة العثمانية، وحددت مهمته بالسعي لدى الحكومة العثمانية لمحاولة إحباط خطة نابليون لاستخدام الأراضي العثمانية كنقطة عبور وتحشد للقوات الفرنسية والروسية في حالة مهاجمة الهند البريطانية، وزودته بتعليمات مفادها بأن يوضح للعثمانيين انه في حالة خضوعهم إلى الحلف الفرنسي - الروسي، فإن بريطانيا ستدعم البشوات المتمردين على الحكومة العثمانية وفي مقدمتهم علي باشا والي يانبا، وستوفر له الحماية بأسطولها الحربي، وعلى أداير أن يوضح لهم أيضاً بأنه لا سبب يمنعهم من توقيع معاهدة سلم مع بريطانيا وهي التي لا تطلب شيئاً من السلطان العثماني سوى تجديد حلفه معها، وستكون الحكومة

(1) Shaw , op , cit , Vol 11, PP.12-13 .

(2).Temperly , op ,cit , p47.

(3). العبيدي، المصدر السابق، ص135.

البريطانية مسرورة اذا وافق السلطان العثماني على ذلك، وسمح بعودة النشاط التجاري البريطاني الى بلاده ومقابل ذلك تتعهد الحكومة البريطانية بحماية اسطنبول والمضائق بأسطولها الحربي من الروس والفرنسيين، ولتفعيل هذا المقترح يفضل ان يمنح العثمانيون حق التواجد العسكري لبريطانيا في احدى الجزر التي تشرف على المضائق كجزيرة خيوس Chios الصخرية او ميلوس Milos في بحر ايجة، والأفضل في نظر الحكومة البريطانية ان تكون جزيرة كريت في البحر المتوسط لأنها ((من أكثر المراكز فعالية في إمكانية وقف نشاط القوة البحرية الروسية والفرنسية على حد سواء)) (1).

وصل روبرت اداير في نهاية أيلول الى مضيق الدردنيل، وبعد مضي اسبوعين من الانتظار عند مدخل المضيق كانت الحكومة العثمانية مترددة خلالهما في الاتصال بأداير خشية اثاره فرنسا، بدأت مباحثات تمهيدية بين اداير وحقي باشا حاكم منطقة الدردنيل ممثلاً بموفد عنه، اعقبها اجتماع بين الحاكم العثماني والمفاوض البريطاني، وعندما وصلت اخبار تلك المباحثات الى ميشيان قدم الأخير احتجاجاً إلى الحكومة العثمانية، وطلب توضيحاً لهذه التحركات، إلا ان الحكومة العثمانية نفت حصول اية مباحثات بينها وبين البريطانيين، وكبادرة حسن نية فقد اصدرت امراً بعزل حقي باشا الذي أبعد الى كريت وعينت بدلاً عنه راغويل باشا حاكماً لمنطقة الدردنيل، والهدف من وراء تكتم الحكومة العثمانية على وجود تلك المفاوضات هو الخشية من اثاره فرنسا، لاسيما وأن المفاوضات البريطانية العثمانية لا زالت في بدايتها (2).

لكن وبعدما تأكد للحكومة العثمانية علم الفرنسيين بحقيقة ما كان يجري من مباحثات، خرجت من صمتها وأشهرت الأمر، فرداً على استيضاح لا تو – مابو القائم بالأعمال الفرنسي في اسطنبول الذي تقدم به الى الخارجية العثمانية للوقوف على طبيعة وأهداف المفاوضات البريطانية العثمانية، أجاب غالب افندي وزير الخارجية العثماني مشيراً الى امتعاض الحكومة العثمانية من موقف السياسة الفرنسية تجاه الصراع العثماني الروسي واصفاً تلك السياسة بالقصور، ذلك ان فرنسا لم تأخذ دور الوسيط في الوصول الى معاهدة سلم روسية عثمانية، ولم تمارس ضغطها على القيصر بهذا الشأن، فضلاً عن قيام نابليون بغض الطرف عن

(1)Temperly , Op .Cit , p47.

(2)Puryear , Op .Cit , PP.356 – 357

الإحتلال الروسي لولاشيا ومولدافيا وعدم ممارسته الضغط على القيصر الروسي للإنسحاب من المقاطعتين، الأمر الذي دفع الباب العالي الى فتح باب المفاوضات مع الحكومة البريطانية⁽¹⁾.

بدأ البريطانيون والعثمانيون مفاوضاتهم في منطقة الدردنيل في الحادي عشر من تشرين الثاني 1808 مثل الحكومة العثمانية فيها وحيد افندي وراغويل باشا فيما مثل الحكومة البريطانية مبعوثها روبرت اداير، واعقب ذلك أجتتماع آخر في السادس والعشرين منه، غير ان الجانبين لم يتوصلا الى أي اتفاق بسبب الأجواء السياسية المضطربة والناجمة عما عرف (بثورة القصر)، التي جاءت بمحمود الثاني (1808 – 1839) الى العرش⁽²⁾ فتم تعليق المفاوضات، اذ لم يكن السلطان الجديد قادراً على ضبط الأمور، مما دفع أداير إلى ان يقدم للحكومة العثمانية تحذيراً اوضح فيه قدرة الأسطول البريطاني على محاصرة العاصمة العثمانية، مما قد يعرض سكانها الى مجاعة، وتزامن مع هذا التحذير اطلاع الباب العالي على تفاصيل ما دار في تليست وأيرفورت⁽³⁾ بين الإسكندر ونابليون فضلاً عن تدخل النمسا بدور الوسيط بين الجانبين⁽⁴⁾.

ويبدو أن التحذير البريطاني قد حفز السلطان محمود الثاني للعودة الى المفاوضات مرة أخرى خشية التطورات التي ربما تحدث بسبب التقارب الفرنسي – الروسي، فتم استئناف المفاوضات التي ركزت على مسألتين أساسيتين الأولى تتعلق بالإمتيازات البريطانية في الدولة العثمانية لاسيما موضوع التعريفة الكمركية، والمسألة الثانية تتمثل برغبة بريطانيا في الحصول على حق مرور سفنها الحربية عبر المضائق العثمانية وخاصة تلك التي تقوم بنقل البريد الدبلوماسي، وقد حصل الاتفاق على المسألة الأولى بان يتم منح التجار البريطانيين تسهيلات تجارية وكمركية في الموانئ العثمانية، بينما أبدى العثمانيون معارضتهم للمسألة الثانية مع بعض المرونة في إمكانية منح بريطانيا أفضلية وبصورة مؤقتة حق استخدام السفن

(1) العبيدي، المصدر السابق، ص 155 – 156.

(2) عن ثورة القصر يراجع: إبراهيم أفندي، المصدر السابق، ص 256 – 257.

(3) التقى الإسكندر مع نابليون في ايرفورت في السابع والعشرين من أيلول 1808 وتم خلال اللقاء التأكيد على ماورد في تليست في الثلاثين منه.

Renewal of the Alliance of Tilest between France and Russia, 30 September 1808 Quoted in: The Consolidated Treaty Series, Vol. 60, PP. 263 -268.

(4) Puryear , Op , Cit , P. 357.

البريطانية للمضائق العثمانية، على أن تكون تلك الأفضلية مرهونة باستمرار التحالف الفرنسي الروسي، وسوف لن يكون لهذا السماح أي أثر فعلي في حالة التزام الدولة العثمانية جانب الحياد طبقاً للمصلحة العثمانية التي تقتضي إغلاق المضائق بوجه السفن الحربية للدول الأخرى طالما التزم العثمانيون جانب الحياد⁽¹⁾.

تمخض عن المفاوضات البريطانية - العثمانية التوقيع على معاهدة الدردنيل للسلم والتجارة في الخامس من كانون الثاني 1809، وتألفت من إحدى عشرة مادة بالإضافة إلى أربعة بنود سرية وخاتمة، نصت المادة الأولى على وقف الأعمال الحربية بين بريطانيا والدولة العثمانية بمجرد التوقيع على المعاهدة، ويتم تبادل الأسرى بين الطرفين خلال شهر من التوقيع أو قبل ذلك إن كان ممكناً، واعادت المادة الثانية جميع القلاع والسفن والأسلحة التي أستولى عليها البريطانيون إلى العثمانيين. أما المادة الثالثة فأكدت أن أي ممتلكات أو بضائع تخص التجار الإنكليز وضعت تحت يد الحكومة العثمانية يتم الإفراج عنها وتعاد الى أصحابها والشيء نفسه في حالة وجود ممتلكات أو بضائع تخص رعايا الباب العالي، وجمدت المادة الرابعة سريان معاهدات الامتياز المعقودة سابقاً بين الدولتين، واشترطت المادة الخامسة انه في مقابل رعاية الباب العالي وحسن معاملته للتجار البريطانيين، فضلاً عن كل ما يتعلق بتقديم التسهيلات اللازمة في مجال النشاطات التجارية، فإن بريطانيا ستقدم كل الرعاية والمعاملة الودية لتجار الباب العالي الذين يتواجدون في ممتلكات صاحب الجلالة البريطانية للأغراض التجارية، وحددت المادة السادسة الضريبة الكمركية المفروضة على البضائع البريطانية بنسبة لا تزيد على 3%، وأوضحت المادة السابعة ان سفراء صاحب الجلالة (ملك بريطانيا) يجب ان يعاملوا معاملة الشرف التي يتمتع بها سفراء الدول الأخرى في اسطنبول، وإن سفراء الحكومة العثمانية في لندن سيتمتعون بمعاملة الشرف نفسها، وأتاحت المادة الثامنة للحكومة العثمانية امكانية تعيين قناصل في مالطة وممتلكات صاحب الجلالة البريطانية لرعاية مصالح الباب العالي ويتمتعون بالإمتيازات والإعفاءات نفسها الممنوحة للبريطانيين المقيمين في الممتلكات العثمانية، ونصت المادة التاسعة على عدم تعيين القناصل البريطانيين من الرعايا العثمانيين، وبينت المادة العاشرة ان الحماية البريطانية لا تضى على الأشخاص والتجار من رعايا الباب العالي، فيما

(1) Ibid , P. 359-362.

أكدت المادة الحادية عشرة إلتزام البريطانيين بالقاعدة العثمانية التي تؤكد غلق المضائق بوجه سفن جميع الدول اذا كانت الدولة العثمانية ملتزمة جانب الحياد. اما البنود السرية فقد نص البند الأول منها على انه في حالة قيام فرنسا بإعلان الحرب على الباب العالي أو ممارسة أي تهديد تجاهه نتيجة عقد هذه المعاهدة، فإن بريطانيا تتعهد بتقديم المساعدة للدولة العثمانية، وتلتزم ببذل كل جهودها لتأمين حماية الجزر والموانئ التابعة له، وأكد البند الثاني الإلتزام بريطانيا بتقديم الدعم العسكري للعثمانيين المتمثل بالمدافع والذخيرة وجميع المعدات الحربية وأوصى البند الثالث بتقديم التعهدات جميعها التي تمت بين القادة البريطانيين والمفاوضين العثمانيين الخاصة بإخلاء الإسكندرية، إلى الحكومة العثمانية لغرض إقرارها والمصادقة عليها، فيما ورد في البند الرابع انه في حالة ابرام اتفاق سلم بين بريطانيا وروسيا قبل أن يتم ذلك مع الدولة العثمانية، فإن ملك بريطانيا يلتزم ببذل المساعي الحميدة لأجل الوصول إلى اتفاق سلم مشرف بين الدولة العثمانية وروسيا، وأن يراعى فيه استقلال الدولة العثمانية والمحافظة على ممتلكاتها، أما خاتمة المعاهدة فقد وردت فيها توصية ببقاء البنود الأربعة السرية طي الكتمان على جميع الدوائر، وتضمنت الإلتزام بريطانيا بتقديم ثلاثمائة ألف جنيه استرليني للحكومة العثمانية على دفعتين وخلال ستة اشهر من بدء تبادل وثائق معاهدة السلم هذه، وذلك تأكيداً من ملك بريطانيا لصداقته مع الباب العالي⁽¹⁾.

وليس ثمة شك حول ما حققته بريطانيا بموجب المعاهدة من افضليات واضحة وملموسة في الدولة العثمانية، فقد فعلت من خلالها كافة المعاهدات المعقودة بين الدولتين سابقاً واستعادت تبعاً لذلك امتيازاتها كافة في الدولة العثمانية، وهذا يعني انها فتحت حلقة من حلقات الحصار القاري المفروضة عليها، بأستئناف نشاطها التجاري في الدولة العثمانية، و انها وبموجب المواد السرية الملحقة فقد نسجت حلفاً دفاعياً مع الدولة العثمانية، أمنت من خلاله على مصالحها ليس في

(1) Treaty of peace and Commerce and Secret Treaty of Alliance between Great Britain and turkey , 5 January 1809 , cited in: The consolidated treaty Series , Vol60 , PP.323 -335 ; Hurewitz , Diplomacy in the Near and Middle East , Vol 1 , p81 -84 ; Howard , op ,cit , p15; Hurwitz , the Middle East and North Africa in word Politics , PP.189-191;

بكديلي، المصدر السابق ، ص90.

1809

الدولة العثمانية فحسب وانما في الهند ايضاً من أي خطر قد يحدق بها جراء التقارب الفرنسي - الروسي، وفضلاً عن ذلك فلما كانت المعاهدة قد نصت على غلق المضائق العثمانية بوجه السفن الحربية العائدة لجميع الدول، ولما كانت الدولة العثمانية قد سمحت للسفن البريطانية بالعبور طالما أن الحلف الروسي - الفرنسي قائم، فقد كانت بريطانيا هي المستفيد الوحيد من مسألة غلق المضائق، إما فيما يتعلق بالطرف المقابل فإن الدولة العثمانية وفي فترة أضحت فيها ملتقى السياسات الأوروبية آنذاك، فقد ضمنت بموجب المعاهدة حلفاً مع بريطانيا ازاح عنها وحدتها في مواجهة الحلف الفرنسي - الروسي، و انها ولأول مرة (وبموجب المادة الحادية عشر من المعاهدة) ضمنت حقها بغلق المضائق بإعتراف دولي⁽¹⁾ فأصبحت هذه المعاهدة اساساً لمعاهدة لندن التي عقدت فيما بعد في الخامس عشر من تموز 1840، التي أقرت فيها الدول الاخرى بالحق نفسه للدولة العثمانية⁽²⁾.

تعد معاهدة الدردنيل معاهدة متكاملة، فبالإضافة إلى تغطيتها للنواحي السياسية فإنها غطت مسائل العلاقة التجارية بين الدولتين، وعلى نحو جعل نصوصها تكون جديرة بأن تصاغ في ضوئها نصوص المعاهدات اللاحقة بين الدولتين كمعاهدة بالطه ليمان Balta Liman المعقودة في السادس عشر من آب 1838⁽³⁾، ولأجل وضع بنود معاهدة الدردنيل موضع التطبيق العملي واستئناف العلاقات الطبيعية بين الدولتين، فقد ابحر روبرت اداير كسفير لبلاده من الدردنيل الى اسطنبول على متن احدى السفن الحربية البريطانية ووصل العاصمة العثمانية في الثاني عشر من كانون الثاني 1809⁽⁴⁾.

(1) Shaw , Op .Cit, Vol 11 , p13

(2) ماورد في المادة الحادية عشر من معاهدة الدردنيل، تكرر وبأقرار بقية الدول في المادة الرابعة من معاهدة لندن، للأطلاع على نص المعاهدة الأخيرة يراجع: البراوي، راشد، مجموعة الوثائق السياسية، الجزء الأول، (المركز الدولي لمصر والسودان وقناة السويس) (مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، 1952)، ص 17-20.

(3) للأطلاع على نص المعاهدة يراجع:

Hurewitz , Diplomacy in the Near and Middle East , PP.110 -111 ;

الغنام، المصدر السابق، ص 185-187.

(4) Puryear , Op .Cit , p 364

الخاتمة

- من خلال ما ورد في فصول الرسالة يمكن إن نسجل الملاحظات الآتية:
- 1- تتبعت فصول الرسالة حقبة من تاريخ السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية منذ عام 1798 وحتى عام 1809 ، على إن الفصل الأول منها عاد ليكشف عن الاتصالات المبكرة بين الطرفين التي بدأت منذ عام 1553 على يد انطوني جنسكون وتوطدت في عام 1583 على يد وليم هاربورن .
 - 2- إذ استثنينا روسيا يمكن القول بأن أقدم اتصال مدون تم بين بريطانيا والشرق كان مع الدولة العثمانية قبل غيرها من أجزاء الشرق الأخرى لاسيما الهند وإيران.
 - 3- لم تكن تلك الاتصالات وليدة الصدفة بقدر ما هي نتيجة فرضتها جملة من الأسباب اختلفت في مضمونها، فمنها ما يتعلق بطبيعة تطور المجتمع البريطاني ورغبة البرجوازية التجارية بالانفتاح على العالم الخارجي سواء كان ذلك للحصول على أسواق لتصريف المنتجات البريطانية لاسيما الصوفية منها أم للحصول على مستلزمات تلك الصناعة . وشكلت سيطرة الدولة العثمانية على أغلب الطرق الموصلة إلى الهند وأسرها سبباً آخر حتم على بريطانيا الاتصال بالدولة العثمانية للوصول إلى الهند ، ثم تطور هذا الهدف في وقت لاحق (أي بعد إن أصبح لبريطانيا مستعمراتها في الهند) إلى حماية هذه الطرق من أي محاولة تقوم بها دولة أخرى لتهديد هذه الطرق . ويضاف الى كل تلك الأسباب طبيعة المواقف الدولية والتنافس الدولي للحصول على الامتيازات
 - 4- في الوقت الذي يمكن أن ينظر فيه إلى التوجه البريطاني المبكر نحو الدولة العثمانية على انه جزء من توجهها العام نحو الشرق لاسيما الهند ، الا انه في الوقت ذاته يمكن القول بأن هناك أسباباً خاصة بالدولة العثمانية حركت بريطانيا نحوها بقوة ، ونجمل تلك الأسباب برغبة الدولة العثمانية في تحقيق مثل ذلك الاتصال .
 - 5- لأجل تنظيم تلك الاتصالات ووضع بنود المعاهدات التجارية بين البلدين موضع التطبيق الفعلي فقد أسست بريطانيا مجموعة من الشركات التجارية التي كانت بحق الأذرع التنظيمية لتلك العلاقة ، إلى درجة ان شركة الشرق الأدنى التي تأسست في عام 1581م كانت هي المسؤولة عن اختيار السفير البريطاني في اسطنبول وهي التي تؤمن له راتبه.
 - 6- بفضل شركتي الشرق الأدنى وشركة الهند الشرقية التي تأسست في عام 1600م، فقد تغلغل النفوذ البريطاني في الأقاليم العثمانية تغلغلاً كبيراً هياً للحكومة البريطانية فضلاً عن تحقيق مكاسبها التجارية ، سيطرة شبه مطلقة على طرق التجارة والبريد المارة عبر الدولة العثمانية .
 - 7- حتمت تلك المصالح على الحكومة البريطانية ان تقف موقفاً معارضاً لأي تهديد أوروبي للدولة العثمانية من شأنه ان يلحق الضرر بتلك المصالح ، ومن هنا نشأ ما يسمى بمبدأ المحافظة على الممتلكات العثمانية في السياسة البريطانية ، الأمر الذي ظل ثابتاً حتى أواخر القرن التاسع عشر .
 - 8- لم تنتضح السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية الا في العقد الاخير من القرن الثامن عشر عندما طغت الاعتبارات السياسية على غيرها من الاعتبارات وذلك بسبب التطورات على مسرح الاحداث في الشرق وقيام نابليون باحتلال مصر عام 1798.
 - 9- نشأ علاقة طردية بين المصالح البريطانية في الهند ، والمصالح البريطانية في الدولة العثمانية، فكما ازدادت المصالح البريطانية في الهند أو تعرضت إلى تهديد من قبل دولة أخرى ، انعكس ذلك بشكل واضح بزيادة اهتمام بريطانيا بالدولة العثمانية والطرق المارة عبرها ، وبلغ الأمر الذروة عندما سيطر

نابليون على مصر في عام 1798م، فأرتعدت لذلك الأوساط البريطانية سواء اكانت في لندن أم كلكتا اذ اعتقدت ان ذلك الغزو هو الخطوة الأولى للوثوب إلى الهند الأمر الذي دفع البريطانيين الى بذل مساعيهم الحثيثة تجاه كل ما يقع من بلدان في طريق الهند ومنها الدولة العثمانية التي ركزوا جهودهم الدبلوماسية فيها قولا عن ذلك تقارب بريطاني -عثماني لا يشوبه أدنى شك، أسفر عنه القيام بعمليات عسكرية مشتركة بين الطرفين ، وواد المشروع الفرنسي في مصر، قمت لبريطانيا بذلك ارجحيتها التامة في المنطقة.

10- خرجت الحكومة البريطانية من ذلك الصراع وهي تحمل مفهوما جديداً في سياستها الخارجية مفاده ان حماية مصالحها في الشرق مرتبط بإدامة تواجدها العسكري، فأبقت على قواتها في مصر متذرة في ذلك بحجج واهية، لكن هذه المفهوم اصطدم بسياسية الباب العالي القائمة على رفض مسالة التواجد رفضاً قاطعاً، الأمر الذي فتح الباب لفرنسا مرة أخرى كي تمارس نشاطها الدبلوماسي في اسطنبول ،مما نجم عنه استئنافاً للعلاقات الفرنسية -العثمانية وعقد معاهدة باريس بين الطرفين في عام 1802م.

11- كان التقارب العثماني- الفرنسي هو القاسم المشترك الذي جمع بين بريطانيا وروسيا على الرغم من الحذر البريطاني من المظالم الروسية في الدولة العثمانية، فقد مارس الطرفان ضغوطاً كبيرة على الحكومة العثمانية في محاولة منهما لزعزعة ذلك التقارب ليس إلا ،ومتلما شنت روسيا حرباً على الدولة العثمانية فقد أرسلت بريطانيا حملتين استهدفت الأولى منهما المضائق العثمانية ، بينما كانت الإسكندرية جهة الثانية. على ان الفرق بين الاثنين هو ان بريطانيا لم تكن تهدف من حملتها اقتطاع أجزاء من الدولة العثمانية او إدامة احتلالها لها ،بل الضغط على الباب العالي لكسر عرى تحالفه مع فرنسا، على عكس هدف الجهد العسكري الروسي الذي كانت الغاية منه فضلاً عن ذلك اقتطاع الولاياتين الدانييتين ،ولعل ذلك جاء بعد نفاذ الجهد الدبلوماسي البريطاني في تسوية الأمور بين الروس والعثمانيين بالطرق الدبلوماسية ،وعلى مضض من الحكومة البريطانية .

12- لم تجن بريطانيا من وراء حملتها على المضائق العثمانية سوى القشل الذريع، ولم يختلف مصير الحملة البريطانية على الإسكندرية سوى في كثرة خسائرها.

13- لما كانت غاية الحكومة البريطانية من استعمال الجهد العسكري أو ما يسمى (أسلوب تخويف اسطنبول) هو الضغط على الباب العالي لفصم عرى تحالفه مع فرنسا، إلا ان انعكاسات استخدام ذلك الأسلوب كانت وخيمة على العلاقات البريطانية -العثمانية ،اذ أنها لم تضيف شيئاً سوى تعميق الفجوة بين بريطانيا والدولة العثمانية، وتعزيز التقارب الفرنسي - العثماني.

14- فضلاً عن تلك الخسائر التي منيت بها الحملتان والانعكاسات التي تولدت عنهما فقد شهد الموقف الدولي تغيرات جوهرية، شعرت الحكومة البريطانية من خلالها باستحالة العمل في ظلها وبقاءها على أسلوبها العسكري وضرورة النفاذ إلى الباب العالي لاستئناف العلاقات معه.

15- شكل التقارب الفرنسي -الروسي بعد معاهدة تلسنت أوسع فجوة وأفضل فرصة استغلتها بريطانيا للتقارب مع الدولة العثمانية، إذ وفر ذلك الأرضية السياسية المناسبة لكل من الطرفين للدخول في مفاوضات انتهت بعقد معاهدة الدرنيل في عام 1809م.

أولاً: الوثائق الأجنبية المنشورة:

- ❖ Andreson. M. S. The great powers and the near east 1774 – 1923. Documents of modern History , London , 1970.
- ❖ Douglas .C.D, English historical Document , Vol.XI , 1783-1832, London .
- ❖ Dane .C, The Nelson touch, An anthology of lord Nelson letters , London, 1942.
- ❖ Hurewitz. J C. Diplomacy in the near and Middle east , A Documentary Record 1535 – 1914 , Vol. I, New York , 1956.
- ❖ —. The Middle east and North A frica in world politics , A documentary Record , 1535 – 1914 , Vol. I , Second Edition, London , 1975 .
- ❖ parry .C. The consolidated treaty series, Vol . 54 , 55 , 57 . 59 .60 , New york, 1969.

ثانياً: الوثائق العربية المنشورة:

- ❖ البراوي ، راشد، مجموعة الوثائق السياسية، الجزء الأول، (المركز الدولي لمصر والسودان وقناة السويس) مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، 1952.
- ❖ سي يو. اتجيسون بي سي أس، مجموعة المعاهدات والتعهدات والسندات ذات العلاقة بالهند (البريطانية) والخليج والجزيرة العربية، ترجمة العميد الركن البحري عبد الوهاب عبد الستار القصاب، مراجعة وتقديم محمود على الداود، منشورات بيت الحكمة، بغداد، 2001.
- ❖ لوريمر، دليل الخليج، القسم التأريخي، ج 1 + 4 + 5 ، ترجمة مكتب الترجمة بديوان أمير قطر، الدوحة، (د.ت).

ثالثاً: الرسائل الجامعية والاطاريح

- ❖ أحمد، بان غانم، العلاقات العثمانية الألمانية، 1882 – 1918، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، 2001.
- ❖ الأموي، محمد عصفور سلمان، حركة الإصلاح في الدولة العثمانية وأثرها في المشرق العربي 1839-1908 أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 2005.
- ❖ البديري، خضير مظلوم، سياسة بريطانيا تجاه إيران 1896-1919، أطروحة دكتوراه مقدمه إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 1991.
- ❖ التكريتي، نصير خير الله محمد، التغلغل الأجنبي في مصر، 1863-1879، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، جامعة تكريت، 2005.
- ❖ الجبوري، أحمد عبد الله، الفكر السياسي في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى 1850 – 1914، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العالمي، 2001.
- ❖ الحمدي، صبري فالح، الحجاز خلال القرن الثامن عشر، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية التربية الجامعة المستنصرية، 1996.
- ❖ الدليمي، سحر أحمد، السياسة البريطانية في الخليج العربي خلال الحرب العالمية الأولى 1914-1918، رسالة ما جستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 2001.
- ❖ الدليمي، فواز مطر، تغلغل النفوذ البريطاني في العراق 1869 – 1914، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 1989.
- ❖ الربيعي، هناء شاكر، التطورات السياسية في أيرلندا 1789-1868، رسالة ما جستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 2000.
- ❖ الزبيدي، عدنان هرير جوده، عمان وسياسة نادر شاه التوسعية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب جامعة بغداد، 1983.
- ❖ السراي، فاطمة سلوم، العلاقات الفرنسية الإيرانية 1804-1814، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، جامعة واسط، 2006.
- ❖ شطب، جاسم محمد، العلاقات السوفيتية التركية 1917 – 1923، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 1995.

- ❖ الشويلي، زيدان حسان حاوي، مؤتمر فينا 1814-1815، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية – أبن رشد – جامعة بغداد، 2004.
- ❖ صالح، خليل إبراهيم، العلاقات البريطانية الإيرانية 1857-1907، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 1997.
- ❖ الصياد، سامي صالح ، الصراع البريطاني الفرنسي على مشروع قناة السويس، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب – جامعة بغداد، 2006.
- ❖ —، الموقف البريطاني من سياسة محمد علي باشا في اليونان وبلاد الشام، 1821 - 1841، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، جامعة تكريت، 2001.
- ❖ العبيدي، احمد ناطق، مضائق البسفور والدردنيل 1774-1815، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، 2003.
- ❖ العبيدي، سؤدد كاظم، السياسة البريطانية تجاه منطقة القرن الأفريقي، 1839 – 1914، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 2002.
- ❖ العكيلي، صالح حسن، بولندا 1733 - 1795، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد 1999 .
- ❖ الفتلاوي، آلاء حمزة، السياسة البريطانية تجاه تركيا 1919 – 1923، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب جامعة بغداد، 2000.
- ❖ القهواتي، حسين احمد، دور البصرة التجاري في الخليج العربي، 1869-1914، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة بغداد، 1978.
- ❖ القيسي، محمود عبد الواحد، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الإنكليزية في الهند 1600-1668، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 1993.
- ❖ المشايخي، علي خضير، إيران في عهد ناصر الدين شاه 1848 – 1896، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب جامعة بغداد، 1987.
- ❖ —، السياسة البريطانية في البحر الأحمر 1798 – 1882، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية لآداب، جامعة بغداد، 1997.

❖ المكصوسي، علي حسن علي، تطورات إيران الداخلية في ظل الاحتلال الأفغاني 1722-1729، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، جامعة واسط، 2006.

❖ هادي جاسم محمد، التغلغل البريطاني في الهند 1668-1764. أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 2001.

رابعاً: الكتب العربية والمعرّبة:

❖ أباضة، فاروق عثمان، الحكم العثماني في اليمن، 1872- 1918، القاهرة، 1975.

❖ إبراهيم، أفندي، المصباح الساري ونزهة القاري، بيروت، 1855.
❖ إبراهيم، عبد الفتاح، على طريق الهند، جمع وتحقيق شهاب احمد الحميد، تقديم كمال مظهر احمد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط3، بغداد، 2004.
❖ إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني، بريطانيا وإمارات الساحل العماني، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1978.

❖ إبراهيم، شحاته عيسى، القاهرة، دار الهلال، القاهرة، (د. ت).
❖ أبو حاكم، احمد، تاريخ شرقي الجزيرة العربية، نشأة وتطور الكويت والبحرين 1750 – 1800، ترجمة محمد أمين عبد الله، دار الحياة، بيروت، 1965.

❖ أبو زيدون، وديع، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، عمان، 2003.

❖ أبو ياسين، محمد علي، العلاقات العمانية البريطانية 1798-1856، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1981.

❖ أحمد، كمال مظهر، النهضة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، 1979.

❖ —، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، بغداد، 1985.

❖ —، من تاريخ الحروب الإيرانية الروسية، بغداد 1984 .

- ❖ الأسكندري، عمر وسليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر، مراجعة الميجر . ج . سفدج، مطبعة المعارف، القاهرة، 1924.
- ❖ أمين، عبد الأمير محمد، المصالح البريطانية في الخليج العربي 1747 – 1778، ترجمة هاشم كاظم لازم ومراجعة مكي حبيب المؤمن، بغداد، 1977.
- ❖ أنيس، محمد، الدولة العثمانية والشرق العربي 1514- 1914، مطبعة الأنجلو المصرية (د.ت).
- ❖ اوزتونا، يلماز، تأريخ الدولة العثمانية، ج1، ترجمة عدنان محمود سلمان ومراجعة محمود الأنصاري، اسطنبول، 1988.
- ❖ إيفانوف، نيقولا، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516 – 1574، ترجمة، يوسف عطا الله، مراجعة مسعود ظاهر. بيروت 1988.
- ❖ بالمر. ر. روبرت، تاريخ العالم الحديث، ترجمة محمود حسن الأمين، ج1، بغداد، 1963.
- ❖ بانيكار. ك. م. ، أسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، 1962، ص55.
- ❖ البراوي، فتحية ومحمد نصر مهنا، الخليج العربي، دراسة في تاريخ العلاقات الدولية، منشأة المعارف الإسكندرية، (د. ت).
- ❖ براون، كارل، السياسة الدولية والشرق الأوسط ترجمة عبد الهادي حسين ومراجعة سعد ناجي، بغداد، 1978.
- ❖ البطريق ، عبد الحميد وعبد العزيز سليمان نوار، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، مطبعة الرياض، الرياض (د. ت).
- ❖ بوندا ريفسكي، الغرب ضد العالم الإسلامي من الحملات الصليبية حتى أيامنا، ترجمة الياس شاهين، دار التقدم، موسكو، 1985.
- ❖ بولارد، ريد، بريطانيا والشرق الأوسط من أقدم العصور حتى 1952، ترجمة حسن احمد سلمان، مطبعة الرابطة، بغداد، 1956.
- ❖ بيربي، جان جاك، الخليج العربي، دار الكشف، بيروت، د.ت.
- ❖ التكريتي، هاشم، المسألة الشرقية المرحلة الأولى 1774 – 1856، بغداد، 1990.

- ❖ الثور، محمد عبد الله ، هذه هي اليمن، مطبعة المدني، صنعاء، 1969.
- ❖ جارشلي، إسماعيل حقي أوزون، أمراء مكة في العهد العثماني، ترجمة خليل علي مراد، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، 1985.
- ❖ جب، هاملتون، المجتمع الإسلامي والغرب، ج1، ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف، القاهرة، .
- ❖ الجبرتي، عبد الرحمن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج4، تحقيق عبد العزيز جمال الدين، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997.
- ❖ —، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج1، دار الجيل، بيروت، (د.ت)
- ❖ —، مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسييس (يوميات الجبرتي)، ج2، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- ❖ جرانت أ. ج. وهارولد تمبرلي، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين 1789 – 1950، ترجمة أحمد عزت عبد الكريم وبهاء فهمي، القاهرة، 1967.
- ❖ الجمل، شوقي عطا الله، سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، القاهرة، 1974.
- ❖ جوان ادوار، مصر في مطلع القرن التاسع عشر، ترجمة محمد مسعود، ط2، القاهرة، 1931.
- ❖ جودت، احمد إسماعيل، تاريخ جودت، ترجمة عبد القادر الدنا، ج1، بيروت 1890.
- ❖ حجر، جمال محمود، القوى الكبرى والشرق الأوسط في القرنين التاسع عشر والعشرين، تقديم عمر عبد العزيز عمر، الإسكندرية، 1989.
- ❖ حسون، علي، العثمانيون والبلقان، ط2، بيروت، 1986.
- ❖ —، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، ط3، بيروت، 1994.
- ❖ حسين، فاضل وكاظم هاشم نعمه، التاريخ الأوربي الحديث 1815-1839، بغداد، 1982.
- ❖ الحمداني، طارق نافع، ملامح سياسية وحضارية في تأريخ العراق الحديث والمعاصر، الدار العربية للموسوعات، بيروت 1989.
- ❖ الحويك، الياس، تأريخ نابليون الأول، ج2، منشورات دار الهلال، بيروت 1981.

- ❖ الخطيب، مصطفى عقيل، التنافس الدولي في الخليج العربي 1622 - 1763، المكتبة العصرية، بيروت 1981.
- ❖ الخطاب، رجاء حسين، العراق والصراع العثماني الفارسي، بغداد، 2001.
- ❖ خليل اينالجيك، تأريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة د. محمود الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002.
- ❖ خوري، أميل وعادل اسماعيل، السياسة الدولية في المشرق العربي من سنة 1789 إلى سنة 1958، ج1، من الثورة الفرنسية 1789 إلى مؤتمر فيينا 1815، بيروت، 1959.
- ❖ دانتسينغ.ب.م، الرحالة الروس في الشرق الأوسط، ترجمة معروف خزندار، دار الرشيد، بغداد 1981.
- ❖ الدجيلي، حسن مجيد، إيران والعراق خلال خمسة قرون، دار الأضواء بيروت 1999.
- ❖ الدسوقي، محمد كمال، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، القاهرة، 1976.
- ❖ الراقد، محمد عبد المنعم، الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة، الإسكندرية، 1972.
- ❖ الربيعي، هيفاء عبد العزيز، غزاة في الخليج الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية دراسة تاريخية، مطبعة جامعة الموصل، 1989.
- ❖ الرافعي، عبد الرحمن، تأريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ج2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958.
- ❖ رزق، يونان لبيب ومحمد مزين، تاريخ العلاقات المغربية المصرية منذ مطلع العصور الحديثة حتى العام 1914، الدار البيضاء، 1980.
- ❖ رفاعي، عبد العزيز، انتصار، مصر في رشيد 1807، دار القلم، القاهرة، 1962.
- ❖ رفعت، محمد، تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، دار المعارف، القاهرة .
- ❖ زكي، عبد الرحمن، القاهرة تاريخها وأثارها 969 - 1825، الرابطة المصرية للتأليف والنشر القاهرة، 1966.
- ❖ : زيادة، خالد، اكتشاف التقدم الأوربي، دراسة في المؤثرات الأوربية على العثمانيين في القرن الثامن عشر، دار الطليعة، بيروت، 1981.
- ❖ سرهنك، إسماعيل، حقايق الأخبار عن دول البحار، ج1، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، 1894.
- ❖ السروجي، محمد محمود، تاريخ الإسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور، الإسكندرية، 1963.

- ❖ السعدون، حميد حمد ،إمارة المنتفك وإثرها في تاريخ العراق والمنطقة الإقليمية، 1546 – 1918 عمان، 1990.
- ❖ سعيد، أمين، تاريخ الاستعمار الأوربي في بلاد العرب، ج1، تاريخ الاستعمار الإنكليزي في بلاد العرب، مطبعة عيسى الباب وشركاه، القاهرة، (د.ت).
- ❖ —، تاريخ مصر السياسي من الحملة الفرنسية سنة 1798 إلى انهيار الملكية، القاهرة، (د.ت).
- ❖ الشاذلي، محمود، المسألة الشرقية: دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية 1299-1923، القاهرة، 1989.
- ❖ شارويم بك، ميخائيل، الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث، ج3، مطبعة بولاق، القاهرة، 1898.
- ❖ شبكة، مكي، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر الميلادي، بيروت، 1965.
- ❖ شريف ،إبراهيم، أوربا. دراسة إقليمية لدول أشباه الجزر الجنوبية، الإسكندرية، 1960.
- ❖ الشناوي، عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980.
- ❖ شكري، محمد فؤاد وآخرون ، نصوص ووثائق في التاريخ الحديث والمعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ت).
- ❖ —، الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، القاهرة، (د.ت).
- ❖ —، مصر في مطلع القرن التاسع عشر 1801 – 1811، ج1 + 2، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، 1958.
- ❖ صالح، زكي، بريطانيا والعراق حتى عام 1914، دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري، بغداد، 1968.
- ❖ صالح، محمد محمد، أوربا من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية 1500-1789، بغداد، 1982.
- ❖ صفوت، محمد مصطفى، المسألة الشرقية ومؤتمر باريس، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، 1958.

- ❖ الصلابي، علي محمد محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، القاهرة، 2004.
- ❖ طقوش، محمد سهيل، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة 1299-1914، بيروت 1995.
- ❖ طه، جاد، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، دار الفكر العربي، القاهرة، 1969.
- ❖ العابد، صالح، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي 1798 – 1810، مطبعة العاني، بغداد، 1979.
- ❖ —، دور القواسم في الخليج العربي 1747-1820، مطبعة العاني، بغداد، 1976.
- ❖ العامر، يقطان سعدون، نشاط شركة الهند الشرقية الإنكليزية في البصرة، مطابع التعليم العالي، البصرة 1990.
- ❖ عبد الكريم، احمد عزت، دراسات في تأريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1970.
- ❖ العقاد، صلاح، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د.ت).
- ❖ —، الاستعمار في الخليج العربي، القاهرة (د.ت).
- ❖ علي، شاكِر علي، تأريخ العراق في العهد العثماني 1638 – 1750، نينوى 1985.
- ❖ علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، ج1، المجلد الرابع، موسوعة الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، ترجمة زهير الشايب، القاهرة، 1978.
- ❖ غرايبة، عبد الكريم محمود، تاريخ العرب الحديث، المطبعة الأهلية للنشر، بيروت، 1984.
- ❖ الغنام، سليمان، سياسة محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا 1811-1840، ط2، بيروت، 2004.
- ❖ فشر، هربرت، أصول التأريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوربية إلى الثورة الفرنسية، ترجمة زينب عصمت راشد، واحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة، دار المعارف، 1962.
- ❖ —، أوربا في العصر الحديث 1798-1950، تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ط2، القاهرة، 1972، ص54؛

- ❖ فيدوسوف، بيفانوف، تاريخ الاتحاد السوفيتي، ترجمة خيرى الضامن ونيقولا طويل، دار التقدم، موسكو، (د. ت).
- ❖ كامل، مصطفى، المسألة الشرقية، القاهرة، 1898.
- ❖ كبة، إبراهيم، دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي، ج1، ط2، بغداد، 1977.
- ❖ كتانه، محمد سعيد ، الترك والعرب دراسة مختصره لتأريخ علاقات الترك والعرب من العصور القديمة إلى أواخر القرن العشرين، أنقرة، 2001.
- ❖ كرسنوفر، هيرولد، بونابرت في مصر، ترجمة فؤاد أندراوس، القاهرة، (د. ت)، ص
- ❖ كواترت، دونالد، الدولة العثمانية 1700 – 1922، ترجمة أمين منازي، الرياض، 2004.
- ❖ كيلى، جون، بريطانيا والخليج العربي 1795-1870، ج1، ترجمة محمد أمين عبد الله، مطبعة عيسى البابي وشركائه، 1965.
- ❖ لبيب، حسين، تاريخ المسألة الشرقية، مطبعة الهلال، القاهرة، 1921.
- ❖ لوتسكي، فلاديمير، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، دار التقدم، موسكو، 1971
- ❖ لونكريك، ستيفن همسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، بغداد، ط4، 1968.
- ❖ ليفيير، جورج، عصر الثورة الفرنسية، ترجمة جلال يحيى، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، 1970.
- ❖ المحامي، محمد فريد بك، تأريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت، 1977.
- ❖ مصطفى، احمد عبد الرحيم، أصول التاريخ العثماني، بيروت، 1982.
- ❖ المقرحي، ميلاد، تأريخ أوربا الحديث 1453 – 1848، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1996.
- ❖ النجار، مصطفى عبد القادر، التاريخ السياسي الإمارة عربستان العربية 1897 – 1925، دار المعارف، مصر، 1971 .
- ❖ نوار، عبد العزيز، تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، ج2، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت 1971.
- ❖ —، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة، 1968.

- ❖ —، المصالح البريطانية في انهيار العراق 1600 – 1914، القاهرة، 1988.
- ❖ —، داود باشا والي بغداد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968.
- ❖ نورس، علاء، حكم المماليك في العراق، 1750-1831، بغداد، 1975.
- ❖ —، العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية 1700 – 1800، دار الحرية للطباعة، بغداد 1979.
- ❖ نورس، علاء، وعماد عبد السلام رؤوف، إمارة كعب العربية في القرن الثامن عشر على ضوء الوثائق البريطانية، دار الرشيد، بغداد، 1982.
- ❖ هارولد ف. يعقوب ك. س. أي، ملوك شبه الجزيرة العربية، ترجمة أحمد الضواحي، ط2، دار العودة، بيروت، 1988.
- ❖ هيو. ج. شونفيلد، قناة السويس، ترجمة احمد خاكي، القاهرة، 1945.
- ❖ الوردي، على لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج1، من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر، قم، 2004.
- ❖ يانج، جورج، تاريخ مصر في عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل باشا، تعريب علي أحمد شكري، المطبعة الرحمانية، (د.ت.).
- ❖ ياغي، إسماعيل احمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الرياض، 1996.
- ❖ يحيى، جلال، البحر الأحمر والاستعمار، القاهرة، 1962.
- ❖ —، مصر الحديثة 1517 – 1805، الإسكندرية (د.ت.).
- ❖ —، المجلد في تاريخ مصر الحديث، ط2، الإسكندرية، 1984.
- ❖ اليوسف، عبد القادر احمد، العصور الوسطى الأوربية 476-1500، بيروت، 1967.

خامساً: الكتب باللغة الإنكليزية:

- ❖ Arnold .Divad ,The Age of discovery 1400-1600 , London (N.D).

- ❖ Anderson, The Eastern Question 1774- 1923 , A study in international Relation , New York , 1966 .
- ❖ ———, Britain's Discovery of Russia 1553-1815, London, 1958
- ❖ Antoine , A, Memoirs of Napoleon Bonaparte, Edited by R. w. Phipps , Vol 11, New York , 1991.
- ❖ Armajani, yahya, Middle East past and present, New Jersey, 1970.
- ❖ Baily , frank Edgar , British policy and the Turkish Reform Movement , A study in Anglo –Turkish Relations 1826-1853 , New York , 1970 .
- ❖ Bigham, Clive, The prime Ministers of Britain , New York, 1922 .
- ❖ Brace .M. Richard , The Making of Modern world , New York , 1960 .
- ❖ Bryant .Arthur, The years of Endurance 1793 – 1802, London, 1944 .
- ❖ Creasy. E. S, Turks, London, 1958.
- ❖ ———, History of Ottoman Turks, from the beginning of Empire to the present time, Vol. II, London, 1956.
- ❖ Chandler, David, The compaigns of Napoleon, London, 1967.
- ❖ Cavin , Aden under British rule 1839 -1967 , London , 1975
- ❖ Duffy , Christopher , Russia's Military way to the west Origins and Nature of Russian Military power 1700 – 1800 , London , 1973 .
- ❖ Dodwell, Henry, The founder of modern Egypt A study of Muhammad Ali, Cambridge, 1931.
- ❖ Fisher.W.B.The Middle east, London (N.D).

- ❖ Fisher . H . A . l, Napoleon, oxford university press,1965.
- ❖ 16-Grant. A . G . A History of Europe, Part IV Europe in the nineteenth, Century 1789 -1918, London(N.D).
- ❖ ——— ,Outlines of European History, London, 1958.
- ❖ Ghorbal . M . S . The beginning of the Egyptian Questions and the rise of Mohamed Ali, A study in the Diplomacy of the Napoleonic era based on Research in the British and French Archives , London , 1928.
- ❖ George. M. F. A history of England, New York , 1957
- ❖ Hayes. J. Carlton, History of Europe, Vol. II, New York, 1949..
- ❖ Hoskins.H.L.British Routes to India ,London ,1966 .
- ❖ Huseyn.E., Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution, cambridge, 1964.
- ❖ Harold. J. C., the Age of Napoleon, New york, 1963, P.7; Anderson, the eastern Question.
- ❖ Holt, P. Egypt and the fertile crescent 1516-1922 Apolitical History, New York, 1966.
- ❖ Jones, Colin, the Longman companion to the French revolution 3rd, Malaysia, 1998.
- ❖ Kaman. Henry Spain 1469-1714 A society of Conflict , Second Edition, 1991.
- ❖ Kour. Z. H, The History of Aden 1839-1872, London, 1981.
- ❖ Kirk, G. E, A short History of middle east from the rise of Islam to modern time, London, 1961.
- ❖ Kinross , The ottoman centuries , The rise and Fall of the Turkish Empire , New York , 1977.

- ❖ Lunt. M. E, History of England, Third Edition, New York, 1947.
- ❖ -Lockhart, L, Nadir shah.acritical study based minly up on contemporary sources, London , 1938.
- ❖ Lenczwski. G. The Middle east in world Affiars, London , 1980
- ❖ Lewis, Geoffery, Turkey, second edition, London, 1960.
- ❖ Lipson. E, Europe in the nineteenth century 1815 – 1914, 6th edition, London, 1944.
- ❖ Miller.W, The Ottoman Empire and its successors 1801 - 1927, (London,1966) ..
- ❖ Masani , R. P, Britain in India an account of British Rule in the indian sub continent , oxford university press, 1962 .
- ❖ Marriott, the eastern Question, An Historical study in European Diplomacy, oxford, 1969.
- ❖ Morfill.W. R, A history of Russia, from the Birth of peter the great to the Death of Alexander 11, London , 1902.
- ❖ Mowat R.B , Europe and the Modern world 1492 – 1918 , oxford , 1929
- ❖ Parry.V.J, A. History of the ottoman empire to 1730, Cambridge, 1976.
- ❖ Perry. J. R, Karim khan azanad , A. History of Iran 1747-1779, London, 1919.
- ❖ Pares , B. A History of Russia , New York , 1948.
- ❖ Parker and others, Modern turkey , London, 1940 .
- ❖ Puryear , v, J , Napoleon and Dardanlles, university of California press, 1951.
- ❖ Plump. J. H. England in the Eighteenth Century 1714-1815, London, 1950.

- ❖ Rywikin M. Russian colonial Expansion to 1917, New York ,1965.
- ❖ Renouf. V. A, Outlines of general History, London, 1910.
- ❖ Rifaat Bey. M. The Awakening of Modern Egypt, London, 1961.
- ❖ Robeinson .J .H . and others, A general History of Europe , part II , Recent European History , Boston , 1926 .
- ❖ Searight. Sarah, The British in the Middle East, London , 1969.
- ❖ Smith. G.R. Alon, The Emergence of Anation state, The common wealth of England 1529 – 1660, Second Edition, 1997.
- ❖ Sykes , P., History of Persia, Vol. II, London, 1958.
- ❖ Show Stanford , History of ottoman Empire and Modern turkey , Vol. I ,Empire of the Gazis. The Rise and Decline of the ottoman Empire 1280-1808, Cambridge university press, 1976.
- ❖ Show ,S .,and Ezel kural shaw ,History of ottoman Empire ad Modern Turkey ,VoL.II ,London,1978
- ❖ Smith . L . Cecil, Main corrents in world History, London, 1922.
- ❖ Stewart . Desmond , yaung Egypt, London, 1964 .
- ❖ Temprely.H.The crimea. England and Near east , London , 1964.
- ❖ Toynbee. A, Turkey, London , 1926 .
- ❖ Thomson, David, Europe Since Napoleon, London, 1954
- ❖ Vernadsky , political and Diplomatic History of Russia , Boston , 1936,
- ❖ vatikiotis . p . j, the History of egypt, theird edtion, London, 1985.

- ❖ Wood, Alfred Cecil, History of Levant company, Second Edition, London, 1964.
- ❖ Williams.A, Britain and France in the Middle east and North affrica 1914 – 1967, New york 1968 .
- ❖ William, Basil. The British Empire, Second Edition, London, 1944.
- ❖ Wilson. Arnold , The Persian Gulf An History stitch from the earliest times to the beginning of the twentieth century , London , 1954 .
- ❖ Williamson. A, James , A short History of British expansion , The modern empire and commonwealth , Second Edition , London. 1934 .
- ❖ -Wren. C. Melvin, The Cores of Russian History, Second Edition, New York, 1963 .

سادساً: الكتب باللغة العثمانية:

- ❖ جودت، تأريخ جودت، جلد ثامن، اسطنبول، 1309.
- ❖ رشاد، علي وعلي سيدي، تاريخ عثماني، اسطنبول، 1327 هـ

سابعاً: الكتب باللغة التركية:

- ❖ Akcura. yusuf, Osmanli Devletin degilma devri, Ankara, 1988.

ثامناً: الكتب باللغة الفارسية:

- ❖ أميني، أيرج، نابليون وإيران، ترجمة اردشير لطيفعليان، تهران، 1378.
- ❖ بينا، علي اكبر، تاريخ سياسي ودبلوماسي إيران، جلد أول، تهران، 1342.
- ❖ شهباز آزاد مهر، تاريخ إيران از د بروزتا امروز، باربد، تهران 1383.
- ❖ ميرزا مهدي خان استربادي، جهانكشاي نادري، تهران، 1331.

تاسعاً: الكتب باللغة الفرنسية

- ❖ Charles . H, histoire De L' Egypt, Vol. I, Paris, 1940.
- ❖ Jonquier, Histoire De L' empire ottoman, Paris, 1914.
- ❖ Olivier. G. Voyage don's Empire ottoman , I. Egyte et persie 1801 – 1807, Tome I, Paris.
- ❖ Vajunay. H, Histoire De L'Egypt, Paris, 1885.

عاشراً: الكتب باللغة الروسية:

- ❖ Ivanov, M .S. Histori Irana, Moscow , 1952.

الحادي عشر: البحوث باللغة العربية:

- ❖ إبراهيم، محمد فؤاد وآخرون، اللورد نلسن، مجلة المعرفة، العدد 77، المجلد 17، جنيف، 1971، ص 1228.
- ❖ أبشيرلي، محمد، "نظم الدولة العثمانية" ضمن كتاب (الدولة العثمانية تاريخ وحضارة) اشراف وتقديم اكمل الدين إحسان اوغلو، المجلد الاول، ترجمة صلاح سعداوي، اسطنبول، 1999.
- ❖ ابو ثرب، احمد، مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ الغزو البرتغالي لسواحل المغرب والبحر الأحمر والخليج العربي، وما تولد عنه من ردود فعل، مجلة الخليج العربي، المجلد السادس عشر، العدد الأول، البصرة، 1984 .
- ❖ إسماعيل، جاكلين، سياسة بريطانيا في الخليج والكويت في القرن التاسع عشر، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد، 16، السنة الرابعة عشر، تشرين الأول الكويت، 1978.
- ❖ أمجن، فريدون، " التاريخ السياسي للدولة العثمانية منذ قيام الدولة حتى معاهدة قينارجة الصغرى" ضمن كتاب (الدولة العثمانية تاريخ وحضارة) المجلد الأول.
- ❖ أمين، عبد الأمير محمد، سجلات يوميات مقيمة البصرة 1798-1811، مجلة المؤرخ العربي، العدد 4، بغداد، 1980.

- ❖ —، الشركات الانكليزية في منطقة الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد (12)، بغداد، 1980.
- ❖ —، دور القبائل العربية في صد التوسع الأوربي في الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، من بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، 25 آذار، بغداد، 1973.
- ❖ —، المصالح البريطانية في الهند خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وأثرها في الخليج العربي، مجلة الخليج العربي، العدد 8، البصرة، 1977.
- ❖ انيس، محمد، النشاط الأوربي بمصر وجيرانها اواخر القرن الثامن عشر – مصادره – وثائقه، المجلة التاريخية المصرية، العدد 2، المجلد 2، القاهرة، تشرين الأول، 1949.
- ❖ اوزجان، عبد القادر "النظم العسكرية العثمانية" ضمن كتاب (الدولة العثمانية تاريخ وحضارة) المجلد الاول.
- ❖ البديري، خضير مظلوم، العلاقات الفرنسية الإيرانية 1804 – 1809، مجلة القادسية، المجلد الأول، العدد الثالث، ايلول / تشرين الأول، القادسية، 2001.
- ❖ بكديلي، كمال "الدولة العثمانية من معاهدة قينارجة الصغرى وحتى الانهيار" ضمن كتاب (الدولة العثمانية تاريخ وحضارة)، المجلد الاول .
- ❖ البيضاني، ابراهيم سعيد، العلاقات البريطانية – الفرنسية 1798-1815 وتأثيرها في الولايات المتحدة، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد 6، بغداد، 2001.
- ❖ التدمري، احمد جلال، قراءات أرشيفية في الوثائق الهولندية المكتشفة حديثاً وفي الصراع الدولي على الخليج العربي، مجلة المؤرخ العربي، العدد 34، السنة 13، بغداد، 1987.
- ❖ التكريتي، هاشم صالح، الصراع الروسي- الفرنسي في البلقان في مطلع القرن التاسع عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد 40، السنة 14، بغداد، 1989.
- ❖ —، الصراع الدبلوماسي بين انكلترا وفرنسا قبيل حرب المئة عام 1329-1337، المجلة التاريخية العراقية، العدد الرابع، بغداد، 1975.
- ❖ جاسم، عبد 10 الجبار عطوي، ملاحظات حول أساليب تغلغل النفوذ الأوربي في الخليج العربي قبل الحرب العالمية الأولى، مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة، العدد ، 1978.

- ❖ الجواهري، عماد احمد، الدور التاريخي للبصرة على الخليج العربي، 1500-1600، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية العدد 13، السنة الرابعة، الكويت، كانون الثاني، 1978.
- ❖ الجوراني، عبد الزهرة مكطوف، دور روسيا القيصريّة في الإطاحة بنابليون، مجلة الفتح، الجامعة المستنصرية، المجلد الثاني، العدد 3، 1998.
- ❖ حاتم، صالح محمد، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية في الهند والمحيط الهندي (1600-1756) مجلة المعلم الجامعي، العدد 3، البصرة، 1999.
- ❖ ريان، محمد رجائي، مصالح فرنسا الاقتصادية في سوريا 1535-1920، مجلة دراسات تاريخية، السنة 8 العددان 27، 28، دمشق، 1978.
- ❖ السامرائي، نوري، تطلعات روسيا القيصريّة نحو فلسطين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة المجمع العلمي، ج4، المجلد الواحد والخمسون، بغداد، 2004.
- ❖ —، النضال الوطني في جنوب أفريقيا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد 31، السنة الثانية عشرة، بغداد، 1987.
- ❖ الصباح، ميمونه خليفه، علاقات الكويت الخارجية خلال القرن الثامن عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد 34 السنة 13، بغداد، 1988.
- ❖ صفوت، محمد مصطفى، الجلاء الإنكليزي عن مصر وبعثه سير هنري درومندولف، المجلة التاريخية، المجلد الثاني، العدد الأول، القاهرة، 1949.
- ❖ الصياد، محمد محمود، الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد 14، بغداد، 1980.
- ❖ الطعمه، باسم حطاب، الموقف الرسمي العثماني من الاحتلال الفرنسي لمصر 1798-1801، دراسة تحليلية في ضوء الوثائق العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، العددان الثالث والرابع، بغداد، 1999.
- ❖ العابد، صالح محمد، هل استهدفت الحملة الفرنسية لمصر غزو والهند مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد الأول، بغداد، 1981.
- ❖ عبد الحسين، فلاح حسن، مدينة البصرة كما وصفها الرحالة الأجانب في العصر الحديث، موسوعة البصرة الحضارية الموسوعة التاريخية، جامعة البصرة، 1989.

- ❖ العزاوي، محمد عبد الله، نشاط فرنسا السياسي في الخليج العربي والإجراءات البريطانية المضادة 1793 – 1798، مجلة الخليج العربي، المجلد 18، العددان الثالث والرابع البصرة، 1986.
- ❖ غربال، محمد شفيق، مصر عند مفترق الطرق 1798 – 1801، (المقالة الأولى)، (ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية كما شرحه حسين أفندي أحد أفندية الروزنامه في عهد الحملة الفرنسية)، مجلة كلية الآداب، المجلد 4، ج1، القاهرة، أيار 1936.
- ❖ فنشتاين، جيل، "الإمبراطورية في عظمتها، القرن السادس عشر" ضمن كتاب (تاريخ الدولة العثمانية) ج1، أشرف روبير مانتيران، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر، القاهرة، 1993.
- ❖ القهواتي، حسين أحمد، أضواء على تجارة البصرة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة الخليج العربي، المجلد 22، العدد 2، البصرة، 1980.
- ❖ مانتيران، روبير، "الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر، الضغط الأوربي"، في كتاب (تاريخ الدولة العثمانية)، الجزء الأول.
- ❖ المبارك، صفاء عبد الوهاب، البصرة في العهد العثماني 1638 – 1800، موسوعة البصرة الحضارية الموسوعة التاريخية، جامعة البصرة، 1989.
- ❖ محمد، نجاح، من معطيات المسألة الشرقية العربية، التآمر البريطاني – العثماني والوجود المصري في شبه جزيرة العرب 1811 – 1840، دراسات تاريخية، بيت الحكمة السنة الحادية والعشرين، العددان 71، 72، تموز، 1999.
- ❖ محمود، صالح رمضان، الصراع الإنكليزي الفرنسي في مصر 1763 – 1882، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 17 تموز، الكويت، 1976.
- ❖ محمود، عبد الواحد ، الدولة العثمانية بين الميول الانفصالية ومحاولات الحكم المركزي 1808 – 1839، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد السابع، بغداد، 2001.
- ❖ المشهداني، خليل إبراهيم صالح، موقف بريطانيا من نشاط القوى المحلية والإقليمية والدولية في الخليج العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية العشرين، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 54، 2001.
- ❖ مرشو، غريغوار، الدولة العثمانية، قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، مجلة المستقبل العربي، العدد 217، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.

- ❖ النجار، مصطفى عبد القادر، شركة الهند الشرقية. ملامحها وابرز سماتها في الخليج العربي 1600-1858، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 15، السنة الرابعة، تموز، الكويت، 1978.
- ❖ —، عربستان وشخصيتها العربية، مجلة الخليج العربي، المجلد، 13، العدد 12، البصرة، 1981.
- ❖ نورس، علاء، مدى مسؤولية الأنكشارية في تدهور الدولة العثمانية، مجلة كلية الآداب، العدد 30، بغداد، 1981.
- ❖ —، الدبلوماسية البريطانية في العراق 1808 – 1823، مجلة المؤرخ العربي، العدد 18، بغداد، 1981.
- ❖ الوائلي، طاهر يوسف، خصائص الاقتصاد العثماني خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، مجلة دراسات نجفية، العدد الأول، الكوفة، 2004.

الثاني عشر: البحوث باللغة الإنكليزية:

- Brun, G. The Balance of power during the years 1793-1814, in the New Cambridge modern History, Vol .IX Cambridge university press, 1956.
- Crawley , The near east and the ottoman Empire 1798- 1830 , in the new Cambridge modern History, Vol. IX, Cambridge university press , 1965 .
- Findiey.R. Carter , the foundation of the ottoman foreign Ministry , international of Journal of middle east studies of , Vol,3,Cambridge , July , 1972.
- Karpat. H. Kemal , The , Transformation of the ottoman state 1789 – 1908 , in international of journal Middle east studies, Vol,3 , Cambridge , July , 1973.
- Savory. R. M. British and French Diplomacy in Persia 1800 – 1810 , Iran Journal of the British Institute of Persian studies, Vol X , London, .

الثالث عشر :الموسوعات:

- ❖ بالمر، ألان ،موسوعة التاريخ الحديث(1789-194)، ج2، ترجمة سوسن فيصل ويوسف محمد مراجعة محمد مظفر الادهمي ،بغداد، 1992.
- ❖ شلبي ،احمد ،موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة ، 1986.
- ❖ العريس، محمد، موسوعة التاريخ الإسلامي،العصر العثماني ، دار اليوسف، بيروت، 2005.

The New Encyclopedia Britannica, Vol.8, The University of Chicago, 1968
 Everyman's Encyclopedia, Vol. 3, London, 1958
 Encyclopedia Britannica ,U.S.A, Vol,17,1970.

أربعة عشر: الشبكة العالمية للمعلومات (الانترنت):

[www.enerjiychatlane.ry/pages/gueenelizabeth The first. html](http://www.enerjiychatlane.ry/pages/gueenelizabeth%20The%20first.html)
<http://ar.wikipedia.org.2007.P.3>
<http://www.alrawahy.8k.com/alya3arb.htm>
<http://www.al-arabay.com/articles/1018/060723-1010>
[www.victorianweb.org/history/bms/willimbitt.](http://www.victorianweb.org/history/bms/willimbitt)
[http:// Ju . edu . Jo / publication / cultur . AL mandeb.](http://Ju.edu.Jo/publication/cultur.ALmandeb)
[http://www.cairocitdel.gav.eg/ Egypt_in_frecch_A.html .](http://www.cairocitdel.gav.eg/Egypt_in_frecch_A.html)
[http://www.Hukam.net.](http://www.Hukam.net)

خمسة عشر: الصحف والمجلات:

- ❖ جريدة السياسة، بغداد، العدد، 380، 12 شباط 1931.
- ❖ —، بغداد، العدد 386 في 22 شباط، 1931.
- ❖ جريدة نداء الشعب، بغداد، في 13 و 20 كانون الثاني، 1931.
- ❖ مجلة آفاق عربية، بغداد، العدد التاسع، أيلول، بغداد، 1993.

